منبر الإسلام

العدد ـ ٢ ـ السنة ـ ٢١ ـ صفر ١٣٨٣ ـ يوليه ١٩٦٣

الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

صفر ١٣٨٣
يوليو ١٩٦٣
العدد ٢ السنة ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق ـ نص خطاب السيد الرئيس الى الأبطال
نص خطاب السيد الرئيس فى مؤتمر القمة .
قرارات مؤتمر القمة
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى ـ السيد الأستاذ حسين الشافعى ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة
- معنى كلمة الأميين ـ الأستاذ الكبير عباس العقاد
- دين الله واحد وهو الاسلام ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- الانسان فى القرآن ـ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
- ضريبة العشور فى الاسلام ـ الدكتور أحمد الحوفى
- خواطر مستشار ـ المستشار على على منصور
- الفضائل النفسية كينبوع لحياة اشتراكية ـ الدكتور محمد بيصار
- وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ الأستاذ محمد سلام مدكور
- الجوانية فى الاسلام ـ الدكتور عثمان أمين

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل أبطالنا العائدين

معالم الطريق .....

حديث السيد الرئيس إلى الأبطال

أيها الأخوة

قبل أن أبدأ حديثى اليوم أود أن أرحب باسمكم جميعا بالأخ والصديق الذى يشاركنا هذا الاحتفال الرئيس أحمد بن بيللا .

انه عربى أصيل يشرفنا ان يحضر معنا هذا الاحتفال ثائر يعرف معنى الثورة ويتفاعل مع الثوريين ، مقاتل مارس الحرب ويعرف عمق تجربة النضال المسلح ، منتصر ضرب مثلا رائعا فى صبره وصموده حتى ادرك النصر العزيز بكل معانيه وبكل مايرمز له . نموذج عظيم للانسان الجزائرى الجديد بالانسان

العربى ، الجدير بآماله السياسية والاجتماعية .. مرحبا به هنا مع العائدين بالنصر .

ومرحبا به رسولا من الجزائر العربية الثورية المقاتلة ، المنتصرة ، بناءة المجتمع الجديد ، ورفيقة السير على طريق الاشتراكية .

أيها الرجال

يا أبناء أمتكم الأوفياء ، ويا جنودها الشجعان ، ويا طلائع زحفها الى الحرية والاشتراكية والوحدة .

لقد رأيتم فى طريقكم الى هنا فرحة أمتكم بعودتكم المنتصرة اليها ، واعتزازها بتضحياتكم على طريق أهدافها وفخرها بأعلامكم التى شرفتموها حيث كتب عليكم الجهاد من أجل الحق الالهى للانسان العربى فى أن يحيا بالحرية والعدل .

لكنكم - أيها الرجال - لم تروا أمتكم فى قلقها المكبوت بالكبرياء ، وهى تعلم بمهمتكم العظيمة فى اليمن ، وتتابع تجمعكم فى الموانى والمطارات ، بادئين الرحلة الى أرض المعركة ، ثم تعيش معكم يوما بيوم ، تجربة القتال المرير ، تحت أصعب الظروف وأكثرها مشقة فى حرب حاقدة ، حاولت فيها الرجعية المستندة الى قوى الاستعمار ، أن توقف الزحف العربى الثورى، وتعرقل مجراه التاريخى المحتوم ، حتى تحقق لكم ، ما كان ثمرة طبيعية للمبادىء التى وقفتم تحت راياتها ، وللبسالة التى أعطيتم معناها أعماقا جديدة ، رحبة ورائعة .

ولقد كان الشىء الوحيد الذى يلح على ضمير أمتكم فى غيابكم ، هو أنها لم تستطع أن تودعكم كما ينبغى ان يكون وداع المقاتلين الذاهبين الى أرض المعركة ، من أمة عارفة لهم وفاءهم لأمانيها ، لم تستطع أمتكم ، وأنتم فى طريقكم الى المعركة ، ان تفرش طريقكم بالزهور ، ولا أن تخرج لتلوح لكم بأيديها وأنتم على الطريق ، ولا أن تودعكم بأغلى دعواتها أن يكون الله معكم أمانا ورعاية ونصرا

لقد كانت معركتكم فى اليمن فريدة من نوعها فى التاريخ ، لأول مرة يذهب جيش كامل الى أرض بعيدة لا غازيا ولا طامعا ولا مستعمرا .

لأول مرة ، يذهب جيش أمة صغيرة آلاف الأميال ، بعيدا عن وطنه ، فى منطقة يحيط بها من كل جانب نفوذ القوى الاستعمارية ومصالحها الحساسة .

لأول مرة ، منذ أحدث التوازن الذرى الرهيب ، أثره فى الحد من قدرة أى بلد على التحرك عسكريا ، مهما كانت قوته ، ومهما كان ما يواجهه من التحديات ، تحرك جيش عبر البحار الممتدة ، لكن قوتكم كانت فى طبيعة مهمتكم ، فلأنكم جيش للمبادىء ومن أجلها ، لم يرهبكم نفوذ الاستعمار ومصالحه الحساسة ، من حول أرض معركتكم ، ولا استطاع التوازن الذرى الرهيب ، ان يعرقل حركتكم النشيطة البارعة بكل مقاييس العلوم العسكرية ، على أن هذه الظروف اقتضت أن تحاط حركتكم خصوصا فى بدايتها الأولى ، بسرية كاملة أفادت عملكم ، وان حرمت أمتكم من الخروج لوداعكم .

وان كنت واثقا على أى حال أنكم على السفوح وفى الوديان ، وفوق قمم الجبال التى دارت عليها المعارك كنتم تسمعون دقات قلب وطنكم تحيط بكم من كل جانب رجاء وحبا .

معركة النصر العظيمة

أيها الرجال

لقد كانت معركة قاسية لكنها كانت معركة عظيمة ، تلك التى حاربتم فيها حتى النصر فى اليمن ، ولم تكن قسوتها بسبب الظروف الطبيعية التى تسود اليمن نتيجة لما فرضه حكم التخلف على شعبها المناضل العظيم وعلى أرضها التى تركت للفقر والخراب مئات السنين بل آلافها . وانما منذ الدقيقة الأولى كان هناك قرار خطير وحاسم لابد من مواجهته . هذا القرار الخطير والحاسم يتعلق بمبدأ كنا نضعه دائما فوق كل اعتبار وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا ، لكن الخيار فى اليمن لم يكن بأيدينا لقد بدأت الرجعية بسفك الدماء فى اليمن بعد ثورة شعبية ناجحة قام بها شعب اليمن متخذا من جيشه طليعة لتقدمه ومع صعوبة الظروف التى مرت فيها ثورة اليمن بقيادة الرئيس عبد الله السلال فان أحداث الثورة مرت

بيضاء بغير دم وأعقبها هدوء كامل يدل دلالة واضحة على شعبية الثورة اليمنية وقوتها وكونها تحقيقا أمينا لارادة جماهير الشعب اليمنى سواء فى حواضره العريقة أو فى مناطق قبائله الاصلية . وبعد خمسة عشر يوما من نجاح الثورة فى اليمن ، وبعد الفرحة الشاملة وبعد الهدوء الكامل استعدادا لتحمل مسئوليات البناء من العدم ، بدأ اطلاق النار على الحدود الشمالية الشرقية وبدأت جيوش الرجعية المرتزقة تحت قيادة الفلول الهاربة من أسرة حميد الدين تحاول الانقضاض على الثورة انقضاضا دمويا لا يستهدف ابادة أمل الثورة الشعبية فى اليمن فحسب ، وانما يستهدف أيضا ابادة أى فرصة للحياة على أرض اليمن .

أوهام الرجعية

.. كانت الرجعية اليمنية المؤيدة بالرجعية الملكية السعودية المطمئنة بدورها الى الحماية الخارجية والاستعمارية تتصور انها تواجه ثورة اليمن من المركز الأقوى وفى حسابها ذلك المبدأ الذى وضعناه فوق كل اعتبار وهو أن السلاح العربى لن يسفك دما عربيا . كانت الرجعية مع ادراكها لدور الجمهورية العربية المتحدة كقاعدة للنضال العربى الشعبى وطليعة تقدمه ، تتوهم أن القاهرة لا تستطيع بسبب الظروف وبسبب هذا المبدأ أيضا ان تقف مع ثورة اليمن بأكثر من اصدار البيانات والنداءات تمنح الثورة تأييدا معنويا وتشجب العدوان عليها ، لكنها لا تقدر على ما هو أبعد من ذلك .

ولقد كان القرار الخطير والحاسم الذى واجهناه قاسيا لكنه كان ضرورة والا فاننا نسلم للرجعية بسفك الدماء على هوى مطامعها ، ونجرد المبادىء من كل سلاح بالحق يحميها . ولقد اتخذنا القرار جميعا هنا على أرض المعركة مطمئنين الى رضا الله الذى لايقبل أن يكون للظلم سلاحه وان يواجهه الحق بغير سلاح .

ارادة الله لتمكين الحق

ان ارادة الله كانت تحتم تمكين الحق من السلاح الأقوى لكى يستطيع أن يعلى كلمة الله بنصره .

وفى نفس الوقت فلقد بذلتم جميعا هناك أخلص الجهود وأكرمها لكى لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة . ولقد كان سلاحكم قادرا لو تركتم له العنان أن يسيل دما بغير حساب لكن العقاب لم يكن غايتكم .

لقد كنتم هناك أصدقاء الحياة ولم تكونوا أعداءها .

وانى لاعلم أن كثيرين من شهدائنا الابرار الذين جادوا بالدم الزكى على أرض اليمن راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك المزيد من الدماء وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام . لقد وضعتم الدعوة جنبا الى جنب مع طلقة الرصاص وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة الهدى تسبق طائراتكم . كل ذلك حرصا على الحياة وفهما عميقا للمرحلة التى تجتازها أمتكم وفيها من يسعى على أرضها بالضلال والتضليل ويترك للمخدوعين أن يدفعوا وحدهم ثمنها .

أيها الرجال

ومن قسوة المعركة انكم عبرتم البحر الأحمر بطوله الى أرضها فى وقت كانت فيه آفاق الأرض العربية تنعكس عليها ظلال كئيبة من تحكم الرجعية والانتهازية فى مناطق عديدة منها ، كانت الرجعية والانتهازية والاستعمار بعدهما واسرائيل يعيشون جميعا فى نشوة النكسة التى وقعت للتقدم الثورى العربى بمؤامرة الانفصال التى وقعت فى دمشق يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ ، ثم ما أعقبها من تطورات ظن فيها أعداء الأمة العربية انهم ملكوا فى ايديهم زمام توجيه القدر ، وانه بات فى وسعهم محاصرة الثورة العربية الشاملة التى فجرتها ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ بأبعادها السياسية والاجتماعية الهائلة ثم ضرب هذه الثورة العربية الشاملة فى القاهرة والتطلع بعد ذلك الى سيطرة عشرات السنين على الأرض العربية ، ظانين أنهم لن يواجهوا فيها اذا ما تحققت خططهم غير الخنوع والقهر والاستسلام .

النصر المزدوج

ولقد كان النصر الذى تحقق لكم وبكم فى اليمن ذا أهمية مزدوجة . لقد أكد مرة أخرى

حيوية الأمة العربية وقدرتها على مقابلة مختلف التحديات بما فى ذلك حمل السلاح اذا تطلب الحق سلاحا يعزز منطقه .

ومن ناحية ثانية ، فلقد كان هذا النصر نقطة تحول هامة عادت بعدها القوى الثورية العربية الى انتزاع زمام توجيه الحوادث من هؤلاء الذين ظنوا انهم ملكوا الزمام الى سنوات طويلة قادمة .

ولقد تجلت آثار هذا التحول الحاسم الى الشمال من أرض معركتكم الظافرة حيث استطاعت القوى الثورية فى شعب العراق وجيشه اسقاط النظام الأنانى الفردى فى العراق .

كما أن يوم ٨ مارس فى سوريا شهد سقوط الرجعية التى حاولت أن تمكن لنفسها وراء أسوار الانفصال وحواجزه

أيها الرجال

ان انتصاركم فى اليمن تكملة طبيعية للمجرى العميق الذى شقه العمل الثورى الشعبى لدور القوات المسلحة فى بناء مجتمع الحرية والاشتراكية والوحدة . انه حلقة فى سلسلة من المعارك المترابطة فى تعاقبها والمتصلة فى نفس الوقت بمراحل النضال الوطنى ، مرحلة بعد مرحلة انه امتداد لدور القوات المسلحة فى خدمة الثورة الشعبية يوم ٢٣ يوليو وامتداد لدورها فى المعارك التى دارت فى منطقة القناة لارغام المستعمر على الجلاء عن أرضها وامتداد لدورها فى الحرب الشاملة فى بور سعيد وسيناء فى يوم ٢٣ يوليو تحركت القوات المسلحة . وحررت نفسها من كل ولاء للملكية المتعفنة وانضمت بامكانياتها الى صف النضال الشعبى وفتحت بذلك طريق الثورة .

كانت تلك بداية أو عودة القوات المسلحة الى دورها الطليعى فى تحالف قوى الشعب .

القوات المسلحة والنضال الوطنى

وكانت أخريات القرن الماضى قد شهدت بثورة عرابى بداية البداية لادراك القوات المسلحة لدورها كأداة فى يد الشعب لا أداة فى يد أعدائه من الطغاة ومستعبديه . ثم كانت معارك منطقة القناة سنة ١٩٥٣ و ١٩٥٤ فى حقيقة أمرها مقدمة الحرية السياسية حققت جلاء الاحتلال بعد أكثر من ٧٠ عاما على أرض الوطن . ثم كانت الحرب الشاملة فى بورسعيد وسيناء ضد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وكانت فى حقيقة أمرها مقدمة للحرية الاجتماعية ، سيطر الشعب فيها وبعدها على مقدرات ثروته الوطنية ، واسقط الاحتكارات الأجنبية وذلك باسترداد قناة السويس واسترداد البنوك وشركات التأمين وشركات التجارة الخارجية . وكانت كلها نهبا للمغامرين الأجانب .

وكان ذلك فى الواقع مدخلا الى العمل الاشتراكى الذى عزز مواقعه بعد ذلك فى قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ التى تلاحقت بعدها خطوات العمل السياسى والاجتماعى لتحقيق الديمقراطية بمعانيها العميقة بتأكيد سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لتكون ارادته العليا على أرضه حقا لا زيف فيه ولا تضليل بالشعارات الجوفاء الخالية من كل ضمانات الديمقراطية الأصيلة

ثم جاءت حرب اليمن بعد ردة الانفصال التى وقعت فى دمشق انقلابا على الحرية وعلى الاشتراكية . ولقد كانت هذه الحرب فى حقيقة أمرها حرب الوحدة فى أساسها الأول والحيوى وهو وحدة الهدف .

وليس هدفه على وجه اليقين ان النصر الحاسم فى اليمن لم يلبث أن تلاه على الفور أعلان القاهرة التاريخى بين سوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة .

وبذلك تكون القوات المسلحة فى مصر قد سايرت العمل الشعبى خطوة بخطوة ، استخلاص الارادة الوطنية أولا وتدعيمها بالجيش الوطنى ثم معارك الحرية والاشتراكية والوحدة .

لقد أثبتت القوات المسلحة فى مصر ببنوتها الشرعية لشعبها وولائها الصادق له ، بعملها المتفانى من أجل أهدافه ، وأكدت الفارق الكبير بين الانقلاب العسكرى والثورة الشعبية وان اتخذت الجيش سلاحا من أسلحتها .

وهنا تفترق الجيوش الثورية الوطنية عن الجيوش المحترفة والمرتزقة

كرامة السلاح المصرى

أيها الرجال :

ولقد كرمتم السلاح المصرى كما كرمتم المبادىء ، لقد واجهتكم حرب غريبة ، حرب لم يكن لمثلها تدريبكم وواجهتم فيهـا عدوا يختلف عن الجيوش النظامية التى كان لها استعدادكم ، **حاربتم فى الجبال الوعرة لأول مرة فى تاريخ السلاح المصرى وحاربتم حرب العصابات التى دوخت من قبل جيوش الدول الكبرى ، وعلى الجبال وفى مواجهـة حرب العصابات الغادرة أكدتم تفوق الروح المقاتلة المصرية وكرامة السلاح المصرى ، ومع النصر وآثاره البعيدة أضفتم الى قدراتكم خبـرة جديدة .**

ولقد كانت حرب اليمن من الناحيـة العسكرية البحتة اختبارا هاما للقيـادات واذا كنا نحتفى بكم اليوم هنا فان التحيـة واجبة لقيادتكم التى أحسنت توجيه المعركة وتجاوبت بالكفاءة مع ظروفها المتغيرة وشرفت جنودها بالقدر الذى شرفها به الجنود. وانى لأثق كما تثقون أن القوة المتزايدة للسـلاح المصرى والكفاية المتزايدة للمقـاتل المصرى خصوصا مع زيادة تدعيمها بالعلم الحديث تضع على الأرض العربية حقيقـة لا يمكن اغفالها ولا تخطيها .

أيها الرجال :

ان أمتكم التى استقبلتكم اليوم بأفراحها ، وباعتزازها تحيى فيكم كل قوات اليمن، التى سبقتم أنتم الى اليمن طليعة لمعركتها ، وعدتم الى هنا بشيرا بنصرها ، انهم هناك على أرض الثورة اليمنية حتى هذه السـاعات وحتى الساعة التى يتأكد فيها ، بغير خديعة، وبغير شك ، ان الرجعية الحاقدة على ثورة اليمن ، قد اضطرت بالهزيمة ان تبقى احقادها ضد الثورة فى قلبها .

مهمـة التـاريخ
تجاه الرجعية

واذا كانت لنا القـدرة ان نحطم كل محاولاتهم للعدوان ، فليست بنا القدرة على نزع الاحقاد من قلوبهم فهذه مهمة يتولاهـا التاريخ بدرسه البليغ ، وعبرته التى تحتم نصر الانسان الحر على كل مستغليه ، سـواء كان التخلف المفروض بالقهر سلاحهم ، أو كانت النار هى ذلك السلاح .

واذا وصلت الى هذا الحد ، فانى باسـم أمتكم ، أوجه من هنا شكرنا الصـادق الى الشعب اليمنى المجيد ، الذى اعلا من قدركم بطلب وقوفكم معه ضد العدوان ، والذىأكرم استقبالكم على أرضه ، والذى كان لكم خير أخوة السلاح ورفاق المعركة .

ان الشعب اليمنى بقيادته الثورية ، أكـد بصموده وباصراره على اعادة بناء حياته ، انه صاحب حق لا ينازع فى مساندة عربية تقف معه ، مساندة فعلية واقعية تواجه النار بالنار ولا تواجه بالكلمات الخالية منالقوة ، لاتصنع أثرا وان طابت نواياها .

أيها الرجال :

وفى هذه اللحظات أتوجه وتتوجهون معى ، ومعنا الأمة العربية كلها ، بالخشوع والاجلال الى شهدائنا الأبرار الذين سقطوا عـلى أرض المعركة ، لقد جادوا بالدم بغير تردد ، لتتقدم الحرية بغير عوائق ، ومنحوا حياتهم بغير من لأمتهم لتكون لأمتهم الحياة ، وأعطوا بلا حساب وضحوا بلا حرص على شىء الا على الهدف ، لم يذكروا فى لحظة التجربة الهائلة ، وهـم يقتحمون حدود الموت ، شبابهم وآمالـه العراض ، ولا ذكروا احبابا لهم هنا ينتظرون عودتهم باللهفة والحنين ، لم يذكروا فى لحظة قدرهم المجيد الا وطنهم ، والا أمتهم ، والا الحرية .

لن نسكت على العدوان

أيها الرجال :

ان تضحياتهم ، وتضحياتكم ، ونصرهـم ونصركم ، يفرض علينا جميعا مسئوليات لا ينبغى أن يلحقها وهم أو تفريط مهما كانت الظروف وانى لأعد بالذات أمامكم هنـا مسئوليتين تتقدمان غيرهما من المسئوليات .

الأولى : هى أننا نريد السلام لكننا نريد السلام على الأرض العربية ، سلاما عربيـا لايسكت علىالعدوان ، ولا يقبل بانتهاك حرمة أرض عربية واعطائها بالغصب لقواعـد العدوان الدخيلة على أرض العرب .

ان السلام الذى لا يمكن أن يكـون على الأرض العربية سلام غيره ، هو السلام الذى

يعود به الحق الى أصحابه فى فلسطين ، ولن نقبل مهما كانت الظروف سلام الأمر الواقع فمثل ذلك السلام ليس سلاما حقيقيا ، دائما هو عدوان يتستر ضلالا بأردية السلام ، لن تقبل أمتنا أى ضلال .

ان السلام الذى تريده الأمة العربية على أرضها ، لا يمكن الا أن يكون سلاما عربيا فى نواياه ، وفى أهدافه ، وفى ارادته . ولن تستطيع قوة من القوى أن تفرض علينا ما تسميه سلاما .

ان السلام لا تفرضه حراب العدوان والسلام لا تفرضه قوة الدول الكبرى ، وان ظنت بنفسها قدرة التدخل فى شئون غيرها من الشعوب .

والمسئولية الثانية ، هى أن النصر الذى تحقق بتضحيات الرجال ، وبدمهم الطاهر الذى تدفق بذلا وعطاء ، هو وديعة غالية ينبغى الحرص عليها ، والدفاع عنها تحت كل الظروف .

لم تكن حربكم – أيها الرجال فى اليمن ، مغامرة ، وانما كانت حربكم – أيها الرجال – نضالا ثوريا امسك بالماضى وراح يغيره بالنار والدم ، ليكون التحول الخلاق مما كان الى ما ينبغى ان يكون وانه لواجب على الأمة العربية كلها ، أن تحمى الوديعة الغالية ، التى قدمتها اليها تضحيات الرجال ، وجودهم حتى بالحياة، وحين نجد انحرافا مع الهوى ، أو انسياقا مع المطامع الأنانية أو تلاعبا بالأهداف الكبرى، خصوصا من جانب عناصر تفترض أنها من قوى الثورة ، فاننا لا نعتبر ذلك تورطا سياسيا ، أو حزبيا فحسب ، وانما نعتبره اساءة الى شرف التضحيات التى بذلها البواسل من الرجال الذين حركوا المد الثورى العربى من جديد ، بعد نكسة الانفصال ، وانى لأثق ساعتها أن الأمة العربية اذا غفرت أى شىء ، فلن تغفر مهما طال المدى أى اساءة الى شرف التضحيات العظيمة فى ميدان القتال .

أيها الرجال :

يا أبناء أمتكم الأوفياء ، ويا جنودها الشجعان ، ويا طلائع زحفها الى الحرية والاشتراكية والوحدة ، أمام أعلامكم المنتصرة تحنى أمتكم العزيزة هذه اللحظة رأسها ، تحية ، وعرفانا ، ومحبة،وفخرا والله يوفقكم

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة الأفريقى

جلالة الامبراطور .. سيادة الرئيس .. أيها الأصدقاء الأعزاء :

من قرب مصب النيل ، جاء الى هنا وفد الجمهورية العربية المتحدة ، متبعا مجرى النهر الخلاق ، واصلا الى منبع من أهم منابعه هنا فى هذا البلد العظيم .

فاذا كان بينكم .. أيها الأصدقاء .. من أبدى اعجابه فى هذه القاعة بكرم هذا الشعب الاثيوبى المجيد الذى استضاف هذا المؤتمر فى بيته ، وبدقة تنظيمه ، وبالأمة التى بذلت كل جهدها ليتمكن المؤتمر من انجاز مهمته فى سهولة ويسر ، فلقد سبق لنا منذ سنين بعيدة قديمة قدم التاريخ الانسانى ، ان عرفنا كرم هذا البلد ودقةنظامه،يجىء الينا فيضانا فى كل عام مع مجرى النيل الخلاق ، ويجىء الينا فى موعده دائما لايتخلف عنه ولا يتأخر

هكذا اثيوبيا، أرضها، وشعبها وأمبراطورها الذى أعطى لهذا المؤتمر رعايته وجهوده ، ما نراه ونقدره ، ونقابله بالشكر والعرفان العميق .

أيها الأصدقاء :

أرجو أن تأذنوا لى باختصار هذا الحديث الى أقصى حد مستطاع ان الواضح لى مما سمعت حتى الآن ، أن أفكارنا جميعا تدور فى نفس الأفق ، وتتلاقى نظراتنا على نفس الاهتمامات ، ولقد تجلى ذلك فى الاتفاق السريع الذى توصل اليه وزراء الخارجية الذين سبقونا الى هنا ، وقاموا بجهد يستحق التقدير تمكنوا به من الوصول الى مشروع جدول الأعمال الذى يضم عديدا من القضايا التى تشد اهتمامنا وتشغل بالنا . ومن حولها دارت وعليها التقت نظراتنا فى هذه الجلسات

الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطابه فى مؤتمر القمة الافريقى

ومن هنا ، فنحن نشعر الآن أن الوقت قد حان لتحويل كل ما نفكر فيه ونتطلع اليه الى خطة عمل .

المهمة التى تنتظرنا

واذا سمحتم لى ، فان تصورى للمهمة التى تنتظر عملنا هنا تسير على النحو التالى :

أولا – تعتبر الجمهورية العربية المتحدة أن القارة الافريقية تواجه اليوم أقصى مراحل نضالها . واذا كنا نقول ان أعلام الاستقلال التى ارتفعت على أرض القارة خلال السنوات الأخيرة ، دليل على أن ميلاد الحرية قد تحقق فان الميلاد وحده حتى بمعجزته البالغة لا يكفى . فان الحرية لابد أن تنمو ولابد أن يكون نموها صحيحا ، وكاملا ، وقادرا على مواجهة مسئوليات الحياة ، فى عصرها ، من هنا بعد معجزة الميلاد ، فان القارة تواجه الآن فى رأينا تحديات الحياة ، وعليها وفق ظروف صعبة أن تؤكد صلاحيتها للبقاء والنمو . وأكثر من ذلك قدرتها على تجديد الحياة ذاتها وتطويرها .

ولست أظننى فى حاجة الى تفصيل هذه الظروف الصعبة ولعله يكفينى أن أشير اليها وبينها ما يطل على القارة من خارجها ، وبينها ما يقبع على أرض القارة ذاتها .

من خارج القارة هناك الاستعمار الذى لم يقض عليه القضاء النهائى والكامل فى كل أجزاء القارة . والذى ما زال يعاند بشراسة فى بعض هذه الاجزاء . وفى بعضها الآخر يحاول أن يتنكر وراء اقنعة مزيفة .

وهناك الاضطهاد العنصرى والتفرقة يفرضهما على بعض اجزاء القارة هؤلاء الذين ينهبون ثرواتها ويشتركون فى عمله ، ومع ذلك لا يتورعون عن بيع كراماتها فى أول مظاهرها الانسانية . وهناك التستر وراء الاحلاف العسكرية لاتخاذ أراضى الشعوب قواعد لها .

تحية لذكرى لومومبا

وهناك محاولات اصطناع أدوات للاستعمار جديدة ومبتكرة تتسلل **حتى وراء أعلام الأمم المتحدة التى جرت من تحتها فى الكونجو خلال أزمته العنيفة تلك المأساة المروعة التى راح ضحيتها الثائر الافريقى الشهيد باتريس لومومبا ..** وحتى تحت ستار تقديم المعونات

لشعوب القارة وقعت محاولات تسلل. وهناك الاصرار على تحويل القارة الى مجرد مخزن للمواد الخام بأسعار لا تكفى لسد جوع أهلها بينما الفائدة كلها تذهب الى البلاد المستوردة التى تحاول أن تجعل من تقدمها الصناعى والعلمى شبه استعمار من نوع جديد، من حيث هو استغلال غير عادل لثروات الغير دون مشاركة منصفة.

وهناك الوصول الى حد اتخاذ أراضى شعوب القارة ميدانا للتجارب الذرية بغير رضا هذه الشعوب، وخلافا مع آمالها فى السلام، وتهديدا مباشرا لها، حتى فى الهواء الذى تستنشقه على ترابها الوطنى.

وهناك عمليات اغتصاب أراضى الشعوب وتحريمها على أصحابها الشرعيين واباحتها لمستوطنين جاءوا من بعيد ورفضوا أن يكون لهم حق الضيف، وراحوا استعلاء وارهابا يطلبون جبروت السيف.

وهناك عملية التضليل بالشعارات. حتى العدل، وحتى السلام، أريد لهما ان يخضعا لضرورات الأمر الواقع ولا يمكن أن يكون سلام بغير عدل فان قبول الأمر الواقع بغيره معناه الرضا بالاستسلام وذلك أبعد الأشياء عن السلام.

مواجهة مشكلة التخلف

وعلى أرض القارة ذاتها ظروف صعبة أخرى، فاذا كانت الأرض الافريقية عدلا لا تتحمل مسئولياتها، فان عليها واجبا ان تجد لها أفضل الحلول بصرف النظر عن توزيع المسئوليات هناك.. **مثلا مشكلة التخلف المروع الذى تعيش فى آثاره أغلبية شعوب القارة، وهو يضع تفاوتا مخيفا بين مستويات المعيشة على أرضها ومستوياتها على قارات أخرى سبقت الى التقدم. وهذه مشكلة لا تمس كرامة القارة وحقوقها المشروعة فحسب وانما هى ذات أثر خطير على السلام العالمى فكيف يمكن أن يستقر سلام بين الغنى الفاحش وبين الفقر المدقع فى عالم تلاشت فيه المسافات.**

وهناك مشكلة التفاوت الاجتماعى داخل الوطن نفسه : وهو وضع لا بد أن يصحح نفسه لتطبيق معايير أكثر عدلا تمنح المواطنين داخل الوطن الواحد فرصا متكافئة للحياة.

وهناك مشاكل التنمية لمواجهة آثار التخلف ولمواجهة ضرورات العدل الاجتماعى وبينها مشاكل التخطيط والتمويل والخبرة، وفى هذه المجالات كلها تحتاج القارة الى كثير من المعونات.

المعونة فرض على المستعمر

وللجمهورية العربية المتحدة نظرة فى مسألة المعونات الخارجية. وهى تراها حقا للشعوب المتخلفة على الذين سبقوا فى التقدم.. حقا يستند الى التكافل الانسانى والى تدعيم السلام، بل ان الجمهورية العربية المتحدة ترى هذه المعونات فريضة واجبة الاداء على الدول الكبرى ذات التاريخ الاستعمارى قبل غيرها، تعويضا عن النهب الذى تعرضت له وما زالت تتعرض له شعوب عديدة فى افريقيا وآسيا، نزحت ثرواتها نزحا منظما ليكون الرخاء حكرا لغيرها، ويبقى لها احتكار الفقر

واذا كان هناك من يطالبنا أن نغفر الماضى فنحن على استعداد من أعماق قلوبنا للغفران لكننا على غير استعداد للنسيان.. نغفر ولكن لا ننسى.. نطوى الصفحة القديمة بالتسامح، لكننا نخطىء لو طويناها بالسذاجة

وهناك مشاكل الحدود بين دول افريقية عديدة، وهى حدود نعرف كلنا كيف رسمت فى بعض الأحيان، وكيف جرى تخطيطها.

وهناك الرواسب القديمة التى تركت بقعا عديدة مظلمة على وجدان قارتنا والتى تحتاج الآن الى جهود هائلة فى مجالات التربية والتعليم والثقافة كى يتم تحرير الانسان الافريقى من كل الأغلال غير المنظورة التى تكبله وتحد من حركته.

وحتى مواجهتنا لهذه الظروف الصعبة من خارج القارة وعلى أرضها، تتم فى جو يزيد الصراع ضدها حدة وخطورة، اننا نمارس صراعنا من أجل تطوير الحياة فى مواجهة تيارات عنيفة.

تحريض الأخ على أخيه

هناك القوى صاحبة المصالح فى فرض التخلف علينا، وهى لاتتورع عن المضى الى

حد تحريض الأخ على أخيه .. تزرع الشكوك لكى تترك لنا حصاد الكراهية .

وهناك تيارات الحرب الباردة وشدها وجذبها .. ثم نحن نعيش فى عالم تلاشت فيه المسافات بسبب التقدم العلمى الكبير ، خصوصا فى وسائل المواصلات الأمر الذى نقل معارك الحرب الباردة الى بيوتنا ذاتها ، والى قلوب الناس وعقولهم داخل البيوت . ومن نتيجة ذلك ، فنحن نعيش فى عالم متفتح بالاحتمالات .. عالم زادت فيه مطالب الانسان الحقة والمشروعة ، بدون زيادة فعالة ومؤثرة فى امكانياته تسمح بتوفر هذه المطالب الحقة والمشروعة . ولا يمكن الوصول الى قرب الوفاء بآمال البشر الواسعة ، الا بعمل منظم يقتضى تعبئة وطنية تقوم بالارادة الديمقراطية للشعوب ويفرض عليها بالرضا والوعى وتضحيات لا مفر منها قبل مرحلة الانطلاق . كل ذلك تحت أحكام الحرب الباردة ومخاطرها

ارادة حرة وواحدة

ثانيا ـ تعتبر الجمهورية العربية المتحدة أن هذه المرحلة من النضال الأفريقى التى عرضتها امامكم بقدر ما أستطيع من موضوعية ، لا تجنح الى التشاؤم ولا تفرض نفسها للتفاؤل الحالم ، لمحات من وجودها المختلفة تقتضى أول ماتقتضى وجود ارادة أفريقية حرة واحدة . **وليس من جدال أن هذا المؤتمر فى حد ذاته ، هو دليل على وجود ارادة افريقية حرة وواحدة . وهكذا فان مجرد انعقاد هذا المؤتمر لا يقل أهمية عن أية قرارات تصدر عنه .**

ان هذا المشهد الذى نراه من حولنا فى هذه العاصمة الجميلة أديس ابابا ، مشهد تاريخى لا ينسى ، وستظل القارة لأجيال قادمة تتطلع الى هذا الاجتماع باعتباره نقطة تحول حاسمة فى تقدم العمل الانسانى .

ان مجرد انعقاد هذا المؤتمر دليل ، كما قلت ، على وجود ارادة افريقية ، حرة وواحدة .. فنحن لم نصل الى هنا صدفة ولا وصلنا بسرعة ، وانما جئنا من طرق عدة ، واستغرق مجيئنا محاولات تمكنت أخيرا من تحقيق نفسها ، لأنها تصدر عن نداء للوحدة غلاب لا نستطيع مقاومته ، ولا استطاع غيرنا أن يصدنا عنه .

يؤكد ذلك ان جميع التنظيمات أو التجمعات التى قامت فى السابق لمواجهة مراحل سبقت من تطور العمل الافريقى فى ظروفه وملابساته المتنوعة قد ادركت أن الوقت حان لتلافيها معا وبغير تحفظات ، لكى تكون من لقائها ارادة افريقيا الحرة الواحدة .

ويؤكد ذلك أن جميع التقسيمات التقليدية التى حاول الاستعمار فرضها على القارة وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء ، الى افريقيا بيضاء وسوداء وسمراء . الى شرق وغرب الى افريقيا ناطقة بالفرنسية وأخرى ناطقة بالانجليزية . قد انهارت جميعا وجرفتها الحقيقة الافريقية الأصيلة .. ولم يبق على ارض افريقيا غير لغة واحدة ، هى لغة المصير المشترك ، مهما اختلفت أساليب التعبير .

العقل والأعصاب

ثالثا ـ أصل بعد ذلك الى نقطة ثالثة واخيرة . لقد قلت أولا أن القارة تواجه أخطر مراحل نضالها ، وانها بعد معجزة الميلاد تواجه مسئولية الحياة والنمو والبقاء القوى . وقلت ثانيا ان مجرد انعقاد هذا المؤتمر دليل على وجود ارادة افريقية حرة وواحدة . واقول ثالثا ان هذه الارادة الحرة الواحدة تحتاج الى عقل منظم والى أعصاب محركة لتستطيع أن تصمد لما يواجهها من تحديات ، ولتقدر على التقدم بكفاية الى الآمال الافريقية العظمى .. وهذه هى المهمة التى تنتظر عمل هذا المؤتمر وجهوده .

انها خطوة هامة أن نتبين حدود مسئولياتنا وخطوة أهم أن تلتقى هذه المسئوليات مع ارادتنا الواحدة ، ولكن الخطوة الحاسمة والنهائية أن نضع لهذه الارادة الواحدة محركات قوية تولد الطاقة الخلاقة ، وتدفعها مع الأعصاب الحساسة الى ممارسة التغيير الكبير الذى نريد به تطوير الحياة على أرضنا الأفريقية .

درس من السويس

ليس يكفى أن نرى مشاكلنا ، وليس يكفى أن نتجمع كلنا أمامها ، انما المهم هو ممارسة

نضالنا على كل درجاته وطبقا لمقتضيات الظروف .

ان الاستعمار لن يرحل عن أجزاء ما زال يحتلها من قارتنا الافريقية لمجرد اننا نصرخ فى وجهه ، وان استمرار وجوده اهانة لنا .. لقد صرخنا فى وجه الاستعمار فى بلادنا ٧٠ سنة آملين أن منطق التفاوض سوف يقنعه بالرحيل ، وقد اضطررنا فى النهاية الى حمل السلاح ، وفوجئنا بعد شهور من جلائه عن أرضنا أول مرة فى يونيو ١٩٥٦ ، بعودته الينا مرة أخرى غزوا كاملا فى ٢٩ أكتوبر ، حاشدا فيه قوى ثلاث دول تذرعت بأن استردادنا لقناة السويس واسقاطنا لهذا الاحتكار الباقى عن قرصنات القرن التاسع عشر هو عدوان على القانون الدولى ، وعلى قداسة المعاهدات !

ولقد كان علينا أن نحمل السلاح مرة ثانية . وبرغمنا حملنا السلاح فى معركة فرضت علينا . وكان انتصار السويس انتصارا للحرية فى أفريقيا وفى كل مكان ، ورمزا للخلاص أعطى اشارة الأمل الى عديد من شعوب القارة المناضلة

لست أقول أنه لابد من سويس اخرى فى كل مكان يتمركز فيه الاستعمار،لكنى أقول أن نوايانا الطيبة وحدها لا تكفى ، حتى وان ساندها الضمير العالمى الذى تتعاظم قوته يوما بعد يوم .

وهكذا ، فان مسئولياتنا تفرض علينا الاستعداد لكل الاحتمالات ، ولابد للاستعداد من عقل منظم وأعصاب محركة .

مقاومة .. ومقاطعة

والتمييز العنصرى والاضطهاد ، لن يكفى للقضاء عليهما انهما اهانة للانسانية كلها فى هذا العصر وفى كل عصر .. وانما لابد من مقاومة باسلة بكل الوسائل والطرق ، حتى الوصول الى سلاح المقاطعة الكاملة ، نقلب بها دفة الامور ، ونحول الذين أرادوا فرض العزل على شعوب افريقيا فى أرضها ، الى جيوب معزولة عن الانسانية ، مطرودة خارج نطاق التعاون الدولى .

ولابد للمقاطعة الفعالة بكل الوسائل والطرق من عقل منظم وأعصاب محركة .

وبقية المشاكل التى نواجهها من خارج القارة ، تقتضى نفس الشىء .. الأحلاف لعسكرية لا تسقط تلقائيا كأوراق الخريف .. ونهب الموارد الخام لن يستكفى ولن يصل الى حد الشبع ولن يقبل المستوطنون رضا بحق الضيف تنازلا عن جبروت السيد .

لكن افريقيا تواجه فى كل مشكلة من هذه المشاكل معركة تحتاج الى عقل منظم والى أعصاب حساسة . كذلك مشاكلنا القابعة على ارض القارة ، مشاكل التخلف فى كل الأوطان الافريقية ، ومشاكل التفاوت الاجتماعى داخل كل وطن افريقى ، ثم مشاكل التنمية والحدود والتعليم ، كلها تحتاج نفس الشىء .. عقلا منظما ، وأعصابا حساسة ، ما دمنا جميعا نراها بنفس النظرة ، ونؤمن بضرورة ايجاد حلول لها . وبنفس المقياس مسئوليات افريقيا تجاه السلام العالمى .. وليس معنى ذلك لدقيقة واحدة ، أن تتحول افريقيا الى كتلة دولية أو أن ينعزل العمل الافريقى عن حركة التقدم الانسانية كلها ، ذلك آخر ما نفكر فيه أو نطلبه ، بل نحن نعتبر الوصول الى هذا المدى تعصبا لا نقدر على تحمل نتائجه .

البناء .. والمقاتل

ومن حسن الحظ أن اجتماعنا فى هذه القاعة من قاعات الامم المتحدة ، يذكرنا دائما بأن ما نتطلع اليه هو امتداد لآمال الأمم التى قامتها ووقفت لحمايتها أمام كل خطر يتهددها . وانما الذى نريده كما قلت ، هو عقل افريقى منظم ، واعصاب افريقية محركة توجه الارادة الافريقية الحرة والواحدة لمواجهة المشاكل والتحديات التى تعترض طريق القارة وتحد من قدرتها على تطوير حياتها ، وبالتالى تقلل من اسهامها فى حركة التقدم الانسانى . **وهذه هى المهمة التى تنتظر هذا المؤتمر ، وبمقدار نجاحه فيها بمقدار وفائه بمسئولياته التاريخية تجاه أفريقيا وتجاه الانسانية .. عقل وأعصاب للارادة الافريقية الحرة والواحدة.عقل يملك الحكمة والشجاعة معا . يقاتل كبناء ويبنى كمقاتل يقاتل بقدرة البناء وصبره ، ويبنى بحماسة المقاتل واندفاعه . وأعصاب تملك الجرأة**

الخيال . تواجه المخاطر وتملك الارتفاع برؤياها لترى الآفاق الواسعة والجديدة بامكانيات التطوير الخلاقة .

لا ألفاظ ولا شكليات

هذه قبل غيرها ، مسئولياتنا هنا . مشاكلنا لا تحتاج الى تحديد جديد ، كلنا نراها . ارادتنا الواحدة لاتحتاج دليلا على وجودها . كلنا فى هذه القاعة . ما نحتاجه هو محركات توليد الطاقة من آمالنا الضخمة من امكانياتنا غير المحدودة وتوجيهها.. وهنا حاجتنا الى العقل المنظم والأعصاب المحركة

لتكن جامعة افريقية .. وليكن ميثاق لكل افريقيا . لتكن اجتماعات دورية لكل رؤساء دول افريقيا وممثليها الشعبيين . ليكن أى شىء ..

شىء واحد لا تريده الجمهورية العربية المتحدة،هو أن نخرج من هنا بألفاظ حماسية أو بواجهات تنظيمية شكلية.. فى هذه الحالة نخدع أنفسنا ولا نخدع غيرنا . وفى هذه الحالة نسىء الى افريقيا والى السلام . بل فى هذه الحالة نكون قد ضيعنا ما نملكه فعلا ، وهو رؤية مشاكلنا واجتماع ارادتنا .

موعد لتصفية الاستعمار

أيها الأصدقاء الأعزاء .

لتكن جامعة افريقية – وقد نادى بذلك ميثاق العمل الذى أقره المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية المنتخب ديمقراطيا فى الجمهورية العربية المتحدة والذى تم اقراره فى شهر يونيو من العام الماضى – ليكن ميثاقا لكل افريقيا . لتكن اجتماعات على كل المستويات الرسمية والشعبية ، كما سمعنا هنا من عدد من الأصدقاء .. ليكن أى شىء ، ولكن لابد أن يكون شيئا حقيقيا ، ولنعهد اليه بما نشاء من حكم لنحدد موعدا نهائيا لتصفية الاستعمار لنضع مشروعات للتعاون الثقافى والعلمى ، لنبدأ فى تنسيق تعاوننا الاقتصادى نحو سوق افريقية مشتركة .. كل ذلك وغيره ينتظر جهودنا .. لكن كله يحتاج الى العقل المنظم والأعصاب المحركة . ونذكر دائما فى أى تنظيم نقيمه ، ان يكون عقلا وأعصابا للارادة الافريقية .

لن يتم بناء الوحدة الافريقية بين يوم وليلة وانما هو سوف يستلهم دائما أمانيها ويرسم خطط تحقيقها بما تملكه من امكانيات ، ويتابع تنفيذها باليقظة الساهرة . وهو فى هذا لا يعبر عن وحدتها فحسب ، وانما هو يزيد من عمق احساسها بالوحدة . أى انه ينبع من أمل الوحدة . ويضاعف تلقائيا فى فاعلياتها لممارسة التجربة الحية .

تسلل اسرائيل سينكشف

أيها الأصدقاء الأعزاء :

ان الجمهورية العربية المتحدة أتت الى هنا بقلب مفتوح ، وعقل مفتوح وتقدير للمسئولية مفعم بالنية الصادقة ، وهى مستعدة انتتحمل الى كل الحدود مسئولياتها التاريخية تجاه قارتنا الافريقية . ولقد جئنا الى هنا بغير أنانية .. حتى المشكلة التى نعتبرها من أخطر مشاكلنا وهى مشكلة اسرائيل – التى رأت معنا دول مجموعة الدار البيضاء بحق ، انها أداة من أدوات التسلل الاستعمارى فى القارة وقاعدة من قواعده العدوانية – لن نطرحها للمناقشة فى هذا الاجتماع ، مؤمنين بأن تقدم العمل الافريقى الحر سوف يكشف الحقيقة يوما بعد يوم بالتجربة ، ويعريها من كل زيف أمام الضمير الافريقى ، هكذا جئنا الى هنا بغير تحفظات . بغير مطالب .. اننا نؤمن أن العمل المشترك سوف يزيل حاجتنا الى أى تحفظات ، ونؤمن أن نجاح هذا العمل المشترك سوف يفى بكل مطالبنا .

أيها الأصدقاء الأعزاء :

فى هذا المؤتمر الذى يمثل – لمجرد انعقاده – وجود ارادة افريقية حرة وواحدة فان وفد الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لبذل قصارى جهده بأمانة واخلاص فى سبيل التوصل الى الصيغة التى تجعل للارادة الافريقية الحرة والواحدة عقلا منظما وأعصابا محركة . بذلك يتحقق لافريقيا كل أملها الافريقى فى الحرية والكرامة ، بل يتحقق لأفريقيا كل أملها الانسانى فى السلام القائم على العدل . وسلام عليكم ، وبوركت جهودكم .

نص الإعلان المشترك لميثاق المنظمة

اختتم أقطاب افريقيـــا مساء ٢٥ مايو اجتماعاتهم التاريخية وأعلنـــوا القرارات التى اتخذوها من أجل تحرير القارة ودعـم حريتها واستقلالها وتحقيق الأمانى المشروعة لشعوبها . كما صدر الاعلان المشترك لميثاق منظمة الوحدة الافريقية لتحقيق الوحـدة والتضامن بين دول القارة ، وتنسيق وتعزيز تعاون هذه الدول وجهودها فى سبيل تهيئـة حياة أفضل للشعوب الافريقية ، واتاحـة الوسائل التى تمكن الدول الأعضاء من الدفاع عن استقلالها وصون سيادتها ووحدتهـــا الاقليمية .

وقد نص ميثاق المنظمة التى تضـم كل الدول المستقلة فى القارة على العمل المشـترك للقضاء على جميع أشكال الاستعمار فى القارة، وعلى العمل لتحسين ودعم التعاون الـدولى . وقد بدأ الأقطاب يوقعون الميثاق بعد منتصف الليل بقليل . وكان أول من وقعه السـيد أحمد بن بيللا .

وقد أقر الأقطاب ميثاق المنظمة بالاجماع فى جلسة سرية عامة بدأت فى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم وانتهت فى الساعة الرابعة بعد الظهر . ثم عـاد الأقطاب الى الاجتماع فى الساعة السادسة مساء فعقـدوا جلستهم الختامية وهى سابع جلسة عامـة يعقدها مؤتمر القمة منذ انعقاده ،وفيها أعلن المؤتمر قراراته بعد ان بحث التوصيات التى قدمتها اليه اللجان الفرعية .

وتخلل الجلسة السرية التىعقدها الأقطاب صباح اليوم لاقرار ميثاق المنظمة مشاورات بين الرؤساء ومساعديهم ، واستغرقت حوالى ساعة . فقد رفعت الجلسة فى الســـاعة العاشرة صباحا ثم عـادت الى الانعقـاد فى الساعة الحادية عشرة صباحا .

الموافقة على اقتراحات عبد الناصر

وقد حضر الجلسة السرية ٥ أعضاء فقـط عن كل وفد فى المؤتمر ، وعند بحث الاسـم المقترح للمنظمة اقترح رئيس وفد مالاجاسى (مدغشقر) ان يطلق عليها اسم منظمة الوحدة الافريقية ومالاجاسى ، ولكن أغلبية المؤتمـر رفضت الاقتراح ورأت أن يطلق عليها اسم منظمة الوحدة الافريقية (فقط) .

وقد رفض المؤتمر اطلاق اسم ((منظمـة الدول الافريقية)) على المنظمة الجديدة لأن الحروف الأولى منها باللغة الانجليـــزية هى نفس الحروف الأولى لاسم منظمـة الجيش السرى الفرنسى الارهابية كما انها هى نفس الحروف الأولى لمنظمة الدول الأمريكية .

وقد أثار الرئيس عبد الناصر مسألة اللغة العربية وقال ((انه ليكون من المخجل أن تكون المنظمة افريقية واللغات التى تستخدم فيهـا لغـات أجنبيـــة)) . وأيد الرئيس الغينى سيكوتورى اقتراح الرئيس عبد الناصر وقال ان مركب النقص عندنا هو الذى يرغمنـا على استخدام لغات أجنبية بينما تكون لدينـا لغات افريقية حية .

ووافق المؤتمر على اقتراح الرئيس عبد الناصر وقرر اسـتخدام اللغتين الافريقيتين المكتوبتين كلغات رسمية وهما العربيـــة والأمهرية .

وفيما يتعلق باجتماعات مجلس رؤســاء الدول اقترح الرئيس عبد الناصر أن يعقد هذا الاجتماع مرة كل عام واقترح رئيس تشاد

عقده مرة كل عامين . وتقرر عقد اجتماع الأقطاب مرة كل عام . واقترح أن يعقد اجتماع الاقطاب الأفريقى التالى فى شهر ابريل القادم .

وبعد مناقشات طويلة تمت الموافقة على الميثاق وقد كتب باللغات العربية والانجليزية والأمهرية والفرنسية ، ويصبح الميثاق نافذ المفعول بعد توقيعه بستة أشهر سواء تم التصديق عليه أم لم يتم .

وكذلك نوقشت مسألة انشاء سكرتارية المؤتمر وتمت الموافقة عليه ولكن لم يتقرر بعد مقرها .

وبعد منتصف الليل تم توقيع الميثاق ثم بدأ اعلان القرارات الأخرى التى اتخذها الأقطاب .

وقد قرروا تأليف لجنة من تسع دول لتنسيق المساعدة التى تقدم لحركات التحرير على أن تقوم الدول الأخرى بابلاغ اللجنة عن مقدار ما تستطيع ان تسهم به من الأموال والمواد .

والدول التسع الأعضاء فى اللجنة هى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ونيجيريا وتنجانيقا وأوغندا ، والسنغال وأثيوبيا والكونغو .

مشروعات القرارات التى تمت الموافقة عليها تختص بالمسائل الآتية :

أولا ـ ازالة الاستعمار .

ثانيا ـ انهاء التفرقة العنصرية ، وهذا المشروع موجه ضد جنوب افريقيا والولايات المتحدة .

ثالثا ـ انشاء لجنة للتعاون الفنى .

رابعا ـ التعاون الاقتصادى بما فى ذلك احتمال انشاء سوق مشتركة .

خامسا ـ نزع السلاح ، ويستنكر هذا المشروع وجود القواعد العسكرية الأجنبية فى افريقيا وفى غيرها .

أما المشروع السادس فخاص بانشاء سكرتارية دائما لمنظمة الوحدة الافريقية .

وقد عهد الى أثيوبيا بأمر السكرتارية المؤقتة بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة وغانا ونيجيريا وأوغندا والنيجر والكونجو (برازافيل) .

الاعلان المشترك للميثاق

وفيما يلى نص الاعلان المشترك للميثاق الذى أصدره الأقطاب .

نحن رؤساء الدول والحكومات الافريقية المجتمعين فى مدينة اديس أبابا بأثيوبيا .

نعرب عن اقتناعنا بحق جميع الشعوب الثابت فى أن تقرر مصيرها بنفسها .

وندرك هذه الحقيقة وهى أن الحرية والمساواة والعدالة والكرامة أهداف جوهرية لتحقيق الأمانى المشروعة للشعوب الافريقية .

وندرك المسئولية الواقعة على عاتقنا من أجل استغلال الموارد الطبيعية والبشرية لقارتنا فى سبيل تقدم شعوبنا فى مجالات العمل الانسانى .

ويلهمنا التصميم المشترك على تشجيع التفاهم بين شعوبنا والتعاون بين دولنا استجابة لأمانى شعوبنا من أجل تقوية أواصر أخوتنا وايجاد التضامن فى وحدة أكبر تسمو على جميع الخلافات العنصرية والقومية .

ونحن مقتنعون بأنه لترجمة هذا التصميم الى قوة ديناميكية من أجل قضية التقدم الانسانى يجب ايجاد الظروف الملائمة للابقاء على الأمن والسلام .

ونحن يحدونا التصميم على ضمان وتدعيم استقلال دولنا الذى حصلنا عليه بمشقة وصعوبة وكذلك على سيادتها وسلامة أراضيها وعلى محاربة الاستعمار الجديد بجميع صوره .

ونحن نكرس انفسنا لتحقيق التقدم العام فى افريقيا .

ونحن مقتنعون بأن ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان وهما اللذان نؤكد تمسك مبادئنا بهما يوفران اساسا متينا للتعاون الايجابى والسلمى بين الدول .

واننا نرغب فى توحيد جميع دول افريقيا ومالاهاس من أجل ضمان رفاهية ومستقبل

شعوبنا ونعرب عن عزمنا على تعزيز الروابط بين دولنا بانشاء وتقوية منظماتنا المشتركة .

وبناء على ذلك نعلن اتفاقنا على انشاء منظمة الوحدة الافريقية .

المادة الأولى :

تعلن الأطراف العليا المتعاقدة على ضوء الميثاق الحالى انشاء منظمة تعرف باسم « منظمة الوحدة الافريقية » وتتكون هذه المنظمة من دول قارة افريقيا ومن مالاجاس (مدغشقر) والجزر المجاورة .

المادة الثانية :

يكون للمنظمة الأغراض التالية ..

١ – تشجيع وحدة وتضامن الدول الافريقية .

ب – تنسيق وتعزيز تعاون دول المنظمة وجهودها التى تبذلها فى سبيل تحقيق حياة أفضل لشعوب افريقيا .

جـ – الدفاع عن سيادة دول المنظمة وسلامة أراضيها واستقلالها .

د – القضاء على جميع صور الاستعمار من قارة افريقيا .

هـ – تشجيع التعاون الدولى مع النظر بعين الاعتبار الى ميثاق الأمم المتحدة والاعلان الدولى لحقوق الانسان .

٢ – ومن أجل تحقيق هذه الأغراض ستقوم الدول الأعضاء بتنسيق وتنظيم سياساتها العامة وخاصة فى الميادين التالية .

أ – التعاون السياسى والدبلوماسى .

ب – التعاون الاقتصادى بما فيه النقل والمواصلات .

جـ – التعاون فى ميادين التعليم والثقافة .

د – التعاون فى ميادين الصحة والطب والتغذية .

هـ – التعاون العلمى والفنى .

و – التعاون فى ميادين الأمن والدفاع .

المادة الثالثة :

تؤكد الدول الأعضاء وتعلن تمشيا مع الأغراض المذكورة فى المادة الثانية تمسكها بالمبادىء التالية .

١ – المساواة فى السيادة لجميع دول افريقيا .

٢ – عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول .

٣ – احترام سيادة كل دولة وسلامة أراضيها وحقها الأكيد فى الحياة تحت ظل الاستقلال .

٤ – تسوية جميع المنازعات بطريقة سلمية عن طريق المفاوضات أو الوساطة أو التراضى أو التحكيم .

٥ – الاستنكار التام لأعمال الاغتيال السياسى بجميع صوره وكذلك أنواع النشاط الهدام من جانب أية دولة سواء أكانت مجاورة أو بعيدة .

٦ – تكريس جميع الجهود الى أقصى حد من أجل تحقيق الاستقلال الكامل لجميع الأراضى الافريقية التابعة .

٧ – توكيد سياسة عدم الانحياز فى مواجهة جميع التكتلات .

المادة الرابعة :

لكل دولة أفريقية مستقلة ذات سيادة الحق فى أن تصبح عضوا فى المنظمة حقوق وواجبات الدول الأعضاء .

المادة الخامسة :

تتمتع جميع الدول الأعضاء بحقوق وواجبات متساوية .

المادة السادسة :

تتعهد الدول الأعضاء بأن تلتزم بكل دقة بالمبادىء المنصوص عليها فى المادة الثالثة من الميثاق .

مجالس المنظمة

المادة السابعة :

تقوم منظمة الوحدة الافريقية بتحقيق أهدافها عن طريق المنظمات الأساسية التالية :

١ – مجلس لرؤساء الدول والحكومات .

٢ – مجلس للوزراء .

٣ – السكرتارية العامة .

٤ – لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم .

المادة الثامنة :

مجلس رؤساء الدول والحكومات هو الهيئة العليا للمنظمة ويخضع فى عمله لما ورد فى هذا الميثاق من نصوص كما يناقش هذا المجلس الأمور ذات الأهمية المشتركة لافريقيا بغرض تنسيق وتنظيم السياسة العامة للمنظمة ويكون للمجلس بالاضافة الى ذلك اعادة النظر فى تكوين المنظمة ووظائفها وقوانينها وكذلك استعراض أعمال اية وكالات متخصصة تابعة للمنظمة يتم انشاؤها وفقا للميثاق الحالى .

المادة التاسعة :

يتكون هذا المجلس من رؤساء الدول والحكومات أو من ممثليهم المفوضين على أن يجتمع المجلس مرة على الأقل كل عام .

ويجتمع المجلس فى دورة طارئة بناء على طلب أى عضو من الدول الأعضاء على أن توافق على ذلك أغلبية الأعضاء

المادة العاشرة :

١ ـ لكل عضو من الدول الأعضاء صوت واحد .

٢ ـ تتم الموافقة على جميع القرارات بأغلبية ثلثى الأعضاء .

٢ ـ القرارات الخاصة باجراءات العمل فى المنظمة تتم الموافقة عليها بأغلبية بسيطة وتحدد الأغلبية فى أصوات الدول الأعضاء الممثلة فى الاجتماعات والتى تشترك فى التصويت ما اذا كان يمكن اعتبار احدى المسائل خاصة باجراءات العمل أم لا .

٤ ـ يشكل ثلثا الدول الأعضاء المشتركة فى المنظمة العدد القانونى اللازم لعقد اجتماع مجلس رؤساء الدول والحكومات .

المادة ١١ :

يكون لهذا المجلس سلطة تحديد قواعد اجراءاته الخاصة .

المادة ١٢ :

يتكون مجلس وزراء المنظمة من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو اى وزراء تحددهم حكومات هذه الدول .

ويجتمع مجلس الوزراء بألا يقل عن مرتين فى السنة . ويجتمع فى دورة طارئة بناء على طلب أى عضو من الدول الأعضاء على أن يوافق على ذلك ثلثا الدول الأعضاء .

المادة ١٣ :

يكون مجلس الوزراء مسئولا أمام مجلس رؤساء الدول والحكومات ويوكل اليه بمسئولية الاعداد لمؤتمرات رؤساء الدول والحكومات ويقوم بأى مهمة يحيلها عليه مجلس رؤساء الدول كما يوكل اليه أمر تنفيذ قرارات هذا المجلس .

ويقوم مجلس الوزراء بتنسيق التعاون بين الدول وتمشيا مع المادة الثانية من الميثاق .

المادة ١٤ :

١ ـ يكون لكل دولة من الدول الأعضاء صوت واحد .

٢ ـ جميع القرارات تصدر بأغلبية بسيطة من مجلس الوزراء

٣ ـ يكون العدد القانونى مستوفيا لأى اجتماع للمجلس بحضور ثلثى الأعضاء

المادة ١٥

يكون للمجلس سلطة تحديد قوانين اجراءاته .

السكرتارية العامة

المادة ١٦ :

يعين مجلس رؤساء الدول والحكومات سكرتيرا عاما اداريا للمنظمة ويقوم هذا السكرتير الادارى العام بتوجيه شئون السكرتارية . .

المادة ١٧ :

يعين مجلس رؤساء الدول والحكومات مساعدا أو أكثر لسكرتير عام المنظمة .

المادة ١٨ :

تكون أعمال السكرتير العام ومساعديه وغيرهم من العاملين فى السكرتارية وشروط خدمتهم خاضعة لما ورد فى هذا الميثاق ووفق التنظيمات التى يقرها مجلس رؤساء الدول والحكومات .

لجان المنظمة

المادة ١٩ :

تتعهد الدول الأعضاء بتسوية جميع خلافاتها القائمة بينها عن طريق الوسائل

السليمة · ومن أجل ذلك تقام لجنة للوساطة والتسوية والتحكيم يحدد بروتوكول منفصل يوافق عليه رؤساء الدول والحكومات كيفية تشكيلها وشروط العمل الخاصة بها · وينظر الى هذا البروتوكول على أنه جزء لا يتجـزأ من الميثاق ·

المـادة ٢٠

يقيم مجلس رؤساء الدول والحكومـات اللجان المتخصصة التى يعتبر وجودها أمـرا ضروريا ومن بينها .

١ ـ لجنة اقتصادية واجتماعية .

٢ ـ لجنة لشئون التعليم والثقافة·

٣ ـ لجنة لشئون الصحة والعـلاج والتغذية .

٤ ـ لجنة للدفاع .

٥ ـ لجنة للشئون العلمية والفنيـة والابحاث .

المـادة ٢١

تتألف كل لجنة من اللجـان المذكورة فى البند السابق من الوزراء المختصين أو من الوزراء الآخرين أو المفوضين الذين تقـوم حكومات الدول الأعضاء بتعيينهم .

المـادة ٢٢ :

يتم تحديد وظائف اللجان المتخصصـة وفقا لما جاء فى الميثاق الحالى ووفقا للتنظيمات التى يقرها مجلس الوزراء .

الميـزانية

المـادة ٢٣ :

يوافق مجلس الوزراء على ميزانية منظمة الوحدة الافريقية التى يقوم باعدادهـا السكرتير العام .

ويتم توفير هذه الميزانية عن طريق اسهام كل دولة من الدول الأعضاء حسب النسبة التى تساهم بها فى ميزانية الأمم المتحدة على الا تزيد حصة أية دولة من الدول الأعضاء عن ٢٠٪ من الميزانية السنوية للمنظمة ، وتوافق الدول الأعضاء على دفع حصصها بانتظام .

التصديق على الميثاق

المـادة ٢٤ :

١ ـ الباب مفتوح أمام جميع دول افريقيا ومالاجاسى المستقلة ذات السيادة لتوقيع هذا الميثاق .

وتقوم الدول الموقعة على الميثاق بالتصديق على الانضمام الى عضوية الميثاق وفقـا للاجراءات الدستورية لكل دولـة من الدول الموقعة على الميثاق .

٢ ـ تودع المستندات الأصلية للميثاق / وهى التى يتم تحريرها باللغات الافريقية ان أمكن أو باحدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية وتعتبر جميعها مستندات لها صبفتهـا الرسمية / تودع لدى حكومة أثيوبيـا التى تقوم بارسال نسخ معتمدة منها الى جميع دول أفريقيا ومالاجـاسى المستقـلة ذات السيادة .

٣ ـ تودع مستندات التصـديق لدى حكومة أثيوبيا التى تخطر بذلك جميع الدول الموقعة على الميثاق ·

بدء العمل بالميثاق

المـادة ٢٥ :

يبدأ سريان هذا الميثاق فور تسلم حكومة أثيوبيا لمستندات التصـديق من ثلثى الدول الموقعة وبأقصى سرعة ممكنة .

المـادة ٢٦ :

يتم تسجيل هذا الميثاق / بعد التصديق اللازم عليه / لدى سكرتيرية الأمم المتحدة عن طريق حكومة أثيوبيا ووفقا للمـادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة .

المـادة ٢٧ :

اى مشكلة تثار حول تفسير الميثاق يتم اتخاذ قرار بشأنها ويوافق عليه بأغلبية ثلثى أصوات رؤساء الدول والحكومات الأعضـاء فى المنظمة .

التأييد والانضمام الى المنظمة

المـادة ٢٨ :

١ ـ يمكن لأية دولة افريقية مستقلة ذات سيادة اخطار السكرتير العام الادارى فى أى وقت بعزمها على تأييد هذا الميثاق أو الانضمام الى عضويته .

٢ ـ على السكرتير العـام الادارى عنـد وصوله مثل هذا الاخطار ارسال نسخ منـه

البقية ص ٢١

زعماء العالم الإسلامي .. في القاهرة

الدكتور ذاكر حسين

نائب رئيس جمهورية الهند يقول :

عبد الناصر يعلم أدق تفاصيل مشاكل العالم

شاهدت تطبيق مبادئ عبد الناصر على كل نواحي النشاط

وصل الى القاهرة يوم ٤ ابريل الماضى الدكتور ذاكر حسين نائب رئيس جمهورية الهند فى زيارة رسمية استغرقت أسبوعين .

وعقب وصول الضيف الكريم الى القاهرة التقى بالرئيس جمال عبد الناصر ودارت بينهما المباحثات الرسمية ، وقد تناولت المسائل التى تهم الجمهورية العربية المتحدة والهند .

كذلك قام الدكتور ذاكر حسين بعقد اجتماعات مع السيد عبد اللطيف البغدادى نائب الرئيس والسيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى .

وقد تضمن البرنامج الرسمى لنائب رئيس جمهورية الهند،صلاة الجمعة بالمسجد الحسينى وزيارة ضريح الامام الحسين ، كما زار جامعة القاهرة حيث تسلم درجة الدكتوراه الفخرية من مدير الجامعة والاجتماع بفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ..وزيارة الاقصر وأسوان والمتاحف والمفاعل الذرى ، ومصنع الحديد والصلب بحلوان ومصانع الطائرات العربية ..

وقد أشاد الدكتور ذاكر حسين نائب رئيس جمهورية الهند بالعلاقات الوطيدة بين الهند والجمهورية العربية المتحدة ، وقال انه يتمنى أن تزداد هذه العلاقات توثقا مع الأيام .

وقال : ان مباحثاته مع الرئيس جمال عبد الناصر تناولت الموضوعات التى تهم البلدين والمشكلات الدولية وأضاف انه أعجب بالمام الرئيس عبد الناصر بأدق تفاصيل المشكلات العالمية وانه يتتبع دائما آراء ومبادىء الرئيس عبد الناصر وقال ان زيارتى للجمهورية العربية كانت فرصة طيبة لمشاهدة آثار تطبيق هذه المبادىء فى جميع نواحى النشاط .

وقد جاء ذلك فى حديث خاص أدلى به الدكتور ذاكر حسين الى وكالة أنباء الشرق الأوسط ، وتناول فيه تطبيق الاشتراكية فى الهند ، وقال ان النظام الاقتصادى الهندى يهدف الى العدالة الاجتماعية لجميع المواطنين، فهناك الضرائب وتوزيع الأراضى على صغار الزراع ، كما أن مشروعات التصنيع الضخمة وتعميم الصناعات الصغيرة تهدف الى زيادة الدخل القومى ورفع مستوى معيشة الشعب .. ووصف نائب رئيس جمهورية الهند النزاع على الحدود بين الهند والصين بأنه اعتداء دولة على أخرى . وقال ان الهند قبلت مقترحات مؤتمر كولومبو بأكملها وانه من الحكمة أن تقبلها الصين أيضا . وأضاف انه يرى أن زيارة على صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى فى الجمهورية العربية لبكين ستكون لها نتائج حسنة بالنسبة لهذه المشكلة .

وأجاب على سؤال عن الأخبار التى أذاعتها باكستان أخيرا عن هجرة ٢٣ ألف مسلم هندى من (اسام وتريبورا) الى باكستان الشرقية بقوله ان هناك أيضا مئات الألوف قد هاجروا من باكستان الى اسام ..وأضاف ان هذه المشكلة موجودة منذ فترة طويلة ، وهى تحدث بسبب الأحوال الاقتصادية ، وبسبب توزيع العائلات بين الهند وباكستان.

وقد زار الدكتور ذاكر حسين مقر الجامعة العربية حيث استقبله السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام، ثم غادر سيادته القاهرة بعد انتهاء زيارته الرسمية ، وكان فى وداع الضيف الهندى السيد حسن ابراهيم عضو مجلس الرياسة مندوبا عن الرئيس جمال عبد الناصر ووزراء الشئون الاجتماعية والعدل والتعليم العالى والاسكان والحربية وكبار ضباط القوات المسلحة .

نبذة عن حياة الدكتور ذاكر حسين

الدكتور ذاكر حسين من ابرز زعماء الهند الذين يتمتعون بشهرة شعبية واحترام عالمى ، وهو معروف بغزارة علمه وبساطة حياته وكان من أقرب أصدقاء « المهاتما غاندى » وتعتبر المثل العليا لغاندى مصدر الهام له . وقد لعب دورا بارزا فى حياة الهند خلال معارك الاستقلال .

وبعد أن نالت الهند استقلالها كان المعبر الأول عن مشروع غاندى للتربية الأساسية فى الهند .

وقد ساهم بنصيب كبير فى التوفيق بين النظام التربوى وبين الحاجات اليومية لبلاده ..

والدكتور ذاكر حسين حصل على ماجستير

فى الآداب ودكتوراه فى الاقتصاد من جامعة برلين مع الدكتوراه الفخرية فى الآداب (من دلهى وكلكتا وعليكرة والله اباد) ووسام رئيس الجمهورية تقديرا لخدماته فى عام ١٩٥٤ ، وقد عين حاكما لولاية بيهار من ٦ يولية سنة ١٩٥٧ الى ١١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وتولى منصب نائب رئيس الجمهورية من ١٣ مايو سنة ١٩٦٢ ، وكان فى مقدمة المنضمين الى حركة عدم التعاون (الجهاد لأجل الحرية فى غير عنف) التى بدأها المهاتما غاندى ضد الاستعمار البريطانى .

وقد تولى منصب مدير الجامعة الملية فى دلهى، ورئيس الجمعيةالتعليمية الهندوستانية بسيفاجرام ثم مدير جامعة عليكرة الاسلامية ورئيس لجنة الهندالتابعة لهيئة شئون الطلبة الدولية وهيئة الشئون الجامعية العالمية بجنيف والمجلس المركزى للتعليم الثانوى واللجنة القومية للتربية الأساسية الى جانب عضويته للجنةالمنح الجامعية والمجلس التنفيذى لهيئة اليونسكو بباريس ولجنة التربية الجامعية ولجنة الصحافة الهندية ولجان اعادة التنظيم التربوى ببيهار وأونار براديش ومادهنا براديش .

ومن بين ما نشر للدكتور ذاكر حسين ترجمته لجمهورية افلاطون الى اللغة الأوردية وسلسلة محاضراته العامة التى ألقاها تحت رعاية جامعةدلهى ونشرت بعنوان «الرأسمالية» رسالة فى الفهم الرأسمالى ، ثم مؤلفه الكلاسيكى عن « التربية الأساسية » وكتابه بعنوان « أحاديث تربوية » .

ومن مؤلفاته فى الاقتصاد « النظام القومى فى الاقتصاد » ومحاضراته عن « مجال الاقتصاد وأسلوبه » .

والضيف الهندى الكبير زار كثيرا من الدول الأوربية كما زار مراكز التربية الهامة بالولايات المتحدة والشرق الأوسط .

بقية اعــــلان ميثاق المنظمــــة

الى جميع الدول الأعضاء . ويتم تقرير انضمام هذه الدولة بأغلبية بسيطة من اصوات الدول الأعضاء ويتم ابلاغ قرار كل دولة من الدول الأعضاء الى السكرتير العام الادارى الذى يقوم بابلاغ الدولة صاحبة الطلب بالقرار الذى اتخذته الدول الأعضاء ، وذلك عندما يصله العدد المطلوب من الأصوات

المادة ٢٩ :

تكون اللغات الدائمة للمنظمة وجميع تنظيماتها هى اللغات الافريقية والانجليزية والفرنسية .

المادة ٣٠ :

يمكن للسكرتير العام الادارى نيابة عن المنظمة قبول المنح والهبات والعطايا الأخرى التى تقدم للمنظمة على أن يوافق مجلس الوزراء على قبولها .

المادة ٣١ :

يقرر مجلس الوزراء المزايا والحصانات التى تمنح للعاملين فى السكرتيرية داخل أراضى الدول الأعضاء .

المادة ٣٢ :

على أية دولة ترغب فى الغاء عضويتها تقديم اخطار مكتوب الى السكرتير العام الادارى .

وبعد مرور عام من تاريخ هذا الاخطار يتوقف تطبيق الميثاق بالنسبة لهذه الدولة التى لن تصبح عضوا فى المنظمة منذ ذلك التاريخ .

المادة ٣٣ :

يمكن تعديل هذا الميثاق أو تنقيحه اذا تقدمت أية دولة من الدول الأعضاء بطلب مكتوب الى السكرتير الادارى . ولا يعرض طلب الاقتراح بالتعديل للنظر فيه الا بعد أن تحاط به جميع الدول الأعضاء فى الوقت المناسب وبعد مرور عام على تقديمه ، ولن يكون لهذا التعديل المقترح أى تأثير ما لم يوافق عليه ثلثا الدول الأعضاء على الأقل .

وتأمينا على ذلك فاننا نحن رؤساء حكومات دول أفريقيا ومالاجاسى قد وقعنا على هذا الميثاق .

"نؤمن برباط روحى وثيق
يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

دور الأئمة فى الاشتراكية

في اجتماع أئمة المساجد
بقاعة محمد عبده
في ٩ مارس ١٩٦٣

السيد / حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

أيها الأخوة : ونحن نسعى فى العمل من أجل قيام الاتحاد الاشتراكى العربى ، كان لابد لنا أن نعود الى الأصل وأن نعود الى المنبع .. الأصل والمنبع فى أصولهما الراسخة .. كان علينا أن نبدأ من الأزهر الشريف .

وحينما نلتقى هنا فى الأزهر نلتقى أيضا بأئمة المساجد التى ارتفعت دعوة الحق والخير من فوق منابرها .. منذ أن قام الاسلام فى هذا البلد الطيب الأمين ، لقد كان أولئك الائمة رجالا وهبوا أنفسهم لرسالة الاسلام .

كان لزاما علينا أن نبدأ هذه البداية وان نتحدث الى الائمة ، فان هذا الحديث انما يبدأ من حيث يجب ان تكون البداية .

أيها الاخوة : ان كلا منكم فى حيه انما يمثل الفكر ، ويمثل الرأى ، ويمثل الارادة الفعالة التى ينفعل بها الناس وتنفعل بها الجماهير ،

ولكن هذا الانفعال لن يكون حقيقة واقعة ، ولن يكون مؤثرا تأثيره الذى يجب أن يكون عليه الا اذا كان هذا التأثير متمشيا مع الأحداث لا ينافق الأحداث ولكن ينفعل بالأحداث .

انني حينما أتكلم اليكم اليوم أتذكر أنه حينما نزل الوحى على محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ينزل آية آية ، وبذلك انفعل المسلمون حينما كانت هذه الآيات تنزل معبرة عن الأحداث . ولو كان هذا القرآن العظيم نزل مرة واحدة دون أن يكون معبرا عن الأحداث لما انفعل به الناس ولما آمن به المسلمون .

اننا نعلم أن آيات القرآن الكريم نزلت فى ثلاث وعشرين سنة تعبر عن الأحداث حدثا اثر حدث ، وكان انفعال الناس بهذه الأحداث معبرا عن حاجة المجتمع فى طريق سيره ، وفى بناء الأمة ، هذا البناء الشامخ الذى أصبح قاعدة وطيدة تؤثر على الناس وتنفعل بها جماهير المسلمين .

واننا اذا ناديناكم اليوم واجتمعنا بكم معشر أئمة المساجد ، انما نريد مرة أخرى أن يبدأ عملنا كما ينبغى أن يكون العمل .. وأن نبدأ كما يجب أن يكون الاحساس بالمسئولية .. المسئولية التى ألقاها علينا الله سبحانه . وألقاها علينا الاسلام ، وألقاها علينا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »** .

أيها الاخوة : اننا دائما فى مجال المسئولية يجب ان نتذكر هذا المشهد العظيم حينما أتم الله نعمته على المسلمين بأن نزل الرسالة كاملة ، **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** .

يقول الرسول الكريم : **« ألا هل بلغت ؟** فيرد الناس .. بلغت يارسول الله .. فيقول: **اللهم فاشهد** . فانه أشهد الله علينا بأن الرسالة قد أديت والأمانة قد أديت وبدأت مسئوليتنا نحن .. وهكذا أصبح كل منا مسئولا عن هذه الرسالة .. **«وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »** .

من هنا تبدأ المسئولية .. من هنا تبدأ الرسالة .. وانها لمسئولية متجددة، متجددة فى كل زمان وكل مكان وفى كل عصر وأوان .

لقد سبق أن تكلمت معكم قبل هذا الاجتماع وقلت لكم اننا نريد ان نبدأ من المنبر ، ونبدأ من المسجد ، ونبدأ بالاحساس بالمسئولية الكاملة ونحن نؤدى هذا العمل العظيم ، وأن نتفاعل مع الأحداث ولا ننافق الأحداث ، واليوم اجتمع معكم فى أول حدث عظيم يجب أن نتجمع له ويجب أن نستعد له استعدادا يؤهلنا لأن نقوم بهذه الرسالة قيام المؤمن الواثق بنفسه .. الواثق بدينه .. الواثق من قوته .. الواثق من كل هذه القيم حتى اذا ما ارتفع صوته من فوق المنبر يدعو للاشتراكية التى هى جزء من الاسلام العظيم يشعر أنه انما يؤدى هذه الرسالة التى بدأها سيد الخلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أيها الاخوة : كان لابد لنا قبل أن نبدأ فى موضوع الحديث عن الاتحاد الاشتراكى العربى أن نشعر جميعا أننا على الموجة المناسبة فى مجال الارسال والاستقبال ، وليشعر كل منا أنه على استعداد لأن يقوم بهذا العمل فيشعر بفخر المشاركة فى بناء أمته.. ويشعر بفخر المشاركة فى قيام الاشتراكية العربية الاسلامية .. هذه الاشتراكية التى تعبر تعبيرا حقيقيا عن العدالة الاجتماعية .

اننا نسمع فى هذه الأيام أناسا يتكلمون عن الاشتراكية .. فمنهم من يقول ان هذه الاشتراكية أمر مستورد ، وهناك من يرد على هذا القول بأننا نسير نحو اشتراكية عربية .. ثم نقرأ فى الصحف من يرد على هذا الكلام بكلام آخر مضاد له .

وانى أقول لكم فى هذا المجال ان هناك تيارين ، تيار يريد أن يعود بالاشتراكية الى أصولها ، وأن الاشتراكية انما نبعت وبدأت من الاسلام العظيم حينما وضعت أسس الاشتراكية فى عدالة اجتماعية شاملة لم يكن يقدر على القيام بها الا أولو العزم ، والا أولو القوة ، والا أولو البأس .. هؤلاء الذين بنوا الاشتراكية الحقيقية حينما كانوا يستشعرون

المسئولية العامة وحينما كانوا يستشعرون مسئولية الرسالة على حقيقتها .

ويقوم اليوم كذلك من يقولون ان الاشتراكية العلمية أمر جديد ..

وأرد بأن الاشتراكية العلمية اشتراكية تؤمن بالتطور ، وتؤمن بالأسس التى قامت عليها الاشتراكية فى كل عصر وفى كل مكان ، وانهم يدرسون فى هذه الاشتراكية التطور الذى وصلت اليه ، ونحن لا يمكن أبدا أن ننفصل عن العالم .. كما لا يمكن أن ننفصل عن تجارب البشر فى مجال التطور وفى مجال العمل .

واذا نظرنا الى الاشتراكية الاسلامية نجد أننا نفتقد دليل العمل الذى طبق فى يوم من الأيام .. دليل العمل الذى انقضى عليه زمن يعود بنا الى أيام عمر بن عبد العزيز ، ويعود بنا الى أيام الخلفاء الراشدين ، والى أيام الرسول — صلى الله عليه وسلم — اننا حينما نرى هذا المجال الواسع الذى انفصل بنا عن مجال العمل الحقيقى ، وعن دليل العمل الحقيقى .

نريد أن نسأل : أين المجتهدون الذين انبروا للاشتراكية حتى يستخرجوا من الاسلام الأسس السليمة التى يدينون بها، ويتصدون لها ، وينبرون بها للذين يتكلمون عن الاشتراكية سواء كانت اشتراكية علمية أم اشتراكية عربية .

اننا نريد أن ينفتح باب الاجتهاد ليتصدى الفكر الاسلامى مرة أخرى فيعطى الدليل الواقعى العملى .

وأقول لكم فى هذا المجال انه حينما قام الميثاق الذى يعتبر أول دليل للعمل الثورى الاشتراكى الذى يبين طريق العمل ويوضح أسلوب العمل .. هذا الميثاق انما يعبر عن الصورة الواقعية التطبيقية الحقيقية كأول دليل للعمل بعد أن افتقدنا دليل العمل منذ أن كان الخلفاء الراشدون ، ومنذ أن كان عمر بن عبد العزيز ، ومنذ أن كان الرسول صلى الله عليه وسلم .

اننا فى هذا المجال دائما نستشعر العزة حينما نعيد الأمور الى أصول ثابتة تزيد عزتنا ، ويزيد احساسنا بالكرامة الحقيقية ، ونستشعر فى كل ما نعمل أنه نابع من ضميرنا .. نابع من أصولنا .. نابع من بيئتنا ،ولذلك حينما قامت الثورة فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ونادت بهذه المبادىء التى تستهدف الحرية التى هى الأصل والأساس فى كل عمل من الأعمال نريد له النجاح سرعان ما انفعلنا بها وسرعان ماصادفت من نفوسنا ما كنا ننتظره من زمن بعيد .

المملكة الليبية

كلمة حضرة صاحب السمو الملكى الأمير
الحسن الرضا .. ممثل مولانا الملك
المعظم ورئيس الوفد الليبى فى مؤتمر
رؤساء الدول والحكومات الأفريقية
المنعقد بأديس أبابا فى ٢٢ مايو ١٩٦٣

صاحب الجلالة الامبراطور ،

أصحاب الفخامة ،

أصحاب السعادة

حضرات السيدات والسادة ،

اتشرف بأن انتهز هذه المناسبة السعيدة لأحييكم باسم المملكة الليبية وان أنقل اليكم تحيات ملك ليبيا الادريس الأول حفظه الله وتمنياته الطيبة لاشخاصكم الكريمة بالصحة والسعادة ولأعمالكم بالنجاح والتوفيق وأحمل معى الى حكومات الدول المشتركة فى هذا المؤتمر والى شعوبها تحيات الحكومة الليبية والشعب الليبى اللذين يعقدان آمالا كبيرة على هذا الاجتماع الذى يضم قادة قارتنا العزيزة

انى أرجو مخلصا ان تكلل أعمالنا فى هذا الاجتماع التاريخى بالنجاح والتوفيق ، وان نتوصل الى توحيد مساعى الدول الافريقية فى ايجاد تعاون مثمر فى جميع المجالات ، ولتحرير ما بقى من شعوب القارة الأفريقية تحت الاستعمار والسيطرة الأجنبية ، هذه الأهداف هى غايتنا ، وهى أمل الشعوب الأفريقية ، وقد كانت دائما دافع الحكومات الافريقية لحضور المؤتمرات والاجتماعات الأفريقية السابقة على هذا المستوى العالى .

ويسعدنى ان انتهز هذه الفرصة لأرحب بوفود الدول الأفريقية التى تشترك معنا لأول مرة وأرحب أيضا بوفد الجزائر الشقيقة وعلى رأسها الأخ الرئيس احمد بن بيللا،هذا الوفد الذى أحتل اليوم مكانه المرموق فى هذا الاجتماع يمثل الجزائر المكافحة التى انتزعت حريتها واستقلالها وسيادتها كاملة وفكت ذلك القيد البغيض الذى كبلها أكثر من قرن وربع أظهر فيها الشعب الجزائرى مدى قوة ارادته وشجاعته وعزمه الأكيد على نيل حقوقه غير منقوصة مهما طغى الطغاة ورغم التضحيات

والخسائر الجسيمة فى ملايين الارواح . لقد كان كفاح الجزائر انطلاقا لتحرير شعوب أفريقية أخرى ونبراسا اهتدت به باقى شعوب القارة لتحقيق آمالها فى الحرية والاستقلال ».

صاحب الجلالة الامبراطور .

أصحاب الفخامة ..

أصحاب السعادة ..

حضرات السيدات والسادة ..

ان المملكة الليبية كانت دائما تؤمن بان التعاون والتقارب بين الدول الافريقية تفرضهما عوامل قوية ، عوامل الكفاح والنضال والتاريخ المشترك وتستدعيها ضرورة الاستعداد للمستقبل وما يستوجبه من جمع الهدف والكلمه لاننا ولا شك نعيش فى عالم أصبحت تلعب فيها المجموعات الاقليمية والدولية الدور الأكبر وأصبح من العسير لأى دولة أن تسير بمفردها بين هذه المجموعات القوية ، هذا بالاضافة الى العوامل الجغرافية التى تربط الدول الأفريقية ومصالحها وأهدافها المشتركة والوقوف صفا واحدا امام التيارات المعادية التى عز عليها أن تقوم أفريقيا بدورها الطبيعى فى المجال الدولى ».

ان افريقيا وقد تحررت معظم شعوبها من الاستعمار والسيطرة أصبح امامها دور النهوض الى المستوى اللائق لتشارك فى حضارة الانسان وعلمه وتلحق بالدول المتقدمة اقتصاديا ولتحتل مكانها الطبيعى بين الأمم بعد أن حرمت طويلا من حقها فى الحياة الحرة الكريمة ، ان ما حققته افريقيا اليوم يرجع الفضل فيه الى المخلصين من ابنائها الأبرار الذين برهنوا للعالم أجمع أنهم أهل بأن يقودوا بلادهم نحو المستوى العالى الذى وصلت اليه الأمم المتقدمة الأخرى .

لقد أصبحت دول أفريقيا تحتل مكانا هاما بين دول العالم وأصبح وزنها الدولى له أهمية كبرى ولهذا فهى فى حاجة اليوم الى مزيد من التعاون بين حكوماتها وشعوبها لتشارك بمجهوداتها المخلصة من أجل السلام والرخاء الدوليين ولتضطلع بمسئولياتها نحو الانسانية جمعاء .

كانت سياسة ليبيا منذ البداية تهدف الى ايجاد تقارب قوى بين جميع الدول الأفريقية لأنها تؤمن ايمانا راسخا ان القارة الافريقية ككل يجب أن تكون كتلة واحدة وأن يعم التعاون جميع ارجائها ولهذا سارعت فى الماضى الى حضور المؤتمرات والاجتماعات التى دعيت اليها محاولة فى ذلك عدم التحيز بين المجموعات الأفريقية المختلفة الا انها اعتذرت عن حضور تلك المؤتمرات التى لم توجه الدعوة فيها الى الشقيقة الجزائر تضامنا وايمانا بحق الجزائر الكامل فى ان تحتل مكانها الطبيعى بين شقيقاتها الدول الأفريقية وهى التى بكفاحها البطولى فتحت ابواب الاستقلال لأقطار افريقية اخرى . ان ليبيا كانت ولاتزال تؤمن وتسعى بكل قواها لتحقيق جمع الكلمة وضم الشمل لجميع الدول الأفريقية حتى تسير القافلة الأفريقية فى طريقها الصحيح المرسوم ، ولهذه الغاية تحضر ليبيا اليوم هذا الاجتماع العظيم .

اننا نجتمع اليوم فى ظروف أحسن وقد بزغت تباشير جمع الكلمة وكلنا أمل فى ان يتمخض هذا المؤتمر عن نتائج ايجابية لخير أفريقيا والأفريقين وحل جميع القضايا الافريقيه المعلقة وارساء أسس تعاون أوثق مبنية على التفاهم المتبادل والمصالح المشتركة وتوحيد الجهود لانهاء الرواسب المتبقية للاستعمار بكل انواعه بما فيه الصهيونية والتفرقة العنصرية واى شكل من اشكال السيطرة والتحكم الاستعمارى .

ان التضامن الوثيق بين الدول الأفريقية هو هدفنا ولابد من تجنب ايجاد تجمعات تمزق وحدة أفريقيا وتكون خطرا محدقا على كيانها وسلامتها ووجودها وتتيح بذلك فرصة للاستعماريين والصهيونيين - أخطر أعداء أفريقيا - لزرع بذور الشقاق وخدمة مصالحهم وأغراضهم الاستعمارية ».

ليبيا كانت ولا تزال باب أفريقيا وان التنقيح للدستور الليبى الذى تم فى الأسابيع الماضية والذى نتج عنه وحدة بلادنا الشاملة نص بصراحة على ان ليبيا جزء لا يتجزأ من أفريقيا ، ولهذا يتحتم عليها ان تحارب وتقاوم اية محاولة استعمارية لتجزئة افريقيا باستعمال عبارات مفروضة مثل - أفريقيا جنوب الصحراء - هذه التسمية ترمى الى قطع افريقيا عن شمالها الأفريقى ، ان الصحراء الافريقية يجب أن تكون جسرا للتقارب الافريقى لا عائقا له .

صاحب الجلالة الامبراطور ...

أصحاب الفخامة ...

أصحاب السعادة ...

حضرات السيدات والسادة ...

اختم كلمتى بتقديم أخلص تمنياتى لحضراتكم بالنجاح والتوفيق فى هذا الاجتماع التاريخى الذى أدعو الله سبحانه وتعالى ان يكون خطوة مباركة فى سبيل بناء الكيان الافريقى - ان افريقيا تتطلع بكل امل وتلهف ان يتمخض هذا المؤتمر عن نتائج فعالة بمستقبل زاهر لجميع شعوبها ويجب علينا ألا ننسى أن هناك شعوبا أفريقية شقيقة لا زالت ترزح تحت نير الاستعمار وتدعونا باسم الأخوة ان نتحد ونتعاون لمصلحة القارة ككل والا ندع لعدونا المشترك الاستعمار والصهيونية والتفرقة العنصرية مجالا لبث الفرقة وروح التخاذل بيننا ...

وفى النهاية أوجه شكرى الى جلالة الامبراطور هيلاسلاسى وحكومته وشعبه العظيم على تفضلهم بعقد هذا الاجتماع بمدينة ادبس أبابا وعلى ما استقبلنا به من كامل الحفاوة والترحيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حديث مع :

سفير السنغال بالقاهرة

السيد / دياجنى سيدى خاراشى

ولد بناواند بالسنغال فى ١٥ من سبتمبر عام ١٩٢٠ .

درس بليسيه سانت لويس وأكمل دراسته الثانوية بحصوله على التوجيهية قسم الفلسفة .. درس القانون بجامعة مونبلييه بفرنسا وحصل على ليسانس الحقوق . ومن جامعة باريس حصل على الدكتوراه فى القانون وقيد كمحام أمام محكمة استئناف داكار سنة ١٩٥١ .

عين مندوبا للسنغال عن اقليم نهر سانت لويس منذ سنة ١٩٥٩ كان رئيسا سابقا للجنة المجلس الوطنى التشريعية بالسنغال كما انتخب مستشارا لمجلس اقليم سانت لويس البلدى سنة١٩٦١ عين سفيرا للسنغال بنيجيريا سنة ١٩٦١ .

عين سفيرا لدى الجمهورية العربية المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

وفى حفل تقديم أوراق اعتماد سفير السنغال بالقاهرة .. ألقى الرئيس جمال عبد الناصر كلمة قال فيها : « **يسعدنى أن استقبلكم كسفير لجمهورية السنغال لدى الجمهورية العربية المتحدة ، وأؤكد لكم أن شعب الجمهورية العربية المتحدة ينظر دائما الى توثيق الروابط الاخوية مع شعب السنغال . واننى أرجو أن تدعم هذه الروابط والعلاقات بين بلدينا من أجل مصلحتنا المشتركة ومن أجل مصلحة افريقيا والسلام العالمى ان بلادنا تبذل الجهد الكبير فى سبيل تحقيق الوحدة الافريقية . كما أننا نتابع جهود بلادكم فى هذا الشأن لتحقيق هذا الهدف العزيز ..** » .

وكان سفير السنغال قد ألقى كلمة امام الرئيس جمال عبد الناصر قال فيها : « **أرجو أن تسمحوالى بأن أعرب لسيادتكم عن مقدار ما نالنى من شرف لاختيارى ممثلا للسنغال لدى الجمهورية العربية المتحدة التى شهد لها العالم أجمع بما تبذله من جهد ايجابى لتحرير افريقيا من الاستعمار وبما تقوم به كل يوم من جهد مشكور لتحقيق الوحدة الافريقية المأمولة وفى حل مشاكل التخلف التى تواجهها الشعوب حديثة الاستقلال ..** » .

***

وفى سفارة السنغال التقينا بالسفير الجديد .. ودار الحديث حول الشئون التى تهم البلدين الشقيقين .. فى شتى النواحى الثقافية والاقتصادية .

فعن التعليم الدينى بالسنغال قال سيادة السفير :

توجد فى مدن السنغال الكبيرة مدارس يغلب عليها طابع الدراسة الحرة وغالبا لايدرس فيها سوى القرآن الكريم ، والى جانب هذه المدارس توجد معاهد مخصصة للمبتدئين الراغبين فى دراسة اللغة العربية . وفيما يختص بنفس الموضوع فقد أنشئت مدرسة فرنسية افريقية تمارس نشاطها منذ وقت طويل جدا بمدينة ديوربيل ولاكمال هذه الأعمال التى غالبا ما تدين بوجودها لاقدام رجال ذوى عزيمة قوية والذين تغتنى قلوبهم بنشر أمجاد الاسلام والثقافة العربية ، فقد انشىء بدكار عاصمة السنغال معهدان اسلاميان احدهما دراسته حرة والآخر يخضع للجامعة المحلية .

الجمعيات الاسلامية :

أما فيما يتعلق بالتنظيم الاسلامى بالسنغال فانه يستند أساسا على الجمعيات الدينية وهذه الجمعيات جميعها تابعة للمذهب المالكى . وهى تعتبر حارسة للخلق الدينى كما أنها تتحمل مسئولية دعوتها وخاصة فيما يتعلق بالقرآن والسنة . ومما يدل على نجاح هذه الجمعيات أن الغالبية العظمى من الشعب السنغالى مسلمون .

والى جانب هذه الجمعيات ولكى تقوى أوجه نشاطها توجد تنظيمات لها طابع ثقافى محض حيث يجتمع فيها المثقفون دون تفريق بين مذاهبهم ، ويتلخص دورهم خاصة فى فى انشاء مدارس لتدريس العربية الحديثة والأدب والتاريخ والتطور الاجتماعى للعالم العربى .

ثم تحدث سفير السنغال عن العلاقات بين السنغال والجمهورية العربية المتحدة قال :

ان العلاقات بين السنغال والجمهورية العربية المتحدة علاقات قديمة مبنية على الصداقة والود المتبادل ، والعلاقات الخاصة التى حافظنا عليها حتى الآن مع الجمهورية العربية المتحدة هى العلاقات الثقافية ، وعلى الرغم من أن نخبتنا من علماء اللغة العربية لم تتشكل هنا الا أنها تتحين دائما فرصة لتحيا بالقرب من منابع الاسلام - الأكثر سموا - هذه العلاقات لا يمكن الا أن تقوى وبالتالى فاننا نأمل أن تجد أشكالا أخرى من التعاون طريقها للاستقرار بين بلدينا وخاصة فى المجال الاقتصادى ، فالجمهورية العربية تصدر لنا .. بعض حاصلاتها كالأرز والبصل والنسيج بشكل ضئيل واننا نرى أنه فى حالة قيام مبادلة الدول الافريقية فى المجال الاقتصادى فان ما يجب أن نتفاداه فى هذه الحالة هو أن يتم هذا دون ارتباط بمخطط يحتوى داخل نطاق التداخل الحتمى لكل الاقتصاديات الافريقية .

وما الذى تراه سيادتكم لتقوية الروابط بين الشعوب الاسلامية عامة ؟

اننا نرى أنه ليس هناك روابط اكثر صلابة فيما يتعلق بالدول الاسلامية من تلك التى تنبع من ايمانهم المشترك الذى تتاح له فرصة الظهور دائما اثناء فترة الحج ، وانا أعتقد أن هذه الفترة المميزة يجب الاستفادة منها لتقوية تضامن الشعوب الاسلامية ، والأمر الذى يستحق أن نتمناه وهو خارج حدود هذا اللقاء هو أن تكون هناك امكانيات منظمة للالتقاء لدراسة الحالات النسبية التى لن تصبح فقط وسيلة لتقوية التضامن ولكنها أيضا وعلى الأخص لتبادل وجهات النظر فيما يتعلق بتطور الاسلام وارتباطه بعجلة التطور .

واختتم سفير السنغال حديثه الى المجلة بالتعبير عن انطباعاته عن الجمهورية العربية المتحدة .. قال : « **ان الجمهورية العربية المتحدة خلال دفع المسئولين والاشتراكيين لها تبدو لى انها تسير فى طريق لاعثرة فيه حيث تجد دائما الحلول المناسبة لكل المشاكل التى تتعرض لها الدول الغير النامية . وفيما يتعلق بهذا الموضوع فان خبرتها لا يمكن الا ان تسترعى انتباه كل الدول الافريقية التى اتفق أن وجدت نفسها تعانى نفس المشاكل من هنا .. بالنسبة لنا يبرز طريق افريقى للاشتراكية تظهر أهميته فى أكثر من موضوع .**

فبالنسبة للمجال السياسى تبدو لنا كمركز لانتشار فكرة الوحدة العربية التى تعتبر حدث الساعة التاريخى والتى توشك على التحقق من خلال الوسائل الأكثر صلاحية والأكثر دفعا للقوى .

معنى كلمة الأميين

الأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد

نقلت صحف القاهرة عن صحيفة بيروتية أن باحثا سمته باسمه ، قد عثر على وثيقة تاريخية ثبت لديه أنهـا مكتوبة بخط النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعجل المتعجلون فاستخلصوا من هـذا الخبر الذى لا سند له من الواقع ولا من التـاريخ أنه ـ صلوات الله عليـه ـ ليس بالأمى الذى يجهل القراءة والكتـابة كما جاء فى القرآن الكريم .

ونكاد نجزم باستحالة وجود هذه الوثيقة بالصفة التى وصفها بها الباحث الذى ذكرته الصحف ، ان صح ما نسبته اليه .

فانما تثبت كتابة النبى ـ عليه الصـلاة والسلام ـ لتلك الوثيقة باحدى طريقتين ، احداهما أن يكون لدينا كتاب مخطوط كتبـه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وثبتت كتابتـه له فتثبت نسبة الوثيقة التى اكتشفت اخـيرا بالمقابلة بين الخطين .

وظاهر من اللحظة الأولى أن اثبـات ذلك مستحيل ، لأن الخط الذى تحصل المعارضة عليه ليس له وجود ، وليس هناك كتـاب منسوب اليه ـ صلوات الله عليـه ـ ثابت النسبة اليه أو غير ثابت ولو مع الخلاف .

والطريقة الأخرى لاثبات الوثيقة المزعومة أن يشهد الشهود العدول برؤيتهـم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يكتبها بيده الشريفة ، وذلك أيضـا مستحيل .. لأن المجهـولين من أولئك الشـهود المفروضين لا سبيل الى الثقة بهم وتوكيد روايتهم على حال من الأحوال .. فان كان أولئك الشهود معلومين لنا فكل من نعلم الخبر اليقين عنهم يقررون انه ـ صلوات الله عليـه ـ لم يكتب قط كلاما بيـده ، وانه كان يملى الوحى والرسائل على كتابه المعروفين .

الا أن المسألة هنا مسألة تحقيق كلمـة الأميين التى وردت فى القرآن الكريم ، لأنهـا كلمة من كلمات الكتاب يفرض علينا فهمهـا على صحتها ، ولأنها من الجهـة الأخـرى قد تفتح الأبواب لكثير من الشبهات وكثير من اللغط الباطل الذى يحسن بنا أن نغلق الأبواب عليه .

فالكلمة بصيغة الجمع قد وردت فى السور المدنية خطابا لأهل الكتاب أو ردا عليهـم ، ومعظمهم من اليهود منكرى الدعوة المحمدية من سكان المدينة التى تنزلت فيها تلك الآيات

والمهم فى تفسير معنى الكلمة أن نرجع

الى معناها عند أهل الكتاب ، ولا سيما اليهود ·

فالمحقق الذى لا شك فيه أن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين أجمعين كانوا الى مابعد ظهور الدعوة الاسلامية يقسمون العالم الى قسمين : بنى اسرائيل والأمم التى ليست منهم، ويزعم اليهود – خاصة – أن بنى اسرائيل وحدهم هم أهل النبوة والرسالة الذين اختصهم الله دون سواهم من العالمين بالكتب المنزلة والأنبياء والمرسلين ، وان من عداهم من الأمم لا نبوة فيهم ولا كتاب لهم وليسوا من الموعودين بالهداية والرضوان ·

وفى كتب العهدين القديم والجديد عشرات من المواضع وردت فيها كلمة « الأمميين » بهذا المعنى ، وفيها كذلك عبارات شتى تذكر «الأمميين» فى مقابلة اليهود عند التحدث عن الأفراد من الرجال والنساء ·

ومن أمثلة ذلك ما ورد بالاصحاح السابع من انجيل مرقس ، وفيه :

« ان امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أممية وفى جنسها فينيقية سورية » ·

وجاء فى الاصحاح الثانى من رسالة بولس الى أهل غلاطية :

« لكن لما رأيت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع: ان كنت وانت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا · نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة » ·

فلا خلاف فى أن كلمة الأمميين عند أهل الكتاب كانت تعنى غير اليهود فى صفة الفرد أو الجماعة ، ولا خلاف فى أن النسبة الى الأمم بالعربية تلحق بالاسم المفرد لا بالجمع، وفاقا لقاعدة النسبة فى اللغة العربية ، فيقال « الأميون » بحسب هذه القاعدة ولا يقال الأمميون ·

ومن كلام اليهود الذى لزمتهم فيه حجة القرآن الكريم قولهم انهم ليس عليهم فى الأميين سبيل ·

وذلك حيث جاء فى سورة آل عمران :

« ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل · ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ·

وأصل ذلك أن اليهود يفرقون فى المعاملة بالقروض والأمانات وفوائد الربا بين بنى اسرائيل وغير بنى إسرائيل ·

ومن ذاك ما جاء بالاصحاح الثالث والعشرين فى سفر التثنية :

« لا تقرض أخاك بربا : ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء ما مما يقرض بالربا · للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ··· »

فليست التفرقة فى المعاملة بين اناس يعرفون القراءة والكتابة وبين اناس يجهلونهما ·· لأن اليهود – ولا سيما الفقراء المنهى عن سوء معاملتهم – يجهلون القراءة والكتابة ولا يعرفهما من اليهود عامة غير الكهان والمتعلمين من أصحاب الأموال ·

ولكن التفرقة فى المعاملة هى بين بنى اسرائيل وسائر الأمم الأجانب عنهم ، أو بين اليهود والأممين ·

ذلك معنى واضح لا لبس فيه ، فلا موضع للشك على الاطلاق فى معنى الأميين عند أهل الكتاب ، وعليهم يرد القرآن الكريم ويأخذهم بما يقولونه لا بما يقوله الآخرون ·· فما يعنونه هم هو موضع الرد والحجاج وهو الذى تواتر فى كتبهم كما تواتر على ألسنتهم وهذا هو مايعنونه بغير خلا ف·

وعلى سبيل الاستعارة والتغليب ترد كلمة « الأمى » بمعنى من يجهل الكتاب أولا ومن يجهل الكتابة تبعا لذلك ·

فانما كانت المقابلة أصلا بين اليهود والأميين على اطلاقهم ، فلما صارت المقابلة الى أهل الكتاب وغير أهل الكتاب سرت الاستعارة بين من يقرءون بالكتاب وغير القارئين ·

ويجب أن نتريث طويلا عند قوله تعالى :

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى » ·

فاليهودية قد دخل فيها اناس من الأمم غير بنى اسرائيل، فهم بطبيعة الحال لا يقرءون

العبرية ولا الآرامية ، ولا يزيد علمهم بصلوات الكتاب على التأمين عند انتهاء الكاهن اليه أ آمين آمين .

أما التعليــــلات الكثيرة التى وردت فى الأقوال الشائعة عن أصل كلمـة « الأمى » فمصدرها الجهل بما فى كتب اليهود وما فى عباداتهم من الشعائر والصلوات .

فقد قيل ان « الأمى » منسوبة الى أم القرى لأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولد فيها، وهو قول يرادف القـول « بالنبى المكى » فى صفته ـ عليه الصلاة والســلام ـ وليس لهذا التخصيص بمدينة واحدة من مرجـح بالقرينة ولا بالفهم الصراح ، فضلا عن اطلاق صفة الأميين على ألوف لم يولدوا بمكة .

وقيل أن « الأمى » منســـوب الى الأم لأنه يبقى كما ولدته أمه بغير تعليم .. ولم يرد قط هذا الوصف بهـذا المعنى فى كلام عربى قبل البعثة المحمدية ، وانما يفرق النــاس هذه التفرقة بين من بقى جاهلا ومن تعلم بعد مولده ، اذا وجـــد الكثيرون من المتعلمين والكثيرون من غيــر المتعلمين ، وذلك ما لم يحدث فى الجاهلية .

وقيل انه من الأمة من قولهم : فلان لا أمة له ـ أى لا ديانة له ـ واستشهد معجم «لين» الانجليزى الكبير بكلام شاعر لم يذكر اسمه يقول : وهل يستوى ذو أمة وكفـور » ... وهو قول يجعل اليهود منكرين للدين عندهم معترفين به عند غيرهم ، ولا يستقيــــــم فى الذهن على هذا الاعتبار .

وأغرب ما يقال : أن ينسب الأمى الى الأمة أو الى السواد الجاهل الذى لم يتعلم .. وقد جاء فى لسان العرب أن الأمى « هـــو الغبى الجلف الجافى القليل الكلام .. قال :

ولا أعود بعدها كريا
أمارس الكهلة والصبيا
والعزب المنفه الأميا

ثم علله بمثل ما تقدم اذ قال : « قيل له أمى لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وحجة اللسان » .

ومعاذ الله أن يكون هذا هو الأصــل فى وصف يطلق على أفصح العرب أجمعين .

فليس أصح فى تفسير الكلمة من أنهـا وردت على الاستعارة والتغليب للمقـابلة بين أهل الكتاب وغير أهل الكتاب .

وينبغى أن يتأنى المتعجلون فلا ينكروا أن أهل الكتاب كانوا يسمون العرب وغيرهم من الأجانب عنهم بالأميين .. فان ثبوت هــذه الحقيقة أمر وراء كل خلاف ، ومن الوزر أن يحمل الجاهل جهله على شيء يرد فى القــرآن الكريم .

فاليهود ، اذا قالوا كلمة « الأميين » فانما يعنون بها غير بنى اسرائيل ما فى ذلك جدال ولا محال .

ولا يمنع ذلك أن تطلق كلمة « الأمى » على من يجهل القراءة والكتابة حيث تســتعار للمقابلة بين قراء الكتاب وغير قرائه ، وبخاصة حين نبحث عن مرجع للمعنى فلا يستقيم لنا فى نسبتها الى الأم أو الى الســواد أو الى أم القرى .

ولنقل عن يقين ان كلمة الأمى أطلقت على من يجهل القراءة والكتـابة ، ولكن لا نخطىء فنجعل ذلك موقوفا على انكار كلمة الأميين كما وردت فى أقوال لا عداد لها قبل مولد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ان القرآن الكريم لا يترك دعوى اليهــود الكبرى بغير تفنيد لها وتوكيد ببطـلانها ، ودعواهم الكبرى هى أنهم مختصون بالنبـوة دون سائر الأمم ، فأين هو جواب هذه الدعوى فى كتاب الاسلام ، ان لم يكن جوابها فى تلك الآيات ؟

وعلينا أن نفهـم أن النبى العربى والنبى الأمى بمعنى واحد ، وانه ـ عليه الصــلاة والسلام ـ لم يكن يتلو كتابا قبــل الكتاب المنزل عليه ولا كان يخطه بيمينه :

« وما كنت تتلــو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » .

صدق الله العظيم .. وصدق سبحانه اذ قال : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب » .

فليتدبر هذا الأمر بالتـلاوة من يتوهم أن التلاوة تنقض معنى « الأمية » على وجـه من الوجوه .

دين الله واحد وهو الإسلام

إن الدين عند الله الإسلام

قرآن كريم

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

الاسلام هو دين الله تعالى الذى أرسل به جميع رسله ، وانزل به جميع كتبه ، وليس لله تعالى دين سواه ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم « ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب ، فان حاجوك فقل : أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » ـ قال ابن كثير « أخبر الله تعالى بأن الذين أوتوا الكتب من قبلنا انما اختلفوا بعد ماقامت الحجة بارسال الرسل اليهم ، وانزال الكتب عليهم « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم » أى بغى بعضهم على بعض فاختلفوا فى الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم ، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته فى جميع أقواله وأفعاله وان كانت حقا » .

وهذا الذى يقوله ابن كثير هو تلخيص للمراحل الكثيرة المتعاقبة التى مر بها أرباب الأديان السابقة ، وتدخلت فيها الأهواء والخلافات الباغية ، حتى أنستهم الحقائق التى جاء بها رسلهم ، ونزلت بها كتبهم ، فاختلفوا اختلافا عقائديا أصليا ، لامجرد اختلاف فرعى أو منهجى ، ولو أنهم التفوا حول ماجاء به الرسل من حقائق الدين لما اختلفوا ولأجمعوا أمرهم على الاسلام لله فى كل أمر والانقياد لحكمه .

ويقول الله تعالى معلما رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلوب محاجتهم الاجمالية « **فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن** » أى ان الأساس فى الايمان بالدين هو اسلام الوجه لله ، أى الانقياد له والطاعة فى كل ما أمر به على لسان رسله ، ولا يمكن لأحد أن ينازع فى هذه القضية ، لأنها هى منطق التزام المتدين بالدين ، ولو أنه نازع فيها لما كان ملتزما بالدين ، ثم يعلمه بعد ذلك أن

يقول لجميع الناس من أهل الكتاب السابقين ، ومن الأمين الذين هم العرب - وانما سموا أميين لأنهم لم يكونوا أهل كتاب كاليهود والنصارى ، فأطلق عليهم هذا الوصف تمييزا لهم عن هؤلاء - يعلمه الله تعالى أن يقول لهم جميعا : « **أأسلمتم** » فيسألهم سؤالا مختصرا مركزا فى المعنى الذى سبق « **فان أسلموا** » أى أجابوا الى الاسلام فعلا لاقولا فحسب « **فقد اهتدوا** » الى الصراط المستقيم ، وابتدأوا فيه أول خطوة فى معرفة الحقيقة وسلوك سبيل الفلاح « **وان تولوا** » وأعرضوا عنك فقد أديت واجبك ، فدعهم الى الله ((**فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**))

وفى موضع آخر من السورة نفسها التى جاءت فيها هذه الآيات ، وهى سوة آل عمران، يقول الله عز وجل « **أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ٠ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ٠ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** »

وهذه الآيات تقرر حقيقتين احداهما تنبنى على الأخرى فالحقيقة الأولى كلية عامة ، وهى أن دين الله يتلخص فى الاسلام له والانقياد لحكمه ، والحقيقة الثانية تنبنى عليها ، وهى أنه لايمكن التفريق بين ماأمر الله به على لسان نبى ، وما أمر به على لسان نبى آخر ، فان منطق الاسلام لله والاذعان له ، يأبى هذا التفريق ، ولذلك جاءت الآية الاولى تقرر الحقيقة الأولى ، وهى وجوب الاذعان والاسلام لله ، وجاءت الآية الثانية تقرر وجوب أن يكون هذا الاذعان منصبا ومتوجها الى جميع الرسالات الالهية التى جاء بها أنبياء الله ، ثم ختمت الآية الثالثة بتقرير الحقيقة الأولى بأسلوب نفى القبول عمن ابتغى غيرها تأكيدا لما استفيد فى الآية الأولى من الانكار ، وبذلك تقرر أن الدين هو اسلام الوجه لله ، والانقياد التام له ، وان هذا يقتضى الايمان بجميع الرسالات السماوية ، فمن أنكر واحدة منها ، فقد خرج على مقتضى الاسلام والاذعان ٠

* * *

واذا رجعنا الى القرآن الكريم الذى هو كتاب الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وجدناه يقرر فى حديثه عن الأنبياء السابقين أنهم كانوا يدينون بالاسلام ، ويدعون أقوامهم الى الاسلام ٠

فمن ذلك ماجاء فى سورة الشورى من قوله تعالى : ((**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » فان هذه الآية تقرر ان الدين واحد ٠ وانه هو الذى شرعه الله على لسان أقدم المرسلين ، وهو سيدنا نوح عليه السلام ، وآخر المرسلين وهو سيدنا محمد عليه السلام، كما أنه هو الذى وصى الله به أبا الأنبياء الأكبر ابراهيم الخليل عليه السلام ، وموسى وعيسى وهما النبيان اللذان يدين برسالتيهما اليهود والمسيحيون ، وتلك هى أهم الرسالات السماوية ، التى يعرفها الناس ويدينون بها ٠

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة عن سيدنا ابراهيم عليه السلام وبنيه :

((**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ٠ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ٠ أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم**

واسمعيل واسحق الها واحدا ونحـــن له مسلمون » .

ومن المعروف أن ابرهيم عليه السلام هـو أبو جميع الأنبياء ، الذين بعثهم الله تعـالى من بعده ، سواء كانوا من سلالة اسحق عليه السلام ، ومن بينهم داود وسـليمان وموسى وعيسى ، أم كانوا من سلالة اسماعيل ، وقد انحصرت ثمرة هذا الفرع الزكى فى الرسول الأعظم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واذن فوصية أبيهم ابراهيم بالاسلام قد وجهت اليهم جميعا ، وقد استجابوا لها جميعا .

وفى القرآن الكريم عن يوسف عليـــه السلام : انه دعا ربه بقوله « **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض ، أنت وليى فى الدنيـا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** »

وعن الحواريين ـ وهم أصـحاب عيسى عليه السلام « **قال الحواريون نحن أنصـار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** » .

وعما كتبه سيدنا سليمان لملكة سبأ : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى **مسلمين** »

وعن ملكة سبأ حين قدمت على سـيدنا سليمـــان « قالت : رب انى ظلمت نفسى **وأسلمت مع سليمان** لله رب العالمين »

وعن القرية التى كانت تعمل الخبائث ـ وهى قرية قوم لوط ـ « فأخرجنا من كـان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت **من المسلمين** »

وعن الذين أوتوا الكتاب قبل القـــرآن « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، انه الحق من ربنا ، **انا كنا من قبله مسلمين** »

وهناك آيات كثيرة غير ماذكرنا تدل على أن الاسلام هو دين الأنبياء والرسل جميعا .

* * *

ولكن الاختلاف والتفاوت انمـــا هو فى التشريعات التى هى مناهج للناس تنظـم سلوكهم فى الحياة وأنواع علاقاتهم .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم « **لكل جعلنـا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** »

وذلك كاختـلاف الشرائع فى التحليـل والتحريم ، وفى المعـاملات المشروعة وغير المشروعة ، وفى رسوم الصلاة وهيئتها ، وفى الصوم ، وفى العقوبات ، وفى القصاص ، وغير ذلك .

والسر فى ذلك : ان الدين ، وقد اعتبر فيه معنى الانقياد والطاعة فى اخلاص ، لايمكن أن يكون الا عن اقتناع وتصديق قلبى ، لذلك غلب لفظ الدين ماكان من قبيل العقائد والتعاليم الأصلية والحقائق التى لاتختلف باختـلاف الافهام ، ولا تتغير بتغير العصور .

وذلك كوجود الله تعالى ، ووحدانيته ، وأن له خلقا يسمون بالملائكة ، وأنه يبعث بالرسل الى الناس ، وينزل عليهم الكتب وأن هناك دارا أخرى غير هذه الدار الأولى ، وان الناس سيبعثون اليها بعد الموت ليجازوا على أعمالهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وأن الناس جميعا متساوون فى الاعتبار الانســانى ، لايتفاضلون الا بأعمالهم وأخلاقهم ، وان العدل أساس استقامة المجتمعات والظلم سبب من أسباب فسادها ، وأن الصدق حسن ، وأن الكذب قبيح ، وان العفاف فضيلة ، والفجور رذيلة .. وهكذا

فكل هذا من قبيل الحقائق ، وموقف الدين منها هو موقف الواصف لها ، المبلغ أمرهـا للناس ، كما يقول القائل منا : حصل كذا ولم يحصل كذا ، مخبرا بذلك عما يعلم ، فلا يعقـل مثلا أن يعرفنـا الدين عـلى لسان سيدنا نوح مثلا أن وجود اللـه تعـالى حقيقة من الحقائق يجب الايمان بها ، ثم يبلغنا على لسان ابراهيم مثلا : أنها ليست حقيقة ، لأن الحقائق الواقعة لاتتغير ولا يمكن أن يحصل فيها اختلاف باختلاف الزمان أو باختـلاف المبلغين عن واحد معين ، وكذلك لو قال لنا الدين : سيكون هناك بعث بعد الموت ، فتلك حقيقة يقررها موسى ، ويقررها عيسى ، ويقررها محمد ـ عليهم جميعا الصلاة والسلام ـ لأنها

خير جاءعن الله بواسطة رسله فلا تختلف باختلاف المرسلين ، ولا باختلاف المرسل اليهم .

وكذلك التعاليم التى تتعلق بالأخلاق والمثل والدعائم الأساسية التى يقوم عليها أمر الناس ، كل ذلك انما هو حقائق ، وموقف الدين منه هو موقف الواصف له ، الكاشف للناس عنه ، فلا يمكن أن يختلف باختلاف المرسلين أو المرسل اليهم ، ولكن الناس قد يحرفون ، وليس الدين مسئولا عن تحريف المحرفين .

واذن فلا اختلاف فى الدين من حيث هو عقائد ومبادىء وحقائق ومثل ، وكل الأنبياء والرسل فى ذلك سواء .

أما الشرائع والمناهج التفصيلية فتختلف المصلحة فيها باختلاف الزمان والأحوال ، فالنظام الذى يصلح للقرون الأولى يوم كان البشر بدائيين لم تنضج عقولهم ، ولم تصف أفكارهم ، ويوم كانت المادية هى الجانب المتغلب عليهم ، لايصلح للقرون التى جاءت من بعد ذلك حيث أخذ البشر يتطورون فى عقولهم وأفكارهم ومجتمعاتهم .

ولذلك كانت رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - آخر الرسالات وخاتمتها فى الوقت نفسه ، لأنها هى اللون الأخير الذى يصلح للانسانية بعد أن حصفت وبلغت مرحلة الرشد العقلى ، وأصبحت فى غير حاجة الى رسالة أخرى .

ولما كانت هذه الرسالة الأخيرة هى التى جمعت جميع الحقائق العقيدية وجميع المبادىء والتعاليم الصالحة ، وأتت بالأحكام التشريعية على وجه يصلح لكل زمان ومكان كانت هى الجديرة بأن تسمى « بالاسلام » وأصبح هذا اللفظ اذا أطلق ينصرف الى الدين فى صورته الأخيرة التى جاء بها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك يقول القرآن الكريم فى أواخر مانزل منه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »

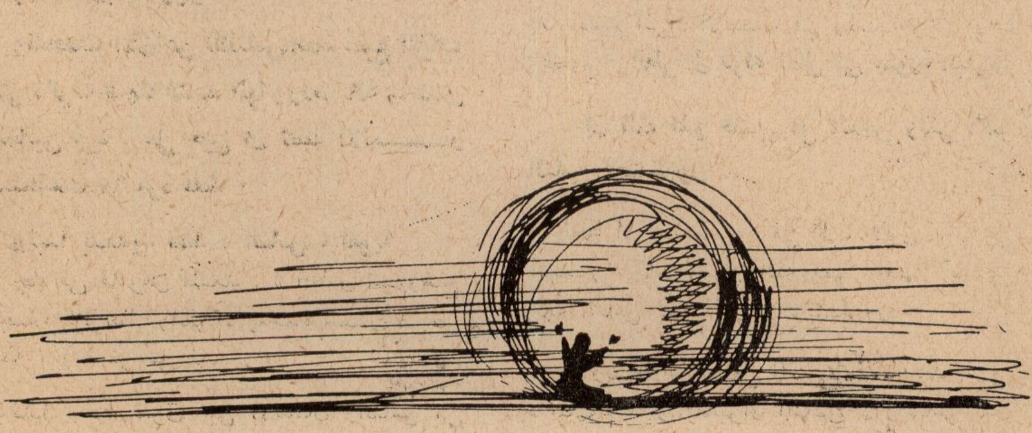

الإنسان في القرآن

الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

الانسان والناس

تكلمنا فيما سبق عن الانسان ، فبدأنا البحث بحسب ورود لفظة « الانسان » فى الآيات ، ورأينا أن المقصود حين تستخدم هذه الكلمة ، هو النوع الانسانى من جهة خلقه الطبيعى والحيوى والروحانى ، ومسئوليته وحريته ، وبعثه وجزائه .

ونتحدث الآن عن ((الناس)) بعد تتبع الآيات التى ذكرت فيها ، فنجد انها وردت مائة واحدى وثمانين مرة ، على حين أن لفظة الانسان استخدمت ٦٧ مرة فقط .

ونبدأ بتحديد لفظ « الناس » لغويا .

جاء فى قاموس المنجد : « الناس اسم وضع للجمع ، كالرهط والقوم ، واحده انسان من غير لفظه ، ويصغر على نويس » .

فاذا رحنا نفرق بين الانسان والناس من جهة المنطق ، رأينا أن الانسان لفظ كلى ، يدل على النوع ، كقولنا : الفرس ، الطائر ، النبات وهو لفظ كلى مادام قد دخل عليه الألف واللام أما حين نقصد الحديث عن فرد واحد من أفراد الانسان ، عندئذ نحذف الألف واللام مقتصرين على قولنا (انسان) ، نعنى انسانا ما فهذا اللفظ المجرد من الألف واللام لايشير الى شخص معين ، لأنك ان قلت : رأيت انسانا ، لم يحصل تحديد أو اشارة الى واحد معين بالذات .

وقولنا « الناس » يشير الى مجموع الأفراد اما جميع أفراد الانسان فى وقت معين ، واما أغلبهم . **انظر الى قوله تعالى فى سورة البقرة:**

« ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون »

تجد أن « الناس » فى المرة الأولى تدل على الجميع ، لأن فضل الله يعم كافتهم أما من جهة الناس فان أكثرهم لايشكرون .

وبالاصطلاح المنطقى الفنى ، الانسان يدل على « المفهوم » أى الحيوان الناطق . والناس يدل على « الما صدقات » أى الأفراد . والنظر الى اللفظ الكلى من جهة الماصدقات أيسر من النظر اليه من جهة المفهوم لأنك تشير الى المحسوس لا الى المعقول .

اذا تكلمنا عن الانسان رأسيا ، من يوم خلق الى الوقت الحاضر الى يوم يموت ثم يبعث حيا، قلنا :الانسان . واذا تكلمنا عنه أفقيا ، فى زمان معين نخاطب أفراده جميعا ، قلنا : الناس .

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذه القاعدة .

فاذا كان الخطاب موجها لافراد الانسان أو بمعنى آخر لأفراد المجتمع ، كانت اللفظة التى تستخدم هى الناس ، بسبقها فى بعض الأحيان « يأيها » للتنبيه والاعلان .

بلاغ للناس :

ولما كان القرآن كتابا دينيا أنزله الله على رسوله محمد - عليه السلام - ليبلغه لقومه كان أشبه ببيان دينى ، فيه اعلان الدستور الخاص بالعقائد الدينية والقواعد الأخلاقية التى تعد أساس صلاح الأمم وتماسكها ، ونهضتها ورقيها فكما أن حاكم الدولة أو زعيم الآمة يلقى على الشعب « بيانا» سياسيا ، كذلك فان الله ، مالك الملك ، وصاحب الأمر والنهى ، أنزل على العباد بيانا دينيا ، هو القرآن وقام الرسول بابلاغه ، ومن أجل ذلك سمى القرآن بيانا وبلاغا .

قال تعالى فى آخر سورة ابراهيم : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب » وفى آل عمران: « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ».

ونحن نجد فى الآيات من سورة آل عمران التى سبقت هذه الآية تفصيل هذا البيان الدينى.انه ينص على عدم الربا ، وتقوى الله، واتقاء النار ، وطاعة الله والرسول ، والمسارعة الى المغفرة والظفر بالجنة ، والانفاق فى السراء والضراء ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، والاحسان ، والاستغفار من الذنب ، هذه هى محتويات البيان الدينى والاخلاقى التى بدأت بآية : « يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ... » فكان التنبيه والاعلان متجها أول الأمر الى جماعة المؤمنين ، حتى اذا ختم البيان بعد ثمانى آيات التفت الخطاب الى الناس كافة ، فقال تعالى : «هذا بلاغ للناس »

حقا القرآن كله بيان وبلاغ وحكمة وموعظة . غير أن الخطاب المخصوص المتجه الى الناس والمقترن باسم الاشارة « يأيها » ، أدل فى معنى البيان .

وفى خصوصية هذا الخطاب نجد اعلان العقيدة الاسلامية وأسسها .

فهى أولا من عند الله . « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم »

و « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور »

وهى ثانيا مبلغة بوساطة الرسول . « يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم »

وهى ثالثا تأمر بعبادة الله. « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون »

وهى رابعا تحض على الاقبال على الدنيا . « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا »

وهى خامسا تأمر بالتقوى . « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » و « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم » و « يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده .. »

وهى سادسا تصرح بمسئولية العبد : « يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم »

وهى سابعا تنذر وتبشر : « قل يأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين » و « يأيها الناس ان وعد الله حق » .

وهى ثامنا تقرر البعث فى الآخرة : « يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب » .

هذا البيان المشتمل على أصول العقيدة يقوم الرسل بابلاغه لقومهم ، واعلانه للناس كما جاء فيما يختص بابراهيم :

« **قال انى جاعلك للناس اماما** » .

وبمحمد فى قوله تعالى . « **وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** » وفى قوله (**أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا**) وجاء فى

سورة اسراء : **(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)**

فالرسل حين يبلغون الرسالة يعلمون الناس بما يوحى اليهم ، كما يقوم المعلمون بتعليم طلاب المعرفة من أى لون . ولكن تعليم الرسول ربانى ويدعو دائما الى الخير ، والمعلم يعلم كذلك الناس ، وتعليمه انسانى سواء أكان مايلقيه عليهم خيرا أم شرا . والشياطين تعلم الناس أيضا ، كما جاء فى القرآن

« ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر »

أصناف الناس :

ومن الطبيعى أن ترتيب أصناف الناس فى القرآن بحسب الاعتبار الدينى من ايمان وكفر ونفاق ، ومن اقبال على الدنيا أو انصراف الى الآخرة ، وغير ذلك .

وقد جرى الأسلوب القرآنى على اختصاص الصنف من الناس الذى آمن بالله باسم خاص هو المؤمنون كما اختص الذين كفروا بالكفار أو المشركين . ونحن نجد قسمة الناس فى المجتمع الى مؤمنين وكفار ومنافقين فى أول سورة البقرة حيث وصف الله المؤمنين بأنهم المتقون الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم ينفقون ، ووصف الذين كفروا بأنهم صم بكم عمى لايفيد معهم انذار ولا وعد ولا وعيد .

فلما أراد الله وصف المنافقين ابتدأ بهذه الآية : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » .

وبعد أن ذكر أنهم يخادعون الله والذين آمنوا ، وأن فى قلوبهم مرضا ، وأنهم يفسدون فى الأرض ، وأنهم يتهمون الذين آمنوا بأنهم سفهاء ، قرر انهم هم السفهاء :

« واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون » .

والمنافقون من الناس أشد خطرا على المجتمع من الكفار ، لأن الكافر عدو واضح ، وأولئك متخفون يندسون بين غيرهم فيصعب معرفتهم

والكفار هم المشركون الذين قال الله فى حقهم : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » .

ثم أصناف من الناس تتفرع عن هذه الثلاثة .

منهم الذين تفتنهم الدنيا ، كما جاء فى سورة العنكبوت :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ؟)

وفى سورة البقرة يصف الله طوائف من الناس بعد قضائهم مناسك الحج ، يقول تعالى : .. (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) .

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام »

(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد)

انها صور فنية ولوحات أدبية ترسم أصنافا من الناس بألوان وأطياف وظلال مختلفة ، ويظهر من سلوكهم وأقوالهم مايدل على عباده من الرسل الكتب والشرائع ؟

الناس فيه فتنة الدنيا العاجله وسعادة الآخرة الآجلة ، وهم يحسبون أن الله غير مطلع على ماتخفى الصدور .

ويبدو أن من طبيعة الناس الجدل ، ولذلك أفرد لهم صنف خاص ، فقال تعالى :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم »

كان الناس أمة واحدة :

وقد يتساءل أحدنا لم اختلف الناس أصنافا مؤمنين وكفارا ومنافقين ، والأمر ما أنزل الله على عباده الرسل بالكتب والشرائع .

انها طبيعة البشرية ونظام الاجتماع والعمران ، أن يكون هناك صراع بين الناس وجدل فى الأفكار ، ونزاع على الرأى ، وشد وجذب ، وخير وشر ، وحسن وقبح ، وافتتان بالدنيا ولذاتها ، ورغبة فى الآخرة ونعيمها · ان معيشة الناس على ظهر هذه الأرض محنة وامتحان وفتنة وبلاء ، ليبلوهم الله أيهم أحسن عملا ، فيكون الثواب والعقاب على قدر عمل العامل ، وحكمة العاقل ·

ومن أجل ذلك نزلت الشرائع بالتكليف وجاءت بالأوامر والنواهى ، وأرسلت الرسل مبشرين ومنذرين ·

ولقد كان الناس فى ابتداء العمران على ظهر الأرض أمة واحدة ، ثم اختلفوا فى المشارب ، والألوان والألسنة ، والأجناس ، والمذاهب ، وبرزت أمم وأقوام ،وكان منهم أصناف متطرفة من الأمم بينها أمة وسط تخفف حدة هذا التطرف ·

قال تعالى فى سورة البقرة : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ··»

ان فى بعثة الرسل لاقوام مختلفين وفى أزمنة مختلفة مايدعو المرء الى التساؤل عن هذه الظاهرة ، لماذا لم ينزل الله شريعته دفعة واحدة على يد رسول واحد ، ان كان ولابد من بعث رسول ، ولا بد من ان يكون الدين من عند الله ؟ .

والجواب عن السؤال واضح فى سورة يونس فهى تبدأ بتعجب العرب من خطاب محمد لهم بالقرآن فقالوا :ان هذا لسحر مبين · وعندئذ أمرهم الله بالنظر فى السموات والأرض ليتبينوا أن الله هو الخالق لها ، وأنه هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده ، وجعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وأن من عمل صالحا فجزاؤه الجنة ومن ارتكب السيئات فجزاؤه النار ، وأن الله قد أهلك القرون لما ظلموا من قبل زمان العرب ، ثم جعلهم خلائف من بعدهم لينظر كيف يعملون · كانت تلك الأمم تعبد من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم يتخذونها شفعاء عند الله ، ثم هلكت بما كسبت أيدى الناس · الى قوله تعالى :

« وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »

وفى سورة هود تاكيد لهذا المعنى ، نعنى الاختلاف الطبيعى بين الأمم ، وأن هلاك الأمم السابقة بظلم أهلها لأنفسهم ، وأن النظر فى أحوال الأمم السالفة عبرة ومثل ·

يقول سبحانه :

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم واتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ·

وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ·

العرب من الناس خير أمة

وهذه قضية تلقى فى الوقت الحاضر جدلا شديدا من الذين يدبرون الطعن فى القومية العربية اما بفصلها عن الاسلا ثم المضى مع النتيجة المنطقية لهذا الفصل وهى انكار الدين أصلا ، واما بانكار العروبة والتمسك بالاسلام فقط ، ولا يستقيم اسلام صحيح بغير لغة القرآن وهى اللغة العربية التى أنزل بها · والقضية واضحة صريحة فى القرآن ، لأنها تمزج بين العروبة والاسلام ، وتنص على أن العرب خير أمة أخرجت للناس كما تقرر ان صلاحهم فى اتباع الاسلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعوة الى الخير ·

وفى سورة آل عمران من الآيات ٩٣ الى١١٢ تفصيل هذه القضية ، فهى تبدأ بالكلام عن بنى اسرائيل والتوراة التى أنزلت عليهم وكيف حرفت · ثم الأمر باتباع ملة ابراهيم حنيفا · ثم سؤال أهل الكتاب من يهود ونصارى لماذا

يكفرون بآيات الله التى أنزلت على محمد . ثم الأمر بالاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة • الى قوله فى الآيتين ١٠٤ ، ١٠٥ « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** » • والسياق يدل على أن « الأمة » ههنا هى أمة العرب زمان الرسول عليه السلام • ثم نمضى مع الآيات حتى نبلغ الآية ١١٠ التى تقول : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**» وأول هذه الآية خطاب للمسلمين وآخرها لأهل الكتاب الذين كانوا يجادلون الرسول وقت نزول الاسلام .

ومن الواضح اذن أن خصوصية الأمة التى أخرجت للناس هى أمة العرب فى ذلك الحين، وقد قيدت بشرط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله •

فاذا اقتصرت على تأويل هذه الأمة المؤمنة بالله الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر ، بقولك انها أمة العرب فى ذلك الحين وفى المستقبل من الزمان ، كالحال فى الأمة العربية فى الوقت الحاضر ، كنت مستقيما مع منطوق الآية واستمرار التاريخ • أما اذا توسعت فى التأويل وذهبت الى أن المقصود بالأمة ههنا أى أمة ، ما دامت متبعة عقيدة الاسلام . فقد تعسفت فى التأويل بمالا يستقيم مع اقتران لفظ الأمة بلفظ الناس • فقد رأينا عند تحديد مصطلح الناس من الناحية المنطقية ، أنهم مجموع أفراد البشر فى وقت من الأوقات ، والامة التى أخرجت للناس تفيد أنها احدى الأمم التى أخرجت للناس وليست جميع الناس •

ومما يؤيد مانذهب اليه قوله تعالى فى سورة البقرة : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** » • **ولانزاع أن الأمة الوسط هى أمة العرب المسلمين ، لأن الآيات السابقة على هذه الآية تتحدث عن اليهود والنصارى من اتباع ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وأنهم بنص الآية « تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »**

دوافع الناس :

ان الاجتماع أساس الحياة الانسانية ، ولا تخرج الحياة الاجتماعية عن علاقات بين الناس فيها شد وجذب وتنازع وصراع وتعاون • والفرد من الناس ولو أنه يعيش فى الجماعة ولايمكن أن ينعزل بنفسه عنهم الا أنه ينظر الى نفسه من جهة ، والى غيره من الناس من جهة أخرى ، والى الأشياء الموجودة فى العالم الذى يعيش فيه من جهة ثالثة ، والى الله خالق هذا العالم من جهة رابعة •

يرتبط الناس فى المجتمع بروابط شتى ، عن طريق الكلام الذى هو سبيل التفاهم والتعامل بالبيع والشراء الذى يرمز له بالمال ، كما يتنازعون حول السلطان وألوان المقتنيات فتنشأ عن ذلك العداوة والحسد والظلم وغيرها من الأحوال النفسانية التى تجعل الناس يتدافعون كالأمواج فى بحر الحياة •

« **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** »

ويمكن القول بعد استقصاء الآيات التى وردت فيها لفظة « الناس » والتى تصور أحوالهم ، أن الدوافع الأساسية التى تلعب دورا جوهريا على مسرح المجتمع ثلاثة : حب الشهوات والمال ، والخوف • وفى سورة آل عمران آية جامعة للدافعين الأولين •

« **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** »

ليس معنى ذلك ان كل واحد من الناس لابد أن تستهويه هذه المظاهر كلها ، ولكنك تجد واحدا يشتهى النساء ، وآخر يشتهى البنين وثالثا الذهب والفضة ، ورابعا مظاهر القوة التى تحيط بالسلطان كالخيل المسومة .

ويلوح أن المال لأنه سبيل الى تحصيل رغبات المرء له أوفى نصيب من التنازع بين

الناس ولذلك نزلت فيه آيات كثيرة تبين كيف يأكل بعض الناس أموال الناس بالباطل

« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل »

« فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم »

« ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »

« ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين »

وحيث كانت القاعدة الاسلامية تحض على الانفاق وتنهى عن الشح والبخل لما يترتب على قبض اليد وحبسها عن الانفاق من آثار اجتماعية خطيرة ، فقد نزلت آيات كثيرة تنهى عن البخل وتذم البخلاء ، ومنها هذه الآية من سورة النساء التى تصور الجانب المقابل للمؤمن

قال تعالى : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا »

ان البخل خصلة سيئة ينحصر أثرها فى البخيل ويتحمل وزرها ، ولكنه حين يأمر الناس بالبخل تكون المصيبة أفدح ، لأنه يشيع الفساد فى المجتمع بأسره .

فاذا مضينا الى الآية التالية رأينا أنها تصف بعض البخلاء بالعطاء رئاء الناس لا فى سبيل الله، وظاهرة الرياء آفة تشبه شبها عظيما خشية الناس ، والنفاق تزعزع فى الاعتقاد .. ان خوف ضعاف النفوس بطش الأقوياء يدفعهم الى الرياء ، مع أن خشية الله أولى وأوجب . **قال تعالى فى رياء الناس .**

« والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »

« يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس .. »

« واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس »

« ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس »

وقال تعالى فى وجوب خشية الله وعدم الخوف من الناس :

« وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »

« فلا تخشوا الناس واخشون »

« يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله »

والخوف من الناس أحد الاسس التى يقوم عليها العرف والتقاليد ومصدر من مصادر الأخلاق الشائعة فى الأمم . فالالزام الخلقى - فى بعض الأقوال - انما ينشأ عن خشية الفرد من الناس فى المجتمع ، ولذلك يسايرهم ، أو يظاهرهم ، أو يستخفى منهم ، أو يسألهم . حقا هناك قلة قليلة لايذلون لغير الله ، كالفقراء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وهؤلاء **كما قال تعالى : « تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا »** . ولقد أمرنا الله بعدم الذلة للناس فقال : **ولا تصعر خدك للناس »** .

هذه الرغبات الدينوية من نساء وأموال ومظاهر وسلطان تجعل الناس يتهافتون على تحصيلها ، ويتقاتلون فى سبيل اقتنائها فاذا لم يفصل بين الناس بالعدل ساد الفساد ، وسارعت الأمة الى الهلاك . **والقانون الذى يحقق العدل هو شريعة السماء التى أنزلها الله على عباده فى كتابه العزيز ، حيث يقول سبحانه :**

« ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق »

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس »

لقد دعا الله الناس الى الايمان به وحده ، وأنذر من يولى وجهه شطر شهواته أو غيره من الناس بعذاب شديد ، يوم : « **يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم** » .. ولكن أكثر الناس غافلون أو منكرون ليوم الحساب ، وكأنهم لم يقرءوا قوله تعالى :

« ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون » .

هل هو ؟

تحضير الروح

أو تحضير القرين من الجن

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

نفينا تحضير الروح ، ووقفنا مع القارىء عند تحضير الجن .

وحديثنا اليوم عن الجن مقتبس من القرآن فى اجمال .

ومن الثابت شرعا أن للجن محاولات غريبة علينا ، ولكنهاواقعة ، والقرآنيثبتها ، والواقع يقربها الى أذهاننا .

١ — فلهم محاولات فى الصعود نحو السماء تمكنهم منها خفتهم ، وطبيعتهم المخالفة لطبيعتنا .

وفى صعودهم هذا يتاح لهم أن يستمعوا شيئا من الملائكة ، حينما يتحدثون فيما أخبرهم الله به من شئون خرجت عن دائرة الغيب عند الله تعالى اذا عهد اليهم بتنفيذها على ما أراد الله تنفيذه .

ثم فى الناس أفراد يؤاخون الشياطين ، ويوالونهم بالاتصال حينا بعد حين ، ولهم وسائل يستمدونها من كتب روحية ، ويستحضرون بها الجن ، ويستوحونه مما عنده من أنباء ، فيفضى الشيطان الى وليه بما اختطفه من حديث الملائكة ، وبما يفتريه من اكاذيبه للاغراء ، والترويج ، ثم يتولى الانسان المؤاخى للشيطان اذاعة هذه الأنباء المدخولة فيظن البسطاء من الناس — واهمين — أن هذا كله من علم الغيب .

فاذا حان الوقت المقدور ، وتحقق شىء مما تحدث به الكاهن زادت ثقة الناس فيه ، وتعلقوا بكهانته ، وراجت دعوتهم اليه ، وبهذا يشيع بين الناس ما يشيع من أكاذيب الشياطين ، والكهان .

وهيهات أن يفطنوا الى التضليل ، حتى تكشف لهم التجارب ما خفى عليهم من الدجل المعسول بعد أن أصابهم ما يصيب من شرور .

واليك حديث القرآن فى هذا ، لتتقى العثار فى حبائل الشيطان والكاهن .

« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين » « تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » .. « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » .. « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون » .

ولئن كانت حكمة الله فى ذلك أن يختبر بعضنا ببعض فى مسالكنا ، وفى مقدار احتفاظنا بعقائدنا ، ومقاومتنا للأباطيل : فان الله — سبحانه — لم يترك للشياطين أن تسرف

فى تلك المحاولات ولم يهيىء لها أن تتسلط على عباده دائما ، بل أعد لهم بلاء يصيبهم به حين اقترابهم من السماء ، وحين هبوطهم من مصاعدهم ..

وفى ذلك يقول سبحانه : ((**انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ،وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملأ الأعلى**)) .

لا يستطيعون الاستماع الى الوحى فى أفقه الرفيع .. وانما هى محاولات دون سماء الدنيا ، ولا تتم لهم على ما يشتهون ، فانهم يعجزون ((**ويقذفون من كل جانب ، دحورا ، ولهم عذاب واصب**)) يقذفون بالشهب النارية النافذة اليهم من قبل النجوم : لدحرهم . وابعادهم عن الصعود كثيرا ، ولهم عند الله عذاب شديد فى الآخرة ثم يؤكد الله ذلك صراحة فى قوله : ((**الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**)) .

كما يؤكده فى مقام آخر بقوله تعالى: ((**ولقد جعلنا فى السماء بروجا ، وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين**)) وهو الشهاب المبين المهلك ..

وبهذا لا نجهل أن للشياطين محاولات فى اختطاف الأنباء ، والافضاء بها الى أوليائهم من الانس دون أن يتمكنوا من كل بغيتهم .. ودون أن يطمعوا فى اختطاف الوحى من الله الى انبيائه يوم كان الوحى ، أو الى ملائكته مباشرة فى أى وقت .. وانما هو اختطاف من حديث الملائكة فحسب .

وفى بيان هذا يقول الله ((**وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغى لهم ، وما يستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون**)) .

٣ ـ ثم أنظر الى حديث الجن عن أنفسهم ، وعما كانوا يفعلونه وما يحسون به منذ رسالة محمد بالقرآن : من تضييق عليهم فى استراق السمع ، والاختطاف للحديث الملائكى ، ((**قل أوحى الى ، أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا ـ كذبا ـ وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ـ يستعينون بهم ـ فزادوهم رهقا ـ شقاء ، وضلالا ـ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا .. وأنا لمسنا السماء ، فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**)) .

٤ ـ تلك حكاية القرآن ـ فى اجمال ـ عن الجن ، ومحاولاتهم نحو السماء : قديما وحديثا ، وما كان من ايمان هؤلاء المتحدثين الى قومهم ، واعترافهم بما فعلوه وبما هم عليه بعد سماع القرآن منذ عهده الأول .

٥ ـ ثم أنظر الى الجانب الثانى من محاولات الجن فى محيط الأرض ..

كان سليمان رسولا ، وحاكما ـ عليه السلام ـ وقد سخر الله له الريح ، والانس ، والجن ، والطير تأتمر بأمره ، وتعمل له فى شئون الملك ما ينفع ، حسبما يريد ((**وحشر لسليمان جنوده من الجن، والانس ، والطير، فهم يوزعون**)) يطيعونه ((**فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء ، حيث أصاب ، والشياطين : كل بناء ، وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد ..**)) **وذلك كله بتسخير الله فحسب**
وكان للشياطين فى عهد سليمان تعلق بالسحر ، وكأنهم يحاكون به سلطة سليمان فى ملكه ، وتأثيراته ..

غير أنهم كانوا يستخدمون السحر فى الشر ، والاضرار بالناس .. وبقى هذا الافساد والخبث بين الكافرين من بعد .

يستعينون بالجن ، ويعملون بالسحر فيما يبتغون من شرور .

وفى هذا يقول الله ((**واتبعو ـ فعل ماض ـ ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ـ على عهده ـ وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر**)) والمتبعون للشياطين : هم الكفار ..

ومعـــروف أن للجن قدرة خارقـة على الجولات فى مناكب الأرض ، واجتياز المسافات الشاسعة فى لحظات من الزمن .

وحينما رغب سليمان فى اســلام بلقيس ملكة اليمن ، وأراد أن تحضر اليه ، وعرض على من حوله أن يأتى أحدهم بعرش بلقيس **« قال عفريت من الجن أنا آتيك به ، قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى أمين » .**

٦ ـ ومن هذه الشذرات تدرك ما للجن من صولة فى جنبات الأرض بخفتهم ، وسرعـة تقلبهم من جهة الى جهة ، وتدرك ما هناك من صلة بين أشقياء الناس وبين الجن من طريق الكهـانة ، واســتحضار الجن ، واستخدامهم بالأساليب المرسومة فى كتب روحانية موجودة لديهم .

وكثيرا ما ثبت ، ويثبت هذا لدى أنـاس ذوى حصافة ، وليسوا من الأغرار .

٧ ـ وازاء هذا لا ننكر تحضير الجن ، ولا ننكر تسخيرهم فى التقـاط بعض الأنباء من جهات بعيدة أو من بعض المجالس .

واذا كان فى الناس من يصـدق أكاذيب التحضير للأرواح المتــوفاة ، فأولى بذلك التصديق أمور واقعة ، وثابتة فى خبر القرآن وتؤيدها المشاهدة .

ولا عذر للمتشكك فيما هو واقع .

وليس معنى هذا أن كل كاهن صادق فيما يزعمه ، فقد وصف الله كل كاهن بأنه أفاك أثيم ، وأنهم يلقون السمع الى الكهانة وأكثرهم كاذبون .

وهذه أمور تجرى فى ملك الله لغايات هامة فى توجيه الناس الى عجائب قدرته ، وتنوع حكمته فى تنظيم ملكه ، واستيفاء الدنيا لما تحتاجه من أسباب .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد .

وكثيرا ما يتوقف الانسان فى أمور لاينكرها واقعيا ، أو ينكرها لأنه لا يدرى غايتها بعـد البحث فيها .

ولعل التسليم بها أخيرا خير من التمادى فى جحودها ، حتى يفتح الله بفهمها على الوجه الصحيح **« وما يعلم جنود ربك الا هو »** ومن الواقع المشاهد الذى ينكره بعضنا هو مسألة الجن . .

٨ ـ أطلت مع القـارىء فى حديثى عن استحضار الأرواح ، لأبين فى ضـوء الدين ـ بقدر مافهمت ـ أن للجن اتصالا بالناس ، وأن لنا قرناء يلازمون أشــخاصنا . . وأن استحضار الأرواح لم تقم عليه اثارة من علم صحيح ، كما قامت الأدلة على استحضـار الجن ، لأنها فى عالم الدنيا ، بخلاف الروح . نعم : للروح أحوال معنــوية لا ننكرها ، ولا يستطيع انكارها أحد فهى تتصل بنا مناما ، وهى تنتفع بدعواتنا لها ، وبما تركت من صالح الآثار . . وهذا كله نفح من كرم الله : لا من طريق تسخيرها فى دنيانا ، بعد أن رجعت الى ربها فى أخراها .

وأما الكهانة باستخدام الجن فقديمـة ، وصادقة فى كثير من وقائعها : لا فى كلها

وقد حدثنى من لا يكذب ولا يخـدع من غيره : أنه قصد بنفسه الى كاهنة فى بنـدر قنا ـ يوم كان فيها من عشرين سنة ـ وطلب اليها تحضيرها صاحبها من الجن ليخاطبـه بنفسه ، فأحضرته ، وطلب اليه على مشهد من جماعة : ثلاثة أمور :

أولها : أن يذهب الى بلده فى المنوفية ليأتيه بخبر أهله هناك ففعل وعاد اليه بوصف البيت وعدد الجالسين فيه حول فتاة كانت مريضة ومذاك .

ثانيها : أن يأتيه بشىء معين من منزله فى قنا ، فذهب وعاد ، ووصف الماعون الذى فيه ذلك الشىء المعين ، وحدد مكانه ، ولكنه لم يأت بالشىء واعتذر بأن واضعه كان حصنه بذكر اسم الله .

وثالثها : أن يزوره ليلا فى مسكنه ، فذهب اليه ، ولكنه أخطأ فى الحجرة ، فعـاد ، ثم وصف له الحجرة التى أخطأ فيها ، وكان هذا كله صحيحا ، ونحن نؤمن بذلك ، ونستعيذ بالله من شر الشياطين .

ضريبة العشور في الاسلام

عدالة وسماحة

الدكتور
احمد محمد الحوفي

هذه ضريبة أخرى كان يدفعها للحكومة الاسلامية التجار الأجانب التابعون لدولة أخرى . فهم غير مسلمين ، وليسوا أهل ذمة ولا أهل عهد وصلح .

كانوا يدفعونها عن متاجرهم التى يقدمون بها الى بلاد المسلمين وموانيهم .

ولقد يتعجب بعض المتحذلقين فيزعم ان هذه الضريبة لون من الحجز أو التعصب أو الاستغلال ، ولكنه لا يلبث أن يرجع عن زعمه اذا ماتبين ان نظام العشور قديم ، عرفه اليونان ، وجبوا الضريبة بنصيب قدره اثنان فى المائة من قيمة السلع . وكذلك جرى على نظام العشور الفرس والرومان والفراعنة . ولكن ضريبة العشور الاسلامية امتازت بما تنطوى عليه من عدالة وسماحة .

١ ــ ذلك أن المسلمين فرضوا ضريبة العشور على التجار الأجانب معاملة لهم بالمثل ، فقد كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب بأن تجارا من المسلمين يأتون ديار الحرب ، فيأخذ منهم حكامها العشور ، ويسأله رأيه فى تجار هذه الديار الذين يفدون بمتاجرهم الى بلاد المسلمين . فكتب اليه عمر بأن يأخذ منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وبأن يأخذوا من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين ربع العشر .

وبهذا راعى الخليفة أحوال الدافعين للضريبة ، فجعلها على المعادين للمسلمين العشر ، لأنهم يتقاضون التجار المسلمين العشر ، وقدرها على تجار أهل الذمة بنصف العشر ، اذ انهم من رعايا الدولة الاسلامية ، ويساهمون بضريبة الخراج وضريبة الجزية ، وفرضها على المسلمين ربع العشر ، لتكون مثل زكاة النقدين وعروض التجارة .

٢ ــ لم تكن تؤخذ الضريبة الا مما بلغت قيمته نصابا من ذهب أو فضة ، فاذا نقصت قيمة المتاجر عن النصاب فلا ضريبة .

٣ ــ وكانت لا تطلب من التاجر الا اذا تنقل بمتاجره من قطر الى قطر ، فاذا جال بها فى القطر الواحد فليس عليه عشور .

وكان التجار لا يؤدونها الا مرة واحدة فى العام .

٤ – على أنها لم تكن فى أول الامر تؤخذ من الذمى اذا أدى جزيته ، ولا من المسلم اذا أدى زكاته . فقد كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص يقول : ولا عشور على مسلم ، ولا على صاحب ذمة ، اذا أدى المسلم زكاة ماله . وأدى صاحب الذمة جزيته التى صالح عليها ، انما العشور على أهل الحرب اذا استأذنوا أن يتجروا فى أرضنا .

لهذا قال يحيى بن آدم القرشى روايته عن زياد بن حدير : ماكنا نأخذ العشور من مسلم ولا من معاهد ، ولكن نأخذها من تجار أهل الحرب كما يأخذون منا اذا أتيناهم . فان اخذوا من تجار المسلمين أقل من العشر عاملهم المسلمون بالمثل .

ثم عممت الدولة نظام العشور ، بعد أن تعلمت من جاراتها ، مساهمة فى تحمل النفقات العامة ، كتمهيد الطرق وحراستها واقامة المحطات التجارية فى مراحل السفر ، وحراسة الجنود للتجار ، ففرضت على رعاياها ضرائب عشورية .

٥ – ولقد استثنت الدولة من نظام المعاملة بالمثل أصنافا يحتاج المسلمون اليها ، فألغت عشورها أحيانا ، ونقصتها أحيانا ، كالحبوب والزيت التى كانت ترد الى الحجاز .

٦ – هذه الضريبة تشبه الضريبة الجمركية فى العصر الحديث ، لأن الحكومات كلها تتقاضى ضرائب على السلع الواردة من الخارج ، وأحيانا تخفض الضريبة على سلع معينة ، وأحيانا تعفى من الضريبة ، مراعاة لحاجتها اليها ، أو مجاراة للمعاملة بالمثل .

٧ – فاذا ما وازنا بين ضريبة العشور فى الاسلام وفى غيره تبين أن الاسلام حقق العدالة والسماحة معا .

فقد كان الروم يجبون العشور على حدود المناطق المتعددة من القطر الواحد ، فكانت السلع التى تمر من جنوبى مصر الى شماليها تدفع عنها العشور أربع مرات ، لأن مصر كانت فى عهدهم أربع ولايات .

أما المسلمون فكانوا يعتبرون القطر كله منطقة واحدة .

وكان جيران المسلمين يتقاضون العشور مرات فى العام ، فكلما مر التاجر على العاشر لزمته الضريبة .

أما المسلمون فكانوا لا يتقاضونها على التاجر الامرة واحدة كل عام .

لهذا كان العاشر يعطى التاجر صكا مؤرخا يسمى جوازا او براءة ، يعفيه طول العام من دفع العشور على متاجره التى دفع عشورها ، فاذا مر بعاشر آخر لم يطالبه بشىء .

وكان جيران المسلمين يتقاضون العشور على المتاجر ، مهما يكن ثمنها قليلا ، أما المسلمون فكانوا لا يأخذون عشورا من مسلم ولا ذمى ولا حربى الا اذا بلغت قيمة متاجره عشرين دينارا من الذهب ، أو مائتى درهم من الفضة .

ومن سماحة المسلمين أنهم كانوا يكتفون من التاجر باقراره ، فلا يفتشونه ، لأن عمر بن الخطاب أمر بألا يفتشوا .

ومن سماحة المسلمين أيضا أنه اذا مر عبد بتجارة تبلغ النصاب ، وكان المال له أعفوه من ضريبة العشور .

واذا كان المال لسيده لم تؤخذ منه عشور حتى يحضر السيد ويقرر أن المال له ، خشية أن يكون بعض التجارة للعبد ، فاذا اخذت عليها عشور لحق به ضرر ، لأن الاسلام يحض على المعاونة فى عتق الأرقاء ، فيجب أن يعفى مال العبد من العشور ، ليتمكن من مكاتبة سيده على نيل حريته لقاء مقدار معين من المال .

٨ – واذن فقد تبين من نظام الاسلام فى الزكاة ، وفى الجزية ، وفى الخراج ، وفى العشور ، الذى تناولته فى المقالات السابقة ، أن الاسلام امتاز من النظم التى سبقته والتى عاصرته بانه جمع العدل والرحمة والسماحة والحكمة جميعا فى فرض الضرائب ، وفى تقديرها ، وفى تقاضيها .

وعلى الذين يشكون فى هذه الحقيقة أن يوازنوا بين الضرائب فى الاسلام والضرائب عند الفرس والروم والرومان واليونان .

وحسبهم أن يتذكروا أن الامبراطورية البيزنطية كانت تفرض على الشعب ضرائب كثيرة متنوعة ، منها ضريبة على الأرض المزروعة ، وضريبة على التركات ، وثالثة على المبانى ، ورابعة غير نظامية هى أموال تقدم للامبراطور فى أعياد جلوسه على العرش أو بمناسبة انتصاره فى حرب ، وضريبة خاصة على أصحاب الحرف حتى الاسكاف والخباز والبائع الجوال والمومس ، وضريبة سادسة على كل مبيع ، وضريبة سابعة على المتاجر فى محطات معينة ، لم تكن محددة المقدار ، بل كانت الدولة تزيدها وتنقصها كما ترى .

اما الضرائب التى فرضوها على المستعمرات كمصر فقد كثرت وتنوعت ، حتى شملت الارض والمحصول والماشية والصناعات والأشخاص والمنازل والاثاث ، ولم تقتصر على الاحياء ، بل تعدتهم الى الموتى ، فكان لا يسمح بدفن الميت الا بعد دفع ضريبة معينة .

٩ — ولم يبق شك فى أن الاسلام عامل أهل الذمة بالحسنى ، وأظلهم بسماحته ورحمته بعد أن اصطلوا بمظالم الفرس والروم .

وانا لنجد اقرارا بهذا من الغربيين المنصفين، وهم فى اقرارهم بفضل الاسلام وعدالته ورحمته وسماحته غير متأثرين بعاطفة ولا مجارين لهوى .

يقول العلامة منتسكيو فى كتابه أصول الشرائع ، ان الجزية التى فرضها الاسلام كانت من أسباب سهولة الفتح ، لأن الشعوب التى كانت تخضع لسلسلة من المغارم التى فرضها جشع الأباطرة آثرت أن ترضى بأداء جزية خفيفة يمكن تسديدها بسهولة ،ويمكن تسلمها بسهولة ، ووجدت سعادتها محققة فى ان تدين لأمة متبربرة — يقصد المسلمين — تعاملها على هذه الصورة اكثر من تحققها وهى تخضع لحكومة فاسدة مستبدة ، لايشعر الشعب فى حكمها الا بويلات من العبودية

ويقول الكونت هنرى دى كاسترى : لقد كان استبداد الرومان من اسباب انتشار الاسلام فى آسيا وافريقية ، لأن الحكم الرومانى كان قد انحدر الى العسف والجور، فلما جاء الاسلام ترامى الناس اليه ، هربا من الضرائب الفادحة ، ومن اغتصاب الأموال ويطول الحديث لو حاولت الاكثار من هذه الشهادات .

حقا لقد كان الاسلام رحمة بالبشر ومنقذا لهم من مهاوى الشرك والعبودية والظلم وفساد النظم الى أوج التوحيد والحرية والعدل والنظم المثالية الصالحة لكل زمان ومكان .

ضروراتنا بين ..
زاد الحس والروح

الأستاذ البهى الخولى

— ١ —

هل سعد الغرب بحضارته ، حضارة المادة والآلة ؟ .. لقد سار طويلا فى بيداء الحياة يخترع ، ويكشف ، ويجد على أمل أن يلتقى مع السعادة ، فيهنأ ضميره ويذوق وجدانه رحمة الطمأنينة والسلم .. ولكنه طوى ما طوى من بيدائه دون أن يجد روح السعادة المأمولة .. لقد وجد سراب السعادة ، ولم يجد السعادة نفسها .. وجد لذة الحس ، وأسباب الترف ، ومتعة الجسد ، ورضا الغريزة .. وجدها على مراحل ، وكلما بلغ مرحلة وجد الذى يذوق منها لا ينقع له غلة ، ولايرضى له أملا ، ولا يسكن له لهفة ، فيعزم الأمر الى مرحلة جديدة يحسن فيها الوسائل ، ويخترع الجديد الذى يضاعف الرفاهة ، ويفتح آفاقا فى المتعة وترف الحس ، ونعيم الجوارح وتنشيط الخاطر بألوان اللهو والمرح .. ويؤنسه فى مرحلته الجديدة طيف السعادة المرجوة يتراءى له من بعيد ، وخيال النفوس الظامئة كأنها أرواح تحوم على مورده السائغ المنتظر ، تستحث خطاه ليبلغ بها روضته الفدقة التى أعد بها من ألوان الثمار والظلال والرى ، ما فيه نعيم الأبد ، وسعادة الدهر .. ولكنه لا يكاد ينتهى من مرحلته ، ويطلع على الدنيا بجديده ، حتى تنقشع من أمام عينيه الأطياف ، وتتبدد صور الأرواح المحومة ، ويتبين أن الذى كان يتراءى له سراب فى سراب .. فيستأنف مرحلة جديدة ، الى سراب جديد ، على ظمأ لا ينتهى ، وضجر لا يسكن ، وقحط روحى تتثاور فيه أعاصير القلق وهجير الحرمان ، فلا يدرى أين خصبه وجناه ، ولا متى سلمه وطمأنينته ..

تلك حقيقة يقررها القوم ، ولا ندعيها عليهم ، ويذكرون فى علتها أنها البعد عن الله ، بل يذكرون من اعراضها التى تلازمها ولاتنفك عنها خطة الخلق وانهيار القيم ، فيقول الاستاذ « اندرو كونواى أيفى رئيس قسم العلوم الكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاجو » فى بحث له عن وجود الله : «ان الاحزان والأمراض والكوارث التاريخية تثبت لنا ان الأخلاق والعدالة والرحمة والحرية قد تفقد معانيها وتؤدى الى حياة ذليلة خسيسة ، ما لم تكن متصلة بأيمان عملى ، ففى الالحادية واللادينية ضاعت المواهب التى حبا الله بها الانسان وتلطخت بالأوحال » .. وينتهى الأستاذ بأنه لا بد من العودة الى الله ، وأن سعادتنا ليست فى المتاع الحسى الذى جنوا به ، بل هى فى القيم الروحية التى لا يدركها عد أو وزن « ان الأمل فى مستقبل الانسان يقع على الدوافع التى تقودنا الى قيم ومعان سامية لا نستطيع لها

عدا ، ولا وزنا .. فان السعادة الحقيقية تأتى عن طريق الأشياء التى لا يتناولهـا العد أو الوزن » .

— ٢ —

وحين يأتى هذا الكلام ممن جربوا العلة ، وجربوا لها مختلف الوصفات ، فلم يجدوا غناء الا فى نبذ المتاع الأدنى والتعويل على زاد الروح من القيم العليا ، نكون فى غنى عن أن نجرب ما جربوا ، وأن نمضى فى طريق الشقاء الى المدى الذى بلغوا .. ولعل المخدوعين منا يتبينون على ضوء هذا الكلام حقيقة السراب الذى طالما حسبوه ماء ..

على أن الذى يعنينا ونهتم له هو الدلالة على مصدر الزاد المأمول ، فليس يغنى فيما نحن بصدده أن نكرر عبارات غامضة من قبيـل « الزاد المعنـوى » و « القيم الساميـة » و « الحظوظ الروحية » الى آخر ما هنالك من عبارات لا تقع بالذهن على مسمى بعينـه فى عالم الحس ، ولاتجدى فى العلاج الا تأخير أمد العلة ، وقد يستوى فى الجهل بمفهومها القائل والمقول له .. فما مصدر ذلك الزاد ، وتلك القيم ، وهذه الحظوظ ؟..

ونقول : مصدرها الأول والأخير .. كتاب الله عز وجـل .. وما سنة الرسول عليـه السلام فى ذلك الا ضـوء ينبـع من نفس المشكاة ، يوضح مبهما ، أو يفصل مجملا ، أو يؤكد ما تكون المصلحة فى توكيده .. فكتاب الله عز وجل — وحده — هو عمدة هـذه القضية — كشأنه فى كل أمر يعرض له — يأتى فيها بما تدهش له العقول اعجازا وروعـة واحاطة ودقة ، واصابة وحكمة ، وان كان يدق على الألباب أحيانا حين يسمو بها فى ملكوت المعانى ، فلا يكون حظها من ابانة اللفظ الا ما يشبه الرمز والاشـارة ، تنبيها الى مقـام تستدعى فيه الأذواق وملـكات القلوب لتكون عونا لها على ادراك ما هى بصدده من علـم الله ..

ومن تلك القيم وحقائق هذا الزاد ، ما هو مبثوث فى أقطار السموات والأرض ، انبثاث ضـوء الشمس فى اليـوم الضـاحى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « الله نور السـموات والأرض » ولكنا نقصر القول على أضيق دائرة ممكنة .. دائرة ملتصقة بحواسنا لا تنفك عنا ولا ننفك عنها لتعلقها مباشرة بنفعنا الذاتى .. وفى نطاق هذه الدائرة ، وألفة تلك المباشرة ، يتيسر لنا مجال البحث ، ويتسنى عرض أكثر ما نريد .

ذلك أن للكائنات دلالة على الله تعالى ، كما يدل الأثر على المؤثر ، وكما تدل الصنعة علـى الصانع ، ومن الأمور المشاهدة ، أن كل صنعة تحمل من صفات صانعها بقدر ما يوليها من عناية ويبذل لها من فن ، ويكاد المتأمل يشعر أن اهتمام الصانع قد نقل انفعـالات نفسه وحقـائق ذاته مع ما نقل الى الصنعة من مصطلحات الفن وخصائص الاجادة .. ذلك من تجاربنا ومألوف مشاهداتنا فى حيـاتنا الواقعيـة حتى ليحس أحدنا فى نفسه أثرا لجمال شخصية الصانع يجد به لونا من الصحبة الروحية المؤنسة ..

ونقول ولله المثل الأعلى ، ان تجاربنا الواقعية فى عالم الحس رموز أو أحلام تعبر عن أمور فى عالم الحق والروح ، فالله صانـع هـذا الكون .. وهو سبحانه حكيم يريد الحق ولا يفعل العبث ، ويكفى الصنعة حفاوة ، أن تكون مظهرا لارادة الصانع الحكيم .. وهو جل شأنه جميل ، ومصدر كل كمال ، واحسان ، وزينة ، فلا جرم أن تطالعنا آثار الحكمـة والكمال والزينة ، والاتقان فى صنعة الـكون اذا استقبلناها بما لوعينا الباطن من بصـائر وأذواق .. وقد أخبر سبحانه أنه « أتقن كل شىء » وأنه « أحسن كل شىء خلقه » وأنه جعل « ما على الأرض زينة لها » .. فالكون على هذا معرض حافل بآثار الجمال وآيات الحسن من ناحية دلالته على الخالق ، قال القرطبى : « والزينة كل ما على وجه الأرض ، فهو عموم لأنه دال على بارئه .. وأن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه واحكامه .. »

وماتطالعه بصائرنا وأذواقنا فى هذه الآيات ، من حقائق الصفات وجمال الآثار ، هو — لا

غيره ــ ما نسميه : « القيم السامية » .. والحظوظ الروحية ، والزاد الذى يحيا به كياننا الروحى ، وتكتمل به ملكاته نورا ، وادراكا ، وذوقا ، وقوة ، وسعادة ..

وقد التفت الامام الزمخشرى الى هذا المعنى فى قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » فقال فى تفسيره ما نصه : « خلق لكم ، أى لأجلكم ، ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم ، أما الانتفاع الدنيوى ، فظاهر ، وأما الانتفاع الدينى ــ أى الروحى ــ فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع ، القادر الحكيم » .. وهو كلام دقيق حكيم يتبين منه أن لنا فى كل نعمة حسية ضربين من النفع ــ أو ضربين من الرزق ــ أحدهما حسى هو المادة التى نأكل منها ونشرب .. أو نحمل عليها ونركب .. أو يتحقق بها نحو ذلك من المنافع .. والآخر معنوى وهو دلالة النعمة على الله ، ويدرك بشهود فضل الله فى انعامه بها ، وتدبيره اياها على وفق مصالحنا ، وذلك من باب الأرزاق لا منتهى لآفاقه ..

واذن فأعدل انماط الحياة ، وأكفلها بتمام السعادة ، هو ما يهدى اليه منطق تلك النعم الذى لحظه الزمخشرى ، أى أن يكون لنا فى كل نعمة ضربان من الزاد ، أو ضربان من النفع الحسى والروحى .. فاذا لم نشهد من النعمة سوى ما لنا فيها من حظ حسى ، ولم نحفل الابه ، فقد ازدرينا فضل الله فيها .. وأعرضنا عما لها من نفائس الجمال وقيم الحق ، وهى حقيقة نفعها .. وحرمنا أرواحنا زادها الحق الذى هو مدد حياتها ، وحقيقة ما لها من تمييز وقدرة على ابداع الحق ، وانجاب مثل الخير .. فاذا كان الخلل يدرك حياتنا الحسية اذا فرطنا فى حقيقة النفع ، ورضينا ان نعطل أفضل مواهبنا وملكاتنا ، فنعيش بها مطموسة لا تبصر ولا تدرك شيئا مما حولها من حقائق الجمال والخير ؟ .. أى فساد يدرك الحياة يومئذ ؟ وأى تعس يدرك الانسان ؟ ..

ان أيسر ما يهدى اليه منطق النعم ، أن الله سبحانه لم يخلقها عبثا ، ولم يميزها بدلائل فضله وشواهد عدله سدى ، وأن قانون الانتفاع بها لا يقوم الا بشهود ذلك الفضل ، وتحقيق ذلك العدل بملاحظة حق كل من البدن والروح فى رزق الله .. ذاك يأخذحظه بوسائل الحس وتمثيل المعدة ، وتلك تنال حظوظها بالتأمل فيما وراء الحس من ملكوت القيم .. واذا كان هذا هو منطق الفطرة فى الانتفاع بالنعم ، فهو القانون الذى أنزله سبحانه فى كتابه ، اذ لم يكتف أن يندبنا الى الأكل مما أخرج لنا من ثمر حتى ساق مع الدعوة أمرا صريحا بالتأمل فيما له من دلالات ، وذلك قوله سبحانه : « كلوا من ثمره اذ أثمر » و « أنظروا الى ثمره اذا أثمر » .. فالتأمل فى النعمة سبيل حظ الروح ، ولا معنى للنظر فى هذا المقام الا استبانة دلائل الثمر على فضل الله ، اذ تمتنع حكمة الوحى أن تأمرنا بالنظر فى الأشياء كما ينظر اليها أى حيوان أعجم .

ــ ٣ ــ

*** وأيسر جهدنا فى هذا التأمل أن نلحظ صلة النعمة بالمنعم بها ، على قانون السببية الذى أسلفنا .. فهو قانون لا يتخلف أبدا فى عالم المادة ، وبه وعليه تقوم كافة العلوم الطبيعية .. ويكفى أن نلحظ تلك الصلة فى بساطة قريبة من سذاجة الطفل الذى يتساءل عادة ــ بمحض قانون السببية ــ من الذى صنع الآباء والأمهات .. وصنع الطير فى السماء .. وصنع النجوم والشمس والقمر .. لأنه بتفاعله الذهنى مع ما حوله من الحقائق ، أدرك أن لابد لتلك الكائنات من صانع .. فاذا جهل ذلك الصانع فلا أقل من أن يسأل عنه .. لقد رآه ماثلا فى ذهنه وضميره ، ويريد أن يعرف حقيقته ..**

والى هذه المرحلة المبدئية يوجهنا القرآن الكريم بمثل قوله سبحانه : « افرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟» .. « أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ » .

* فاذا قرن لنا قانون السببية بين الأثر والمؤثر .. والصنعة والصانع ، فقد انفتحت

لنا صفحة نقرأ فيها ببصائرنا مع كل نعمة عناية الله بنا ، ووده لنا ، وفضله علينا .. وما دمنا نستصحب وجدان الأطفال وسذاجة ضمائرهم ، فسنجد فى ضمائرنا لونا من التفاعل مع كون غير منظور ، قوامه احساس الشكر للمنعم سبحانه .. وهو صلة وجدانية تصلنا بالله ، بعد صلة قانون السببية .. وتلك الصلة وأمثالها ـ وأن تكن معنوية ـ حقيقة واقعة لا مراء فيها اذ يتجاوب بها الانسان مع عالم الحق ، فهى لكياننا الروحى كالعصب ، والعرق لكياننا الحسى ، اذا سلمت فى صلتها بالله ، جاءته بطاقات من الحق لا يقدر قدرها فى الصدق والجمال ، والذوق ، والمعرفة ، هى حياة كياننا الروحى ، وتمام بصائره على ما قدمنا ، أو حياة « حقيقة الانسان » ..

***

والى هذه المرحلة يوجهنا الله سبحانه بقوله « فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا .. واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون » .. فثم اقتران بين رزق الله ، ووجدان الشكر له سبحانه ، اقتران السبب بالمسبب ، ولكن على نحو روحى ، يقوم فى مواجيد الضمير مقام قوانين الطبيعة فى عالم الأشياء المحسة »

ولكن القرآن فى شرف فضله ، وسمو آفاقه ، لا يقف فى حقائق الروح عند تقرير القوانين البحتة على النحو الآلى المعروف فى عالم الطبيعة ، بل يحدو العزائم والهمم الى ما لا يتصور له كنه من آفاق الفضل والكرامة ، فيدعونا الى أن نأكل رزق الله حلالا طيبا .. ولا اعضال فى فهم الوسائل التى نأكل بها رزقه سبحانه حلالا .. ولكن كيف نأكله طيبا؟ .. هل نستفتى فى ذلك أذواقنا الحسية التى ترى الكمثرى ـ مثلا ـ أطيب من الخيار ، والتفاح أطيب من القثاء ؟ .. ان التقدير الالهى لقيم الأمور أقدس من أن يبعث همم الناس للتنافس مع تلك القيم .. فلم يبق من شىء يطيب به رزق الله فى الخيار والكمثرى وغيرهما على السواء الا شهود فضله سبحانه فيه ، وهو الجدير أن ينزل به الوحى ، وأن تثار همم الناس تنافسا على قيمه « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ..

وذلك مدى للقرآن فى جلالة الشأن واصالة التوجيه يفرد له بين الكتب جميعا مكان الهيمنة الراشدة التى تعنو لها العقول بحق ، ويرجو برها للانسانية كل منطق سليم ..

***

* فاذا بلغنا هذا المدى من امتداد آفاق الذوق والقيم ، سن لنا القرآن مناهج للنظر والفكر على انماط شتى تستثير دقائق الآيات ، وتستخرج العبر من مختلف الظواهر، وتستصفى حقائق الحياة وخلاصات القيم من آثار قدرته سبحانه ، وحكمته ، وعلمه وسائر صفاته ، مما يجعل الكون كأنه يحيا ويربو فى فكر الانسان ووجدانه أو كأن الانسان يصحب الكون على الفة جديدة فى قداسة وتهيب ، وفهم لنفائس قيمه وسديد غاياته ..

فتارة يستنطق الفطرة : « أاله مع الله ؟ » .. وتارة يشير الى مواءمة النعم لظواهر الأذواق : « لو نشاء جعلناه أجاجا ـ أى الماء ـ فلولا تشكرون ؟ » .. وتارة يشير الى مواءمتها لخوافى اسرار طبيعة الانسان **(قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون ؟)**

وتارة يلفت الفكر الى غرائب المفارقات فى الكائنات ، فنرى فى احداها ماء البحر العذب، يلتقى بماء البحر الملح ، ولا فاصل بين الماءين فى رأى العين ، ولكن يمتنع كل منهما أن يعدو على الآخر بالممازجة ، فقد قام بينهما من قدرة الله فارق خفى ينبىء بماله سبحانه من حكمة وارادة .. **« مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان »** . **« وهو الذى مرج البحرين: هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ! »**

***

ويطول تصنيف ما أورد القرآن من مناهج النظر ومسالك العبر ، ولكنا نجتزىء من ذلك

بضرب يؤرخ للثمرة ابتداء من نزول الماء من السماء لارروائها فى بطن الثرى .. الى تنقلها فى أطوار متغيرة ، حتى تخرج ثمرا يانعا ، وجنى شهيا ، فاذا خاطرك يتنقل فى ألوان من النظر ، تارة مع قانون السببية ليشهد فى الأطوار المتغيرة ، ارادة المغير .. وتارة مع لطائف النعمة ، ليشهد فى مننها فضل المنعم .. وتارة مع دقائق الأحوال وغرائب السر ، ليشهد قدرة الخالق .. وذلك فى مثل قوله سبحانه : **« وهو الذى أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ! ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .. قال الامام القرطبى** تسجيلا لخواطره ولمحاته فى أفق هذا المعنى : « وفى هذه أدلة ثلاثة : أحدها ما تقدم من قيام الدليل على أن المتغيرات لا بد لها من مغير .. الثانى على المنة منه سبحانه علينا ، فلو شاء اذ خلقنا لا يخلق لنا غذاء ، واذ خلقه ألا يكون جميل المنظر ، طيب الطعم ، واذ خلقه كذلك ، ألا يكون سهل الجنى ، فلم يكن عليه ألا يفعل ذلك ابتداء ، لأنه لا يجب عليه شىء .. الثالث على القدرة فى أن يكون الماء الذى من شأنه الرسوب ، يصعد بقدرة الواحد علام الغيوب ، من أسافل الشجرة الى أعاليها ، حتى اذا انتهى الى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها ، وثمر خارج ، من صفته الجرم الوافر ، واللون الزاهر ، والجنى الجديد ، والطعم اللذيذ .. فأين الطبائع واجناسها ؟ وأين الفلسفة واناسها ؟ هل فى قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الاتقان ؟ أو ترتب هذا الترتيب العجيب ؟! كلا ! لا يتم ذلك فى العقول الا لحى عالم قدير مريد » .. ومما قال الزمخشرى فى هذا المقام : « انه جعل الماء سببا فى خروج الثمرات ، ومادة لها .. وهو قادر على أن ينشىء الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد ، كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له فى انشاء الأشياء ـ مدرجا لها من حال الى حال ـ حكما يجدد فيها الملائكة والنظار بعيون الاستبصار **عبرا وأفكارا صالحة، وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته** وغرائب حكمته ، لاتتاح فى انشاء الأشياء بغتة من غير تدريج وترتيب » .

***

فاذا كان فى ذلك من الدلائل على وجود الله وقدرته ما فيه ، فشاهدنا تلك المعانى الجليلة التى يبدو فيها الكون حيا قيما لمن ينظرون فيه نظر الملائكة والمستبصرين بملكات قلوبهم ، وهى مدد القلوب ، وزاد الأرواح ..

وقد رأينا الزمخشرى ـ وهو من أرباب الأذواق ـ يعبر عن انفعال وجدانه بتلك القيم بأنه « تجديد » ، وهو تعبير من يحس الحياة تتجدد فى كيانه المعنوى كلما استنبط عبرة من حكمة ، وأحس واردات الطمأنينة الى قدرة الله .. والتجدد أو التجديد شأن الحياة النامية بوارد غذائها المتصل ، فاذا كان الغذاء أفكارا صالحة ، وعبرا مستنبطة من دقائق حكم الله ، وطمأنينة ساكنة الى قدرته سبحانه ، كانت الحياة القائمة بها حياة على غير ما نألف من معهود حياة الحس .. حياة ينتظم بها «الملائكة والنظار بعيون الاستبصار» فى نمط روحى واحد ، ولا يرتبط فيها الانسان والحيوان الا بصلة اللحم والدم .. وتلك حقيقة الحياة ، ومثالها الذى سوى عليه شأن الانسان ، وما نحسب الذين قاموا اليوم ينشدون « القيم السامية التى لا يدركها الوزن والعد » يرتقى خيالهم الى مثل ماقدمنا من مثل وقيم .. ومع ذلك فنداؤهم بالقيم السامية ، انما هو صوت فطرة الله فى الانسان ، يترجم حاجته الى ما فى كتاب الله تعالى .. وسوف يرتفع هذا الصوت ويرتفع وتتضح حاجته الى كتابنا وتتضح ، حتى لايجد له مناصا الا ان يسبقنا اليه ؟ فقد جرب القوم كل علاج ، وامتحنوا كل سبيل ، ولا بد مما ليس منه بد .. وحين تغلب المحن حيلة العقل والعلم ، ويصبح زمام الأمر كله الى تدبير الفطرة يكون المرء فى عصمة الأمن والايمان بنعمة الله ..

الجوانية الاسلامية

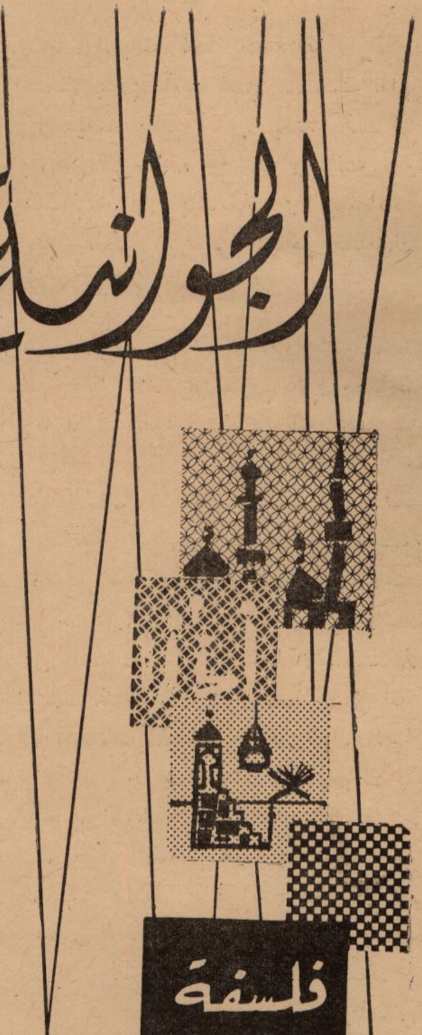

- ١ -

والآن سننتقل الى الحديث عن « الجوانب الاسلامية »

اذا ما نظرنا الى الجوانية فى الأخلاق الاسلامية مثلا ـ ولانستطيع الآن ان نتناول الجوانية الاسلامية فى جميع جوانبها ـ استطعنا أن نقول ان الاسلام فى صميمه دين يقوم على استيحاء الضمير ، واستفتاء القلب هذا الاستفتاء الذى نجده ماثلا فى أكثر آيات الكتاب ، وأحاديث النبى العربى ، كما نجده سائدا فى كتب الصوفية المسلمين ، وبارزا فى كتابات أعلام الاسلام فى العصر القديم وفى العصر الحديث .

١ ـ فى القرآن :

واذا تدبرنا الآثار الجوانية ومعالمها فى القرآن الكريم وجدنا أن ذلك الكتاب حافل بالآيات البينات المعبرة عن هذا الفرق الدقيق بين فهم الناس وسلوكهم حين يكونون جوانيين وبين فهمهم وسلوكهم حين يكونون برانيين : اذ نراه يتحدث عن المعانى الاسلامية للعقيدة الاسلامية ، فينعى على بعض المسلمين برانييتهم ـ بتعبيرنا نحن ـ أى ينعى عليهم تظاهرهم بالبر والتقوى، ووقوفهم عند ظواهر

الاسلام وشعائره دون الايمان به فى قلوبهم ، وينبههم الى أن هداية الدين القويم لاتتحقق الا باستشعار معناه الصحيح العميق فقوله تعالى : **« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ‥ » الآية ٠**

« ليس البر » « ولكن البر » : هذا يدل على أن المعانى التى ذكرها أولا هى المعانى البرانية ولكن مايأتى بعد «لكن » هو المعنى الحقيقى للبر ٠

والبر على مايفهمه سواد البرانيين هو هذا الذى يأتى بعد « ليس » ، وهو **« أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، وهذا هو البر مفهوما على غير معناه الصحيح ٠ وانما البر يقتضى شيئا آخر غير هذه الحركات الخارجية** فالجهة والمكان ليسا داخلين فى معنى البر ولكن القيم الحقيقية للعقيدة الاسلامية لايمكن أن تستقيم اذا أخذناها على المعانى البرانية أو على معانى « الكم والمقدار » ، وانما هى فى حقيقتها « كيف » و « معنى » ، وفرق بين الكم والكيف ، والهيكل والروح ٠

واذا عدنا الى الآية الكريمة وجدناها تقرر أن البر فى حقيقته ايمان بالله وباليوم الآخر واحسان الى الناس ، وايتاء للزكاة ، ووفاء بالعهود ، وصبر على المكاره ، واقامة للصلاة ٠

أراد انكارالفهم البرانى المبر ، وتأكيد المعنى الجوانى للبر هو المقصود وقوله تعالى : **« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »** هذه الآية تدل دلاله قاطعة على معنى الجوانية فى فهم العقيدة الصحيحة ٠ **وكذلك قوله عز وجل : « قالت الأعراب آمنا قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »** فأزمة الأمة الاسلامية أنها لم تراع ولم تلتزم المعنى الجوانى ، فكثير الكلام : **« يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم »** فالعبرة أن يكون الكلام صادرا من القلب ٠

وكذلك قوله تعالى : « كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » فهؤلاء الناس الذى ينفقون ليقال انهم أنفقوا ، أو تصدقوا ليس عملهم هذا من الدين فى شئ ٠

وفى هذه الآيات كلها يعتد القرآن الكريم أكبر اعتداد بشيء آخر غير ذلك الشيء الخارجى ، يعتد بالنية ، ولا يعتد بالكم ، ويعتد بتوهج الايمان ، وصدقه ومتانته ، ولا يعتد بالمسافات ولا بالمشقات ولا بالمعاناة اذا لم يكن يقابلها شيء فى الداخل مطابق لهذا الشيء الذى هو فى الخارج ٠

فى هذه الآيات يعتد الاسلام بالنية والضمير ، وكل هذه يجب أن تكون مصاحبة لاقامة الشعائر الدينية ويرى ان فعل الانسان اذا ما ساورته شبهة من باعث من بواعث الانانية والرياء فقد تجرد عن قيمته الجوانية التى هى حقيقته وأصبح بالتالى فعلا برانيا ، وبالتالى فعلا زائفا لاقيمة له ٠ فاذا سألنا عن السبيل الذى يراه الاسلام موصلا الى السعادة التى يريدها الاسلام للمسلمين ــ استطعنا أن نقول انه السبيل الذى يسلكه « **أصحاب الميمنة » كما يقول القرآن الكريم** ، وكان الجواب أن السبيل هو ألا يقنع المسلم بالحياة البرانية أعنى الحياة التى يحياها وهو ميت الضمير خامد الحس ، أعمى، وأصم ، وأبكم كما يقول القرآن « **صم بكم عمى فهم لايرجعون »** تعبيرا عن القوم الذين يصفهم بهذه الصفات وليس معنى هذا الوصف أن هؤلاء القوم قد اصيبوا بالصمم المادى الحسى، وانما قلوبهم هى الصماء البكماء العمياء ، فالعمى هو عمى البصيرة لا عمى البصر ٠

واذن يجب الا يقنع المسلم بان يحيا مؤديا الشعائر والفروض الدينية أداء آليا صوريا دون استشعار لمعناها العميق ، اذا تساءلنا عن السر فى هذا عرفنا أن المقصود أن يكون الدين ــ فى صميمه ــ هو المعاملة ، بمعنى أن يكون المسلم البار التقى هو ذلك الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويؤتى المال ــ على حبه ــ ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »

والقرآن دائم الذكر والتنبيه الى أن القيمة العليا انما تكون لذلك العنصر الجوانى فى الأفعال وهو العنصر المتمثل فى الايمان والصدق والاخلاص والقصد والنية وحضور القلب وشهود الروح ، والقاء السمع ، وهو المعبر عنه فى لغتنا الحديثة بلفظ « الضمير » والذى عبر عنه الامام على كرم الله وجهه أيضا بالضمير والضمير هو ذلك الصوت الداخلى الذى يتحدث عنه الشاعر الالمانى شيللر

وكذلك قوله سبحانه وتعالى ((ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا »

ثم يقول « لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم اعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام ، بل هم أضل » وقوله تعالى « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » يفيد بان التذكر والعبرة تكون لمن كان ضميره متفتحا نقيا

ب ـ فى الحديث :

فاذا انتقلنا الى الحديث الكريم نجد أن هناك أحاديث كثيرة جدا افاضت فى هذه المعانى نفسها ، وهى تؤكد معنى الجوانية فى الأخلاق الاسلامية تأكيدا لابدع مجالا للتأويل فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فى فى استفتاء القلب : « **استفت قلبك واستفت نفسك)) . وقال أيضا : ((البر ما اطمانت اليه النفس وما اطمأن اليه القلب ، والاثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر وأن أفتاك الناس))**

وقال فى النية : « ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » وهذا هو المعنى الذى أشرت اليه فى بداية الحديث حينما رويت بعض النصوص الأدبية المأثورة عن سقراط وعن الخليفة العربى وعن الامام الشافعى رضى الله عنه ، فكان نظر هؤلاء نظرا جوانيا ولم يكن نظرا برانيا يقف عند ظاهر الأشياء ، دون أن يحاول استكناهها .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم ثم أخطأ فله أجر واحد » : وهذا فى غاية الجمال .

فواضح أن المهم هو السعى الداخلى ـ السعى الجوانى ، الضمير ـ هذا الضمير وهذه النية هذا الاجتهاد الذى يسعى اليه الانسان وهو مخلص صادق ، ويعقد العزم بصدق واخلاص فاذا أخطأ فله الأجر وهذا الأجرهو أجر الاجتهاد والسعى والهمة ، وهذا معنى جميل سواء من الناحية الفلسفية أو من الناحية الأخلافية ، فاثابة المخطىء على الخطأ ان كان قد اجتهد . اشاعة للثقة بين الناس ، حتى يقدموا على الأعمال بهمة ونشاط واخلاص ، أما هؤلاء الذين يترددون ، ويحجمون خوف الخطأ ، ويقفون من الأمور موقف المتفرج الذى لايعنيه من الأمر شىء فهؤلاء أناس يضرون بمجتمعهم ، ولا يمكن الاعتماد عليهم لأنهم يشيعون فى الناس التخاذل والهزيمة والسلبية فالشخص الذى لايقف ولا يريد أن يسعى ولا أن يجتهد ولا يريد أن يغير من نفسه ولا من سلوكه المتردد المتخاذل رجل لايفهم الاسلام ، والله تعالى يقول « **ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**)) ثم ان الاسلام فى صحيحه قائم على دعوة ايجابية كل الايجابية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن الامر بالمعروف يفيض ايجابا ويفيض سعيا ، وعملا لايقتضى عكوفا ولا سكوتا .

والحديث يقول « من رآى منكم منكرا ، فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » فان لم يستطع أن يستنكر المنكر بقلبه فياضيعة الاسلام وياضيعة الايمان وياضيعة الأخلاق وياضيعة الرجولة .

ان الاسلام كما هو واضح من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة شىء آخر غير هذا التردد والتخاذل والسلبية ، ان روحه تقوم على الدعوة الايجابية التى تستطيع ان تخلق عالما تسوده الايجابية فى العمل والتفاؤل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى الحديث المذكور كذلك دعوة صريحة الى العمل الايجابى المستمر المثمر ودعوة الى الابتعاد عن التواكل لا التوكل ، **لأن هناك فرقا كبيرا بين التوكل والتواكل على أن كثيرا من الناس قد يفهمون التواكل على أنه التوكل وهو**

خطأ كبير لانهم يأخذونه على المعنى البرانى ، ولم يأخذوه على المعنى الصحيح وهو المعنى الجوانى .

قال اعرابى يارسول الله « ان الرجل يقاتل شجاعة وحمية ، أو للذكر او ليرى مكانه ، فأيهم فى سبيل الله فأجاب ـ صلى الله عليه وسلم : « **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** »

فالاسلام لايهتم بالنتائج بقدر مايهتم بصدق العزم والنية ، فالأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى ، ولذلك كان للمجتهد الذى يخطىء أجر وهو أجر الاجتهاد أجر النية ، وهذا أمر انفرد به الاسلام دون سائر الأديان فهو ليس منا فى الواقع من هو معصوم بل ربما كان الخطأ مندوبا اليه الانسان ان صح هذا التعبير ـ اذا فهم الاسلام على وجهه الصحيح لان الذى لايخطىء لم يعمل شيئا ، والعدم والعصمة فى المجال الانسانى سيان فالعصمة لله وحده .

والرسول يقول : **انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه »**

فاذن ليست كل هجرة مقبولة عند الله ، وكثير من الأنصار قد ظنوا خطأ أنهم قد أخذوا أجازة من الرسول لانهم هاجروا معه ، فهم من الأنصار ولا بد أن يكونوا من الطبقة المحظوظة أو الطبقة الممتازة لمجرد انهم هاجروا مع الرسول ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من كان هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله .. الى آخر الحديث »

فالهجرة الحقيقية هى الهجرة الجوانية ـ ان صح هذا التعبير ـ التى تكون خالصة القصد والنية **وقال ـ صلى الله عليه وسلم أيضا مبينا صدارة فعل القلب على فعل الجوارح ـ « الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » ويقول أيضا « القلب ملك والجوارح جنوده فاذا صلح الملك صلحت جنوده ويقول « ان الله تجاوز لأمتى عما وسوست به صدورها مالم تعمل به أو تتكلم » ويقول فى البر « البر حسن الخلق »**

واذن ماقيمة عمل الانسان اذا لم يكن فيه فائدة للمجتمع ؟ ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على لسان ربه فى حديث قدسى « **ألا من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه** » .

وقال فى رجل أحسن فى السر وانكشف احسانه ورضى به « **ان له أجرين أجر السر وأجر العلانية .**

وهكذا تتضح سمات الأخلاق الجوانية فى حديثه ـ صلى الله عليه وسلم عن المعنى الأخلاقى للصدقة والصلاة والصوم ، فقد قال عن حقيقة الصدقة « الصدقة برهان » عمل دائب ، صادر عن وعى مستنير واخلاص قلبى ولا رمية من غير رام . وقال أيضا « على كل مسلم صدقة ، قالوا فان لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قال فان لم يستطع ؟ قال فليمن ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فان لم يفعل ؟ قال يأمر « بالخير أو بالمعروف » قالوا فان لم يستطع ؟ قال « فليمسك عن الشر فان له صدقة »

وقال فى معنى الصلاة ، وجوانيتها الاخلاقية « **الصلاة نور** » وقال عن الصلاة الجوانية « **كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب** » فلابد أن نلتفت الى المعنى الجوانى للصلاة وهو استشعار الانسان لعظمة الله ـ أى مايعبر عنه الغزالى بحضور القلب .

وقال عليه الصلاة والسلام فى جوانية الصوم « **الصوم جنة** » **وقال « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .**

وقال : **والذى نفسى بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنون حتى تحابوا » .** وهذا فى نظرى أبلغ ماجاء فى الدعوة الى المحبة وجعلها عمادا للايمان ، وأساسا للأعمال .

هذا هو العمل الذى يعنى به الدين الاسلامى فالدين المعاملة .

وأختم حديثى ببيت لفريد الدين العطار فى هذا المعنى الأخير :

فان تقرأ علوم الناس ألفا
بلا عشق فما حصلت حرفا

من وحى القرآن

وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟

الأستاذ محمد سلام مدكور

— ٤ —

انتهينا فى المقالات السابقة الى بيان أن الطين هو الأصل فى تكوين الانسان الأول وأنه الأصل فى عناصر تكوين الأفراد وأن الماء الدافق الذى يتكون منه الجنين هو مجموع ماء الرجل والمرأة ، وتكلمنا عن الأطوار التى يمر بها الجنين فى الرحم حتى خلق المضغة عظاما وكسوة العظام باللحم وبينا أن ما أثبته علم الأجنة نتيجة الدراسة والتجارب لا يتعارض فى جملته مع ما جاءت به النصوص الدينية اجمالا عن تكوين الجنين وسنتكلم فى هذا المقال عن بعث الحياة فى الجسد .

بعث الحياة فى الجسد :

يقول الله سبحانه فى تصوير هذه المرحلة « **.. ثم أنشأناه خلقا آخر ..** » فهل هذا الخلق الاخر بعد تمام المراحل السابقة ونهايتها فيصير الخلق الآخر باخراج الجنين من الرحم وابرازه الى عالم الدنيا ، كما ذهب اليه بعض المفسرين الذين أراحوا أنفسهم فى هذا المجال من عناء البحث فى كيفية الحياة وتكميل الانسان بعنصره الآخر الذى هو الروح .

ومن هذا ما قاله الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية « ثم أنشأناه خلقا آخر أى خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها ، حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكما . وسميعا وكان أصما ، وبصيرا وكان أكمها ، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف »

فان هذه الأشياء كلها انما تكون بعد الولادة فهذه طريقته ، ويؤيد ذلك ما استدل به من رواية العوفى عن ابن عباس قال : هو تصريف الله اياه بعد الولادة فى أطواره فى زمن الطفولة وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل وما بعده الى أن يموت » .

وقد أورد الألوسى ذلك فى كتابه روح المعانى عند تفسير الآية وأضاف اليه قوله : « ومن هنا قيل :

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وكذلك فقد نقل القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس أن الخلق الآخر هو خروجه الى الدنيا ونقل عن مجاهد أنه كمال شبابه .

وذهب بعض المفسرين الى أن الخلق الآخر متداخل مع بعض الأطوار السابقة ومن ذلك ما نقله الألوسى أيضا عن بعضهم من أن الخلق الآخر هو الروح ، والمراد بها النفس الناطقة ، ويكون المعنى على ذلك أنشأنا فيه خلقا آخر ، ويقول : ان المتبادر من انشاء الروح خلقها ، وان ظاهر العطف بثم يقتضى حدوثها بعد حدوث البدن وهو قول أكثر الاسلاميين واليه ذهب أرسطو ، وقيل الخلق الآخر القوى الحساسة ، وهذا لا ينافى القول بأن الخلق الآخر مساير لبعض الأطوار السابقة .

ويؤيد ما نقله الألوسى ، ما نقله القرطبى أيضا عن ابن عباس والشعبى وأبى العالية ، والضحاك وابن زيد من أنه نفخ الروح فيه بعد أن كان جمادا فانه لا كلام فى أن ذلك والجنين فى الرحم قبل انفصاله عنه .

وظاهر أن الذى دعا القائلين بأن القصد من

قوله تعالى (**ثم انشأناه خلقا آخر**) انه بعد الولادة ، ما هو الدارج فى استعمال « ثم » والمتبادر من ايرادها فى اسلوب النظم الكريم من افادتها الترتيب الزمانى ، ويقول الألوسى: ان ذلك هو ما يقتضيه أكثر استعمالاتها ، على انه قال بعد ذلك : انه لا مانع من أن تكون «ثم» مستعملة هنا للترتيب الرتبى ، فان الخلق الثانى أعظم من الأول ورتبته أعلى .

ولعل الأوفق والأشبه بالتصوير الالهى فى هذا المقام أن نقول بالوجه الثانى من أن الخلق الآخر هو الطور الذى ينفخ فيه الروح وان كان يدخل فى بعض الأطوار السابقة ويكون لفظ « ثم » فى الآية حينئذ للترتيب الذكرى لا الواقعى ، وهذا ليس بعازب عن أساليب العرب فى تعبيراتهم ، ومختلف اقوالهم فقد نطقوا به شعرا ونثرا ، ومنه ما يستشهد به النحويون فى هذا المقام من نحو قول الشاعر القديم :

ان من ساد ثم ساد أبوه

ثم قد ساد قبل ذلك جده

فهذا أسلوب واضح فى أن «ثم» استعملت فيما يسمونه الترتيب الذكرى على أنه عكس الترتيب الواقعى على خط مستقيم .

يقول الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى فى سورة الزمر « **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها** » ان كلمة « ثم » كما تجىء لبيان أن احدى الواقعتين متأخرة عن الثانية ، فكذلك تجىء لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر ، كقول القائل : بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس كان أعجب ، ويقول أيضا قد أعطيتك اليوم شيئا ثم الذى أعطيتك أمس أكثر .

وقال المفسرون مثل ذلك عند تفسير قوله تعالى فى آخر سورة الأنعام « **ثم آتينا موسى الكتاب** » يقول القرطبى فى أحد وجوه التأويل : ان (ثم) بمعنى الواو والمعنى وآتينا موسى الكتاب ، ومن المعروف فى قواعد النحو أن الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا .

وجاء فى تفسير المنار نقلا عن ابن كثير فى تفسير هذه الآية : ان ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر لا للترتيب ، كما قال الشاعر : وساق البيت الذى أوردناه من قبل .

وجاء فى التصريح شرح التوضيح ــ وهو من أمهات كتب النحو ــ « ان قوما من النحويين يقولون فى (ثم) انها لاتفيد الترتيب تمسكا بنحو قوله « **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها** » ، واجيب بأن ثم فيها بمعنى الواو بدليل قوله تعالى فى سورة الأعراف « **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها** »

وهذا المذهب ورده يتفقان معا على أن ثم قد لا تفيد الترتيب غير أنهما يختلفان فى أنه معنى وضعى أو معنى غير وضعى .

والنتيجة من هذا العرض تأييد ما ذهبنا اليه من أن (ثم) فى قوله تعالى « **.. ثم أنشاناه خلقا آخر ..** » لاتفيد الترتيب تمشيا مع دلالة العلم والبحث ، فليس القول به تجنيا ولا خروجا على استعمالات العرب فى أساليبها الفصيحة وعلى راسها القرآن الكريم فقد رايت أنه تكرر فيه ذلك الاستعمال فى غير الآية المذكورة .

كما رايت أيضا أن ما ذهبنا اليه فى شأن الخلق الآخر وأنه متداخل مع بعض الأطوار وهو مذهب طائفة من كبار الصحابة والمفسرين وهو ما أيده علم الأجنة ودراسة المتخصصين من الأطباء فى هذه الناحية فى القديم والحديث فانهم يقولون : ان الانسان بعد نفخ الروح فيه يكون أرفع منزلة وأبعد مكانة مما كان حتى تتنبه فيه وهو جسم نام وان كان خاليا من الحس والحركة .

ولا كلام فى أن مرحلة ايجاد الحياة فى الجنين تبتدىء من أول الشهر الخامس من الحمل كما اتفق على ذلك رجال الطب مع علماء الاسلام ، ويستدل علماء الطب الحديث بتجاربهم وملاحظاتهم ، كما استدل علماء الشرع الاسلامى بحديث الصحيحين السابق ذكره عن ابن مسعود « **ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح** »

والحديث بناء على ما أوردناه من تداخل بعض الأطوار مع بعض فاننا نعتبره مجرد اشارة ولفتة من اللفتات النبوية التى الفناها فى المناسبات المختلفة مما أيده العلم واثبت

حقائقه ، فان التزام عدد الأربعين فى الثلاثة التصويرات لا بدله من فائدة ونكتة ، فهى اذن ما اثبته العلم من تحرك الجنين ووجود الحياة فيه بعد هذه الأربعينات الثلاث التى أورد النبى صلوات الله عليه بعد ذكرها أمر نفخ الروح فى الجنين وهذا هو الذى نستطيع اثباته فى هذا المقام .

على أننا نقول بعد هذه الكلمة ان وظيفة الكتاب الكريم والسنة النبوية فى الجملة هى هداية البشر الى ما تصح به عقائدهم وتحسن به اخلاقهم وينتظم معه مجتمعهم فى سلوكهم وتعاملهم بعضهم مع بعض ، فليس من نشأته تلك التحديدات العلمية الدقيقة ، ولا هى من الأغراض التى جاءت نصوص الدين الاسلامى من أجلها .

وحسبك أن يجيب الله تعالى مثلا عن الأهلة فى وقتها وتدرجها حتى تصير بدرا كاملا فيقول (**هى مواقيت للناس والحج**) ليبين أن ذلك مقصود الدين ، واتجاه الاسلام فى تعاليم الناس شرائعهم وشعائرهم ، دون أن يقحم البيان الجغرافى أو التفسير النجومى الفلكى لمواقع القمر والأرض والشمس ومدارات كل لأن ذلك ليس من مقصوده فى هذا .

فالقرآن ليس بكتاب طب ولا فلك ، ولم يكن القصد منه تعليم الاطباء مهنة الطب وبيان أسرارها ولم يكن القصد من هذه الآية وأمثالها وضع قواعد علم الأجنة والتفصيل الدقيق لمراحل الجنين وأطواره وانما جاء القرآن بالموعظة الحسنة والأحكام العامة التى تمكن الناس من حياة رغدة سعيدة فى الدنيا والآخرة .

وكذلك السنة ما كان من شأنها أن تكون طبا أو فلكا وانما جاءت مفسرة ومبينة لاجمال ما جاء به القرآن وكان من مقصوده ، ولاشك فى أن مقصوده الأول هداية الناس وموعظتهم ووضع الأحكام التى تنظم لهم حياتهم فى المجتمع الانسانى وتوجههم الى الخلق الكريم ، وهو حينما يتعرض للآيات الكونية أو الآيات النفسية انما يلمسها بالقدر الذى يفتح به الأذهان الى عظمة الخالق وقدرته والايمان به والخضوع والانقياد لدعوته وحكمه ، وهذا القدر هو الذى قصدنا اليه فى مقالاتنا حول هذا الموضوع . وليس من شأننا أن ندعى للقرآن الكريم أنه تناول تفصيل تلك النواحى، ولا يعيب القرآن الكريم ذلك فانه كما قلنا كتاب هداية كما ورد فى صدره تعريفا بشأنه اذ يقول (**هدى للمتقين**)

وفى هذه المناسبة نذكر أن ما يقول به من يدعون الصداقة للاسلام والقرآن من أنه بين كل شىء فى الوجود استنادا الى ظواهربعض الآيات القرآنية مثل آية « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » وآية « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء** » نذكر أن مسلك القائلين بهذا مسلك غير مستقيم ولم يقل به أحد من السالفين الصالحين فى تأويل الآيات الكريمة . فانهم يقولون ان القرآن الكريم تبيان لكل شىء مما أنزل فى شأنه ، وهو ما يحتاج اليه الناس فى شئون دينهم التى بعث الله بها الرسل وأنزل بها الكتب .

وليس هناك كتاب من الكتب السماوية خاص فى تفصيل شأن من شئون المعارف الدنيوية ولا الأبحاث العلمية أو العلوم الكونية على مختلف فنونها وانواعها ، ولا عرف عن رسول من الرسل ولا نبى من الأنبياء أنه كان يعلم جماعته تفاصيل تلك العلوم أو يخوض معهم فى شأن من شئونها ، لأنه بوصف كونه نبيا أو رسولا ليس منوطا به التكلم فى تلك الشئون ، وليس من مهمة بعثه بيانها والخوض فى تفصيلها .

وحسب القرآن من السمو والنبل ورفعة المستوى فى هذه النواحى تسجيل الصدق فى كل ما أورده منها لمناسبة من المناسبات دعت اليها ، وأنها لا تتخلف عما وصل اليه العلماء والباحثون فيما أورده منها ، وان حقائق تلك العلوم التى دعت اليها شئون العقائد أو التشريع مما يسعى اليها العلماء ببحوثهم وينتهون اليها بتجاربهم وملاحظاتهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن .

وبعد أن انتهينا من ذكر الأطوار التى مر بها الجنين فى مراحل تكوينه ووقت وجود الحياة فيه فقد بقى علينا أن نتكلم عن الروح وصلتها بالانسان لشدة صلة ذلك بموضوعنا ومناسبتها له ، وهذا ما سنتناوله فى المقال القادم ان شاء الله .

الاسلام والمسلمون

في القارة الأمريكية

الدكتور محمود يوسف الشواربي

— ١ —

في صيف العام الماضي استضافت الجمهورية العربية المتحدة ممثلي اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، حيث وفد الى القاهرة عدد كبير من أفراد الجاليات الاسلامية في كل من الولايات المتحدة وكندا وتشرفوا بمقابلة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وعقدوا مؤتمرهم العاشر في القاهرة ، وأقيم هذا المؤتمر في مبنى الجامعة العربية ، وتحدث الى هذه الوفود كل من السيد كمال الدين رفعت عضو مجلس رياسة الجمهورية والسيد عبد الخالق حسونة أمين عام الجامعة العربية .

ولقد قضت تلك الجاليات عشرة أيام في القاهرة زارت خلالها معظم مؤسساتنا العلمية والصناعية والزراعية ، فقد زارت الجامعة الأزهرية وجامعة القاهرة ومصانع الحديد والصلب ومديرية التحرير ، وعرفوا الكثير مما يدور في الجمهورية العربية المتحدة من مختلف وجوه النشاط في شتى مناحي الحياة عندنا .

ويسرنا أن نقدم الى الرأي العام عندنا فكرة عن هذه الجاليات وحتى يكون بمثابة تعريف عن « الاسلام والمسلمين في القارة الأمريكية » . فمما لا شك فيه أن في هذا تعزيزا للروابط الروحية والفكرية والعلمية ، بل والاقتصادية والسياسية بيننا وبين هؤلاء المسلمين الذين يعيشون في المهجر الأمريكي بعيدين عن ديار العالم الاسلامي .

ولقد أصابت الدولة في تمكين أولئك المهاجرين المسلمين من عقد مؤتمرهم العاشر في كبرى العواصم الاسلامية مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم . فهم بلا مراء سفراؤها في وطنهم الجديد ، واحكام الصلة بيننا وبينهم وتعريفهم نهضتنا واستضافتهم في وطنهم الأول ، له من غير شك آثار بعيدة المدى من وجوه عديدة .

ولقد تحدث الينا الكثيرون منهم بعد اتمام زيارتهم لنا ، فأعربوا عن رغبتهم الشديدة في احكام الصلة بينهم وبين سائر أخوانهم في العالم الاسلامي بصفة عامة وفي الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة . كما أبدى الكثيرون منهم الرغبة في ايفاد بعض أبنائهم للتعليم في الجامعات العربية حتى يشب أبناؤهم وبناتهم في بيئة اسلامية ، ويتقنوا التحدث باللغة العربية فيعملوا عند عودتهم على احياء التعاليم الاسلامية واللغة العربية بين أهليهم وذويهم ، وهم في وطنهم الثاني امريكا وكندا .

ولقد سنحت لي فرصة نادرة ، وهي انتدابي أستاذا زائرا لمدة عامين متتاليين بجامعتين من الجامعات الأمريكية : الأولى منهما هي جامعة ماريلاند التي تقع في ضواحي مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة

الأمريكية ، والثانية هى جامعة فورد هام بمدينة نيويورك ، التى تعتبر اليوم عاصمة العالم نظرا لوجود المقر الرئيسى الدائم لهيئة الأمم المتحدة بها . وباعتبارى السكرتير العام لجمعية التعريف الدولى بالاسلام ، فقد انتهزت الجمعية هذه الفرصةوأرادت أن تنفذ غرضا رئيسيا من أغراضها ، ألا وهو دراسة حالة الجاليات الاسلامية بها ، وما يمكن أن تقدمه لتلك الجاليات فى صورة مساعدات علمية وأدبية فيمايختص بتعريفهم حقيقة تعاليم دينهم ، ثم اطلاع الشعب الأمريكى ذاته على حقيقة هذه المبادىء خالية من الشوائب والافتراءات التى ألصقتها الدعاية المغرضة بالدين الاسلامى وخصوصا الدعاية الصهيونية .

ولقد انتهزت هذه الفرصة وقمت بهذا العمل الانسانى الذى يحتمه واجب الأخوة الدينية نحو تلك الجاليات الاسلامية بصفة خاصة وواجب الأخوة الانسانية نحو أفراد ذلك الشعب بصفة عامة ، وذلك فى أوقات الفراغ من عملى الجامعى .

والآن وقد ذكرنا أن ممثلى اتحادالجاليات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، قد حضروا الينا فى الصيف الماضى ، فلنبدأ بذكر نبذة قصيرة عن هذا الاتحاد .

اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا

يبلغ تعداد السكان بالولاياتالمتحدة وكندا ما يزيد على المائتى مليون نسمة ، وفى هاتين الدولتين بالذات يتركز المسلمون الموجودون بالقارة الأمريكية ، ذلك لأن المكسيك لا يوجد بها الا عدد ضئيل جدا من بعض الأفراد أو الأسر الاسلامية . ولكن الغالبية العظمى من الجاليات الاسلامية توجد فى الولايات المتحدة وتتركز فى ولايات دون أخرى .

ويزيد عدد أفراد الجاليات الاسلامية الذين يقيمون فى القارة الأمريكية على بضعة ملايين ، ولقد نزح معظم أفراد تلك الجاليات الى القارة الأمريكية عن طريق الهجرة من مختلف دول العالم الاسلامى ، فقد هاجر بعضهم من الهند والباكستان وأندونيسيا وتركيا وألبانيا ويوغوسلافيا وروسيا والمغرب ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن والسودان والصومال .

ولعل من أكبر الجاليات الاسلامية هناك الجالية الروسية التى هاجرت الى أمريكا منذ ما يقرب من نصف قرن واتخذت أمريكا وطنا ثانيا لها .

ومن بين الجاليات الاسلامية الجالية الصومالية وكذا الجالية اليمنية ، وهما جاليتان اسلاميتان قويتان ومنظمتان ، وتعتبران كبيرتين بالنسبة الى عدد سكان الدولتين الاسلاميتين اللتين نزحتا منهما الا وهما : الصومال واليمن .

ويوجد الى جانب ذلك العدد الكبير من الجاليات الاسلامية المختلفة الجنسية عدد كبير من الأمريكيين السمر الذين يدخلون فى الاسلام أفواجا وبصفة مستمرة . وهؤلاء الامريكيين السمر هم من النازحين الأول الى أمريكا من القارة الافريقية وممن ساعدوا المهاجرين الأوربيين الأوائل على استغلال المزارع الأمريكية الواسعة ، وخاصة فى الولايات الأمريكية الجنوبية ، ومنهم من رحلوا الى الولايات الشمالية واستقروا بهاحيث يعملون جنبا الى جنب مع الأمريكيين البيض فى شتى الميادين التجارية والصناعية والزراعية .

ومما هو جدير بالذكر أن المسلمين فى القارة الأمريكية موزعون بغير انتظام فى مختلف دولها ، بيد أنه يكثر وجودهم فى الولايات المتحدة ، وهؤلاء بدورهم ليسوا مركزين فى ولاية بعينها من مختلف الولايات الأمريكية البالغ عددها ٥٠ ولاية ، ولكنهم موزعون على عدد كبير من تلك الولايات ، ويكثر وجودهم فى مدن معينة من المدن الأمريكية الكبرى كمدينة نيويورك ومدينة ديتويت ومدينة ديربورن ومدينة شيكاغو ومدينة سان فرانسيسكو ومدينة سكرمنتو .

ومن الأمور الطبيعية أنه فى مثل تلك المدن الكبرى حيث توجد جاليات اسلامية كبيرة نزحت الى أمريكا من دول مختلفة من دول العالم الاسلامى : سواء من آسيا أو افريقية أو بعض دول أوربا ، فاننا شاهدنا أن كل جالية من تلك الجاليات المتعددة تعمل أول

ما تعمل على انشاء جمعية ترعى أفرادهـــا المختلفين الذين نزحوا جميعا من قطر واحد أو من شتى أقطار العالم الاسلامية .

ومن الأمثلة التى نسوقها على ذلك مدينة نيويورك نفسها ، فهى تعتبر بلا شك كبرى مدن الولايات الأمريكية المتحدة على الاطلاق ، وبها حوالى عشرة ملايين من السكان .وبهذه المدينة ما يزيد على بضع وعشرين جمعيـة اسلامية ، كل منها أنشئت بقصد رعـاية مصالح مجموعة من الأفراد الذين ينتمـون الى قطر واحد من أقطار العالم الاسلامى ، ونذكر من هذه الجمعيات الاسلامية الآتية :

١ ــ جمعية اتحاد وادى النيل .
٢ ــ الاتحاد النوبى السودانى .
٣ ــ جمعية شمال شرقافريقية الأمريكية
٤ ــ جمعية الاتحاد الباكستانى بأمريكا .
٥ ــ الجمعية اليمنية الأمريكية .
٦ ــ الجمعية الدولية الاسلامية .
٧ ــ الجمعية الأندونيسية
٨ ــ الجمية الاسلامية الأمريكية .
٩ ــ الارسالية الاسلامية الأمريكية .
١٠ ــ جمعية الملايو الأمريكية
١١ ــ الاتحاد العام للجمعيات المراكشية .
١٢ ــ جمعية الشباب الاسلامى .
١٣ ــ مؤسسة مسجد نيويورك
١٤ ــ جمعية الشباب المسلمين .
١٥ ــ الجمعية الثقافية للسيدات المسلمات

من ذلك نرى بوضوح تام الصورة الحقيقية لنشاط الجاليات الاسلامية المختلفة المنتشرة فى كبرى المدن الأمريكية .

ولقد اتجه تفكيرنا أول ما اتجه الى انشاء مجلس اسلامى فى كل مدينة كبرى حتى يقوم بتنسيق الجهود بين هذه الجمعيات المختلفة وبالتالى بين تلك الجاليات الاسلامية الكثيرة التى تعيش فى مدينة واحدة .

ولقد اقترح تعميم هذه الفكرة فى جميع المدن الكبرى وعملنا ما استطعنا على تحقيق هذا الهدف وعلى تنسيق النشاط العـام لجميع مسلمى أمريكا عن طريق اتحـاد عام لهذه المجالس الاسلامية ، وبالتالى لجميـع هذه الجاليات الاسلامية والجمعيات المختلفة التى أنشأتها كل جالية منها .

ولقد أنشىء الاتحاد العام للجمعيـات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وأصبح الهيئة الكبرى المنظمة التى تمثـل الاسـلام والمسلمين فى القارة الأمريكية على أوسـع نطاق مستطاع .

ولقد كان للسيد عبد الله عجرم ، الفضل الأول فى تنظيم ذلك الاتحاد، وعقد أول مؤتمر للمسلمين فى المدينة التى يقطنها ، وهى مدينة « سيدار رابيدز » بولاية ايوا ، وهى مدينة صغيرة لا تبعد سوى ٨٠ كيلو مترا غربى نهر المسيسبى الشهير ، الذى يشبه نهر النيل فى كثير من الوجوه .

ولقد عمل السيد عجرم على تكتيل الجالية الاسلامية المحدودة العدد فى ولاية « ايوا » اولا ثم اقنعها بضرورة توجيه العناية نحـو جمع شمل المسلمين وتنظيم نشاطهم فى اتحاد عام يحفظ لهم كيانهم ويقوى أواصر الصلة بينهم ، وأن يبدأوا هم أنفسهم بضرب المثل على ذلك، وأن يوجهوا الدعوة لعقد أول مؤتمر لمسلمى أمريكا وكندا فى بلدهم الصـغير « سيدار رابيدز » وقـد تم لهم ما ارادوا وعقد هذا المؤتمر بالفعل فى مدينتهم يوم ٢٨ يونيو ١٩٥٢ وقد حضره حوالى ٤٠٠ مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكنـدا وتألفت فى ذلك الوقت الجمعية الدوليـة الاسلامية وانتخب السيد عبد الله عجـرم رئيسا لها .

ولقد ظلت هذه الجمعية تقوم بتوجيـه الدعوة الى عقد تلك المؤتمرات السنوية حيث عقد المؤتمر الثانى فى توليدو فى يوليو سـنة ١٩٥٣ ، كما قامت هذه الجمعية كذلك بتنظيم المؤتمر الثالث لمسلمى أمريكا وكندا فى مدينة شيكاغو فى شهر يوليو سنة ١٩٥٤ .

ولقد دعيت ضيف شرف فى هذا المؤتمر فى أثناء وجودى بأمريكا أستاذا زائرا بجامعـة ماريلاند ، وهناك تناقشنا جميعا فى وجـوب انشاء اتحاد عام للجمعيات الاسلاميـة فى الولايات المتحدة وكندا ، وقمنا بوضـع القانون التأسيسى لهذا الاتحاد ، وتم الاتفاق على قيامه فورا ليحل محل الجمعية الاسلامية الدولية وانتخب السيد عبد الله عجرم أول رئيس لهذا الاتحاد .

ولقد أصدر الاتحاد بيانا بدستوره جاء فيه :

« نحن أعضاء الجالية الاسلامية فى القارة الأمريكية ، تنفيذا لأوامر القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » نعلن انشاء اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ...

ان جميع الناس ولدوا طاهرين فى رأى الاسلام ، ويؤمن كل منهم فى أعماق نفسه بالله واحد يعبده ، ووفقا لهذه التعاليم يؤمن المسلم بأن عليه فى هذا العالم أن يظفر بالعلم والتجربة وهويستنير فىهذا السبيل بالقرآن الكريم والسنة التى أنزلت رحمة للعالمين ومعاونة للبشر على الوصول الى غايتهم .. والمسلم المخلص يتوق دائما الى السمو بشخصيته وسلوكه الى أعلى مستويات الخلق عن طريق ترويض روحه وجسده ، وهكذا تصبح معارفه وتصرفاته صورة حية للمثل الانسانية العليا فى الميادين الروحية والأخلاقية والاجتماعية ..

والمسلمون يكونون ، وفى أى عصر يعيشون مسئولين أفرادا وجماعات عن تعليم أنفسهم وتدريبها على اتباع المثل العليا للاسلام ونشرها . وهذه المثل هى العزة والكرامة وتقدير قيمة جميع أفراد البشر وكذلك الاخوة واشاعة الحب بين الناس »

ومن ذلك يتضح جليا أن قيام الاتحاد العام للجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا معقود عليه آمال كبار ، وهذا ما كنا نعتقده دائما وما نرجو الله أن يحققه فى المستقبل القريب ان شاء الله على يد هذه المؤسسة التى تعتبر المؤسسة الدائمة التى تتكون من صميم الجاليات الاسلامية التى تتألف من المواطنين الأمريكيين أنفسهم .

ولا يألو هذا الاتحاد جهدا الآن فى العمل على النهوض بالنواحى الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين جميعا فى القارة الأمريكية ، كما انه يعمل على أن يعتز المسلمون بتراثهم الاسلامى وتفسير تعاليمه وشرح مبادئه السامية التى يشترك فيها مع الأديان الأخرى لزملائهم من غير المسلمين من الأمريكيين . وفى رأينا أن هذا الاتحاد سوف يكون عاملا قويا فى نشر الثقافة الاسلامية على أوسع نطاق ممكن بين المسلمين الأمريكيين، وكذلك توطيد العلاقات بين مسلمى مختلف الولايات الأمريكية ، كما أنه سوف يصبح كذلك عاملا قويا فى توثيق الصلة بين مسلمى القارة الأمريكية بصفة عامة وبين اخوانهم من المسلمين فى شتى بقاع العالم الاسلامى المترامى الأطراف .

وانه لمن دواعى السرور والغبطة حقا أن نقرر هنا ، أن ما توقعناه من نجاح لهذا الاتحاد قد تحقق ، فقد تم عن طريقه تحقيق الكثير مما ذكرناه . ولقد توجت هذه الجهود باحكام الصلة الوثيقة بين هذا الاتحاد وبين الجمهورية العربية المتحدة حيث قام هذا الاتجاه بعقد مؤتمره العاشر فى مدينة القاهرة .

ولقد زار أعضاء الاتحاد معظم معالم القاهرة واطلعوا على نهضتنا فى جميع النواحى الاجتماعية والثقافية والعلمية والصناعية والزراعية والاقتصادية ،وتكونت صداقات عديدة بين عدد كبير من أفراد الاتحاد وبين زملائهم من المسلمين العرب وغيرهم فى الجمهورية العربية المتحدة .

ومما لا شك فيه أن احكام مثل هذه الصلات بيننا وبين اخواننا المسلمين فى القارة الأمريكية له من الآثار الطيبة ما لا يخفى على أحد ، سواء فى الميادين الاجتماعية أو الاقتصادية ، بل والسياسية كذلك ، فهؤلاء بلا شك سوف يكونون بمثابة سفراء لأوطانهم الاسلامية الأولى التى نزحوا منها الى القارة الأمريكية .

ولقد كانت زيارتهم فى الصيف الماضى للجمهورية العربية المتحدة فاتحة عهد جديد فى توطيد العلاقة بين مسلمى القارة الأمريكية وبين مسلمى العالم الاسلامى . ولقد رحبت الدولة بهم ترحيبا جعلهم يثنون كثيرا على ما لقوه من حفاوة فى بلادنا ، كما تفضل السيد الرئيس فقابلهم جميعا مقابلة خاصة وتحدث اليهم ، وألقى كلمة فيهم فى اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٦١ كان لها أحسن الوقع فى نفوسهم .

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

الصلح المؤقت .. أو المعاهدة المؤقتة والفرق بينهما .. وبين الهدنة

أفرد القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ثلاثة أبواب واحد لكل من الهدنة ، وعقود الصلح والفسوخ وبين فيها الأسس والشروط وكل ما يكتبه المؤلفون فى القانون الدولى عن المعاهدات وأساليب كتابتها واثباتها وابرامها ونقضها لا يخرج عما ذكره ، وأفاض القلقشندى فى كيف تكون الهدنة بين أهل الاسلام وأهل الأديان الأخرى وعقود الصلح بين ملكين مسلمين وكيف أن كل متعاقد يأخذ نسخة . كما أن المفاسخة قد تكون من جانب واحد أو من الجانبين معا .

والذى يهمنا فى هذا المقال المحدد أن نشير الى أن كثيرا من فقهاء الاسلام استعمل هذه الألفاظ كمترادفات بمعنى واحد وقد أسلفنا معنى الهدنة فى الاسلام على الراجح ، ومعناها فى القانون الدولى ومن يملك عقدها فى كل منهما .

أما الصلح فأعم من الهدية فى لغة الفقه الاسلامى فقد يكون مؤقتا وقد يعبر به عن الهدنة كصلح الحديبية ، وقد يعبر به على عقد الذمة فيقال هذا ما تصالح عليه فلان وفلان وقد يقصد به عقد الصلح النهائى الذى تنتهى به الحرب ويكون صلحا دائما ، وقد ذهب البعض الى أن الصلح غير جائز الا فى حالة الضعف . وخير ما نختم به ونرد به على هذه المقالة كتاب الامام على بن ابى طالب الى الأشتر النخعى فى الحض على قبول الصلح راعية للسلام فقد جاء فيه (**لا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى فان الصلح دعة لجنودك وراحة وأمن لبلادك .** وان عقدت بينك وبين عدو لك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل لنفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .. فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تحتلن عدوك فانه لا يجترىء على الله الا جاهل شقى . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أمضاه الى عباده برحمته .. فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه

بغير الحق فان صدك عن ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من عذر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله طلبته لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك) .

مقـــارنة

ولعله من المفيد بعد أن عرفنا الى أى حد كان تشدد المسلمين وولاتهم فى رعاية العهود ومنعة أهل الذمة ، وكيف كانت الجـزية لديهم ضريبة الدفاع عن حلفائهم ، وكيف كانوا يتصالحون على غير جزية متى رضيت حليفتهم الدفاع عن نفسها ومشاركة المسلمين فى رد عدوان العدو المشترك ، وكيف حذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ظلم أهل الذمة وأهل العهود والمحالفات ، والى أى حد تحرج المسلمون وتشددوا فى ذلك خوفا من الله واستمساكا بأسمى مبادىء الخلق – **لعله من المفيد – أن نثبت هنا للمقارنة والعبرة ما أورده المقريزى فى نفح الطيب عن صـاحب صاحب قشتالة ونصارى الاندلس مع أهـل غرناطة عند مبدأ أفول نجم المسلمين بهـا لتنكبهم أوامر دينهم ، وكيف خفر النصارى الذمة وخانوا العهد حيث قال المقريزى (فى ثانى ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ استولى النصارى على الحمراء بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوف الغدر وكانت شروط الصلح سبعة وستين ، منهـا تأمين الصغير والكبير فى النفس والأهـل والمال وابقاء الناس فى أماكنهـم ودورهم ورباعهم وعقارهم واقامة شريعتهم على ماكانت عليه ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك ، وأن لايدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا ولا يولى على المسلمين نصرانى ولايهودى ، وان يفك جميع أسرى المسلمين من غرناطة .. وأن لايؤخذ أحد بذنب غـيره وان لايقهر من أسلم على الرجوع الى النصارى ودينهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا على نفسه وماله ، ولايحمل عـلامة كعلامة اليهود ولايمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل من أمور دينـه ، الى ان قال المقـــريزى ثم أن الاسبانيين نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة بعد عروة الى أن آل الحال الى حمل المسلمين كرها على التنصر سنة ٩٠٤ هـ . ويقول المؤرخ الأسبانى بالستر أن النصارى أخذوا يظلمون المغلوبين ويضايقونهم فى دينهم بوسائل العنف والقسر .. حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة من أسبانية ولم يبق بالأندلس سوى عـرب متنصرين ينعتونهم بنصارى الظاهر لا نصارى الباطن ثم اضطر الباقى الى الجلاء أو التنصر »**

وقال جوستـاف لوبون فى هذا الصدد أيضـا لما أجلى العـرب سـنة ١٦١٠ م اتخذت جميع الذرائع للفتك بهـم فقتـل أكثرهم وكان مجموع من هلك من العرب على رأى سديو من أيام فرديناند الى ميعاد الجلاء ثلاثة ملايين من الناس – فى حين أن العـرب لما فتحوا اسبانيا تركوا السـكان يتمتعون بحريتهم الدينية محتفظـين بمعـاهدهم ورئاساتهم غير مكلفين الا بدفع الجـزية مقدرة بما كانوا يبذلونه لملوك القوط وقـد بلغ تسامح العرب طوال حكمهم فى أسبانيا مبلغا قلما يصادف الناس مثلـه فى هـذه الأيام » .

ولا عجب فى أن يكون مسلك العـرب فى أسبانيا على هذا النحو من التسـامح وترك الناس أحرارا فى دينهم لايرغمون على الدخول فى الاسلام لأنهم كانوا دائما يتمثلون أوامـر دينهم ففى القرآن **(لااكـراه فى الـدين) (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مـؤمنين) (لست عليهم بمسيطر) (انما عليك البـلاغ وعلينا الحساب)** وفى سنة رسولهم القولية **(من ظلم معاهدا فانا حجيجه يوم القيامة) وسنته الفعلية – صلى الله عليه وسلم – فى عهده لنصارى نجران)** وقد سطرناه من قبـل فى باب التحكيم ولا بأس من ذكر بعض عباراته مما تتناسب والمقام » ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم

وأنفسهم وأراضيهم وملتهم - وغائبهم وحاضرهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانيته وليس عليه دية ولا دم جاهلية ولا يخصرون ولا يعرون ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فلهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل الربى فذمتى منه بريئة ولا يؤخذ رجل بظلم آخر وعلى ما فى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله أبدا حتى يأتى الله بأمره مانصحوا وأصلحوا ٠

وظل عهدهم مرعيا أشد ما تكون الرعاية فلما جاء أبو بكر كتب اليهم مجددا عهد الرسول فلما أن نقضوا العهد فى خلافة عمر بأن اتخذوا الخيل والسلاح واعداد الجيوش وأصابوا الربا واتصلوا بقياصرة الروم أثناء قيام الحرب بينهم وبين المسلمين لم ينكل بهم عمر رغم نقضهم العهد وخيانتهم وأجلاهم عن نجران اليمن الى نجران العراق فى رفق بالغ اذ لم يكن من المعقول بعد أن بدت منهم الخيانة وخفر الذمة أن يبقيهم فى بلادهم وقد صارت فى قلب الدولة الاسلامية اذ أحاطت بها البلاد الاسلامية من كل جانب اذ فى بقائهم أبلغ الخطر وأوصى بهم واليه على العراق على ابن أمية حيث كتب له يقول **(أتتهم ولا تفتنهم فى دينهم ٠٠ ثم خيرهم بلدان العراق وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ان لا يترك بجزيرة العرب دينان ولأنهم نقضوا العهد ثم قال فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسع لهم من حرث الأرض ٠ ومن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فانهم أقوام لهم ذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا - حتى يستقروا فى مكان يختارونه وينتجون فيه - غير مظلومين ولا معتدى عليهم)**

وفى خلافة عثمان كتب الى واليه الوليد بن عقبة يستوصيه بهم خيرا ويخفف عنهم من جزيتهم وكتب لهم على بن أبى طالب (فمن أتى عليهم من المسلمين فليف لهم ولا يضاموا ولا ينتقص حق من حقوقهم) فلما كانت خلافة معاوية أو ابنه يزيد وقدموا عليه ألبسهم مائتى حلة)

ونؤكد أن نصارى نجران بعد وفاة الرسول وارتداد العرب كانوا فى جملة الناقضين للعهد ولكن أبا بكر عفا عنهم وعقد بينه وبينهم عهدا آخر مثل ما عاقدهم عليه الرسول فلما كانت خلافة عمر اتخذوا الخيل والسلاح واتصلوا بأعداء الاسلام من قياصرة الروم أجلاهم الى خارج حدود الدولة لأنهم استمرأوا نقض العهد ومع ذلك فقد أعاد اليهم أمانهم حيث استقروا وخفف عنهم الجزية وتركهم على دينهم وكان من حقه أن يفعل بهم ما فعله الاسبانيون بالعرب بغير حق وعلى غير مقتضى الشرف اذ نقض الاسبان العهد ونكلوا بالمسلمين وأخرجوهم وأبادوا من لم يستطع الرحيل منهم ٠

صلح ايلياء (بيت المقدس)

وهذا صلح دائم آخر من روائع الأمثال نأتى على ذكره بمناسبة ما مر من سوء معاملة المسلمين فى الأندلس واهدار شروط الأمان الذى أعطى لهم فبضدها تتميز الأشياء وذلك أنه لما طال الحصار على أهل ايلياء بيت المقدس رغبوا فى الصلح وشرطوا أن يتولى العقد معهم خليفة رسول الله عمر ، وبعدها يسلمون اليه بالمدينة فكتب قائد جيش المسلمين الى الخليفة بذلك فخرج عمر من المدينة المنورة الى بيت المقدس فى ركب متناه فى البساطة والتواضع وكانت أول خرجة خرجها عمر من المدينة فلما أشرف على بيت المقدس قدم اليه رسل النصارى ومفاوضوهم وكتب لهم العهد الآتى **(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا يكرهون على دينهم ولايضار أحد**

البقية صفحة ٦٩

وجعلنا من الماء كل شيء حي

الدكتور أنور عبد العليم

٣

٨ - ارتباط النظم الطبيعية بعضها ببعض :

بينا فى المقالين السابقين أن القوانين الطبيعية التى تعمل بموجبها الظواهر الكونية تدل بما لا يدع مجالا للشك على أن هذا الكون يسوده النظام وتجرى أفلاكه ومجراته وشموسه ونجومه وكواكبه وفقا لنظام بديع وقانون محكم ، **ان دل على شيء فعلى أن مبدع هذه النظم والقوانين هى قدرة الهية لا يتطاول الى مستواها أذكى العقول الانسانية وأشدها حدة ومضاء . ولا يسع العالم المجد الأمين الا أن يخر ساجدا اذا ما تكشفت أمامه لمحات من أسرار القوانين الكونيةالعظيمة ، وذلكمصداق لقوله تعالى ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) .**

ولئن كان عالم الطبيعيات الانجليزىالمشهور اسحق نيوتن هو أول من لفت النظر فى العالم الغربى الى قوانين حركة الكواكب فى أفلاكها حولالشمس ، بعد أن اكتشف قوانينالميكانيكا الأساسية وقانون الجاذبية العام الذى يشرح تلك الحركة ، فقد كان ذلك فى القرن الثامن عشر الميلادى . بيد أن القرآن الكريم قد أشار الى تلك الظواهر من قبل ذلك بقرون طويلة ، تأمل على سبيل المثال قوله تعالى : **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليلسابق النهار وكل فى فلك يسبحون»**

وهو القائل « **خلق السموات بغير عمد)) ترونها))**.

وها هو اسحق نيوتن الذى كرس حياته للبحث فى الظواهر الكونية بعقلية متحررة من الجمود والتعصب اللذين اتسم بهما عصره ، يقر بقدرة الله فى رسالته الشهيرة بعنوان :

« القوانين الرياضية للفلسفة الطبيعية »

Philosophiae Naturalis Princeipia Mathematica

فيقول : « ان الكواكب الأولية الستة تدور حول الشمس فى أفلاك متداخلة وبحركات فى نفس الاتجاه وفى نفس المستوى تقريبا ، وثمة عشر أقمار تدور حول كواكب : الأرض والمشترى والمريخ فى مسارات ، وحركاتها هى الأخرى فى مستوى مسارات هذه الكواكب : **ان هذا النظام البديع للشمس والكواكب وتوابعها ، لا يستطيع أن يبدعه الا قدرة الهية ذكية ، جبارة .** » ويلاحظ أنه فى وقت نيوتن لم تكن كواكب : أورانوس ونبتون وبلوتو قد اكتشفت بعد ، ولذا فهو يذكر الكواكب الستة المعروفة وقتئذ فقط .

وبتقدم علوم الفلك فى العصر الحديث ، ثبت أن المادة الأساسية التى تتكون منها الاجرام السماوية واحدة ، كما ثبت من تحليل الشهب والنيازك المتساقطة على الأرض ومن تحليل طيف العناصر المختلفة ، أن الأرض تشترك مع الكواكب الأخرى فى كثير من العناصر الأساسية المكونة لها . كما ثبت أيضا من تحليل صخور القشرة الأرضية نفسها أن العناصر التى تغلب فيها هى على الترتيب : الأكسجين والسليكون والألمونيوم والحديد والكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم

والمغنسيوم والتيتانيوم والايدروجين والفوسفور والمنجنيز والكبريت والكربون . وتتحد هذه العناصر مع بعضها بنسب مختلفة وبنظام خاص لتكون مركبات ومعادن كثيرة مثل الكوارتز والفلسبار والميكا وغيرها . كما يتحد الاكسجين والايدروجين ليكونان الماء كما سبق أن ذكرنا ، ويتحد الأكسجين مع العناصر المعدنية ليكون الأكاسيد المعروفة فى الصخور النارية وغيرها .

وكما أن أجرام السماء تحكمها القوانين المضبوطة ، فكذلك الحال على كوكب الأرض : فقوانين الاتحاد الكيميائى بين العناصر والضغط والحرارة تلعب كلها دورا هاما فى تكوين الصخور والمعادن ، كما ان دورات الماء والرياح تغير باستمرار من المظهر الخارجى لتضاريس الأرض ، كما تغيرها أيضا حركات القشرة الأرضية والزلازل وثورات البراكين ، ويتأثر المد والجزر بجاذبية القمر وبالقوة الطاردة المركزية الناجمة عن دوران الأرض حول محورها . وحتى دورات حياة الكائنات الحية والعناصر تنصاع هى الأخرى لنظم معلومة .

ومن ثم يتضح الارتباط الوثيق بين النظم المختلفة فى الكون سواء المتعلقة منها بنشأة المجرات أو بنشأة الأرض أو بنشأة العناصر ، أو بنشأة الحياة .

وفى تفسيرنا للعلاقة بين **الماء والحياة** على ضوء المفاهيم العلمية الحديثة ، أوضحنا الدور الذى يلعبه الماء فى حياة الكائنات . وقلنا ان مظاهر الحياة المختلفة من تنفس وتمثيل غذائى وحركة تعتمد أساسا على وجود الماء الذى يكون بدوره الجزء الأكبر من تركيب جسم الكائن الحى .

فالخلية الحية تحتوى على أكثر من ٧٥ ٪ من وزنها من الماء سواء أكانت خلية نباتية أو حيوانية . والماء أساسى لقيام الخلية بوظائفها الحيوية .

كما يكون الماء ركنا هاما من أركان التفاعلات التى تؤدى الى قيام الحياة واستمرارها على الأرض . وضربنا مثلا لذلك بعمليتين حيويتين:

الأولى : عملية التنفس التى تقوم بها جميع الكائنات الحية بدون استثناء ، وفيها ينطلق بخار الماء مع ثانى أكسيد الكربون كنواتج للتفاعل .

والثانية : هى عملية التمثيل الكلوروفيلى التى تقوم فيها النباتات الخضراء ببناء المواد العضوية المعقدة مثل السكريات والبروتينات والدهون بواسطة الطاقة الضوئية والمادة الخضراء التى تحتويها النباتات المختلفة فى البر والبحر .

وفى هذه العملية يحدث التفاعل بين الماء وثانى أكسيد الكربون داخل خلايا النبات الحية . وينجم عن هذه العملية تكوين المركبات العضوية سالفة الذكر وينطلق غاز الأكسجين .

وعملية البناء هذه هى أساس تسلسل أنواع الحياة المختلفة على سطح الأرض وفى البحر على السواء ، ولولاها لانقرضت الحياة من على كوكب الأرض فى وقت قصير .

ذلك لأن الحيوانات على اختلاف أنواعها لا تستطيع أن تبنى المواد العضوية المعقدة سالفة الذكر ، بل هى تحصل عليها بطريق مباشر أو غير مباشر من النباتات الخضراء . وعلى هذا الأساس فان النباتات الخضراء تمثل الحلقة الأولى الأساسية فى سلسلة الغذاء على كوكب الأرض أو بمعنى آخر يمكن القول بأن النباتات الخضراء هى صانعة الغذاء للأحياء الأخرى ، لأنها هى المسئولة عن الانتاج الأولى للمواد العضوية المعقدة ، تلك المواد التى تتغذى عليها سائر الحيوانات وتبنى منها أجسامها .

ومن ذلك يتضح أنه لولا توفر الماء لما قامت عملية التمثيل الكلوروفيلى ولما قامت بدورها الحياة .

ويرى العلماء الذين بحثوا فى نشأة الحياة على الأرض أن النباتات كانت أسبق فى الوجود من الحيوانات لهذا السبب .

ثم أوضحنا بعد ذلك الدور الذى يلعبه الماء على مسرح الحياة ، سواء أكان ذلك فى دورة الماء فى أجسام الكائنات الحية نفسها أم دورته فى الغلاف المحيط بالأرض . وقلنا ان بخار الماء يتصاعد الى الجو من البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات ومن التربة الزراعية ومن أجسام الكائنات الحية ثم ينعقد سحابا ، تتكاثف قطراته الى ماء فى طبقات الجو ، وتسوقه الرياح الى الارض القفر ويسقط

مطرا يحيى مواتها ، حيث تكون البذور التى تكمن فى أجنتها الحياة والتى تنقلها الرياح والحشرات وغيرها من مكان لمكان على أهبة الاستعداد للنمو . ويذيب الماء كثيرا من العناصر الكيميائية الموجودة فى التربة مثل مركبات الفوسفور والنتروجين والبوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم والحديد وغيرها ، وتمتص جذور النباتات هذه العناصر **الذائبة فى الماء** من التربة بواسطة الشعيرات الجذرية بقوى الضغط الأزموزى ، وتصعد هذه العصارة الى الأوراق الخضراء بقوى الخاصية الشعرية وبالقوة الناشئة عن فقدان الأوراق لبعض مائها بطريق عملية النتح . وفى الأوراق الخضراء تتم عملية التمثيل الكلورفيلى أو التمثيل الضوئى أثناء توفر الضوء فى النهار ، وتبنى المواد العضوية المعقدة سالفة الذكر . ومعنى « مواد عضوية » أنها تحتوى فى تركيبها على عنصر الكربون وهو العنصر الموجود فى ثانى اكسيد الكربون المتقدم الذكر الذى يتفاعل مع الماء فى عملية التمثيل سالفة الذكر .

ان هذه القدرة العجيبة للنباتات على تثبيت عنصر الكربون الى موادعضوية معقدة التركيب باتحاده مع الماء والعناصر الأخرى فى أوراق النبات الخضراء لتعتبر بحق من معجزات الطبيعة ، ومن العمليات التى لم يستطع العلماء حتى اليوم ، رغم محاولاتهم المضنية احداثها فى المعامل بطرق صناعية . ولو توصل العلم فى يوم من الأيام الى احداث عملية التمثيل الكلوروفيلى فى المعامل بعيدا عن الخلية الحية الخضراء ، لكان ذلك فى حد ذاته كشفا يفوق اختراع القنبلة الهيدروجينية أو السفر الى القمر والكواكب الأخرى ، ذلك لأن مثل هذا الكشف من شأنه أن يوفر الغذاء العضوى للملايين من أبناء البشر .

ومهما يكن من شىء ، فان الانسان وكذلك الحيوان ليعتمدان أولا وآخرا على النبات فى حياتهما . وهكذا تنتقل العناصر الأساسية المكونة للأرض نفسها فى النهاية الى الانسان وهى عناصر : الكربون والأكسجين والايدروجين والكالسيوم والفوسفور والبوتاسيوم والصوديوم وغيرها . وعندما يموت الانسان يتحلل جسمه وتعود تلك العناصر مرة أخرى الى الأرض . وذلك مصداق للآية الكريمة **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** .

هذا وقد ربط القرآن الكريم بين النظم الكونية والنظم المتصلة بكوكب الأرض فى آية محكمة يتضح منها الدور الهام الذى يلعبه الماء على مسرح الحياة على الأرض وهى :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . » صدق الله العظيم .

٩ ـ الماء فى حالاته المختلفة على الارض وفى الكون :

يعتبر الماء بحق احدى معجزات الأرض ، ليس فقط بالنظر لارتباطه الوثيق بالحياة على سطحها ، بل أيضا للدور العظيم الذى يقوم به فى تشكيل تضاريسها وتغيير ملامحها ، وتمهيدها لحياة الانسان . والماء كما نعلم سائل ولكنه يتميز عن باقى السوائل الأخرى المعروفة على سطح الأرض بخاصتين هامتين :

أولا : انه السائل غير العضوى الوحيد الذى يوجد بكميات مهولة فى الكون . وقد سبق أن بينا كمية الماء التى تحتوى عليها البحار والمحيطات ، كما ان الماء يغطى أكثر من ٧٠٪ من مسطح الأرض . ولقد أوضحنا أيضا الكميات الهائلة من الماء التى تتصاعد بالبخر من البحار والمحيطات كل عام ثم تسقط أمطارا تسبب فيضانات الأنهار ويتسرب جزء منها الى جوف الأرض .

كما تدل البحوث العلمية الأخيرة التى استهدفت التوصل الى تركيب الغاز والرماد السديمى الذى يملأ الفضاء الكونى ويعتبر المادة الأساسية التى بنيت منها الكواكب والأجرام السماوية على أن هذا الغاز والرماد يتركبان من خليط غازات الأيدروجين والميثان (وهو غاز يتركب من اتحاد ذرة من الكربون مع أربع ذرات من الايدروجين) وغاز النشادر (ويتركب من اتحاد النتروجين مع الايدروجين)

والماء . ويوجد الأخير على شكل بلورات دقيقة من الثلج فى الفضاء الكونى . وعلى هذا الأساس تفترض أحدث النظريات الفلكية المتصلة بنشأة الأرض ، ان هذا كوكب الأرض قد احتوى على الماء منذ فجر تكوينه . وأن جزءا كبيرا من هذا الماء اتحد مع بلورات الصخور او احتبس فى باطن الأرض فى بدء تكوينها أيضا ، واليه يعزى هذا القدر الهائل من ماء البحار والمحيطات الذى نراه اليوم ، والذى خرج من باطن الأرض (او بتعبير أدق من القشرة الأرضية) نتيجة لحركات عنيفة فيها ، على دورات أو مراحل فى أزمنة مختلفة .

وثمة أمران هامان نخرج بهما من تلك النظرية الفلكية الحديثة المتعلقة بنشأة الأرض والكواكب الأخرى حول حقيقة الماء فى الكون وهما :

١ — أن الماء موجود فى الفضاء الكونى ، وهو من مكونات الغاز والرماد السديمى أو المادة الأساسية التى بنيت منها الكواكب والأجرام السماوية . ومن حيث أن الفضاء الكونى هو وسط مخلخل أى لا ضغط له ، فالماء لا يبقى فيه على الحالة السائلة ، وانما على شكل بلورات دقيقة من الثلج تقدم ذكرها .

٢ — أن الماء وجد على الارض منذ بدء نشأتها متحدا مع صخورها أو محبوسا فى قشرتها .

واذا كان الأمر كذلك ، أفلا يقرب هذا الى الأذهان كثيرا المعانى المنطوية فى الآيتين الكريمتين « **وكان عرشه على الماء** »«**والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها**»

ثانيا : ان الماء هو المادة الوحيدة التى توجد فى أحوالها الثلاث على سطح الأرض وهى : **حالة الصلابة وحالة السيولة والحالة الغازية :**

فهناك الماء الجارى (السائل) فى البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات والبرك والمستنقعات .

وهناك الغطاءات الجليدية الضخمة التى تغطى القارة المتجمدة الشمالية والقارة المتجمدة الجنوبية والتى يبلغ سمك الجليد فيها أكثر من أربعة كيلو مترات فى بعض الأحوال ، كما يغطى الجليد ايضا قمم الجبال العالية سواء فى المناطق القطبية أو فى المناطق الاستوائية . وهناك جبال الجليد الضخمة التى تطفو فوق مياه البحار والمحيطات فى المناطق الباردة ، وهى تنشأ من انهيار الثلاجات العظيمة من اليابسة المتاخمة للبحار والمحيطات .

وهناك البرد والثلج الذى يسقط من السماء وهما من حالة الصلابة للماء أيضا . وتتمثل الحالة الغازية للماء فى بخار الماء الذى يوجد فى الجو فى كل زمان ومكان .

وتكتسب الأحوال المختلفة للماء طاقة حركة تنجم عنها قوة جبارة تؤثر فى تضاريس الأرض وصخورها الصلبة .

وتتمثل هذه الحركة فى المظاهر الآتية :

**** فى سير السحاب المزجى بين الأرض والسماء ..**

**** فى هدير الأمواج فى المحيط وتأثيرها على شكل الساحل ..**

**** فى التيارات البحرية العظيمة السطحية والعميقة ، الدافئة منها والباردة التى تنقل كتل الماء من مكان لمكان وتؤثر بدورها على مناخ الأرض ..**

**** فى مساقط المياه والشلالات التى يسخرها الانسان فى توليد الكهرباء ..**

**** فى حركة المد والجزر الوثيقة الصلة بجذب القمر لماء المحيطات والبحار .**

**** فى الأمطار والسيول التى تسبب الفيضانات ..**

**** فى الثلاجات العظيمة التى تنحدر من قمم الجبال وتشكل الوديان الأرضية وتزيح أمامها كتل الصخور والجلاميد .**

**** فى جبال الجليد الطافية على سطح المحيط ..**

ويستمد الماء طاقة حركته من حركات الغلاف الجوى وما به من هواء . والغلاف الجوى بدوره يتأثر بحرارة الشمس فالحرارة تسخن الهواء فيخف ويرتفع ، ويؤدى ذلك الى حركة الرياح وتكوين مناطق الضغط الجوى والمنخفضات الجوية وما يعقبها من زوابع وأعاصير ، وحركة الرياح تدفع الماء على شكل تيارات ، وتبخر الماء أيضا وتحمله الى طبقات الجو العليا فيبرد ويسقط مطرا وبردا ، وهكذا

دواليك : فالشمس وحرارتها والفلاف الجوى والفلاف المائى وطبيعة تكوين الأرض وفيضان الماء والهواء من مناطق الضفط المرتفع الى مناطق الضفط المنخفض .. كلها مظاهر طبيعية وثيقة الصلة بعضها ببعض . تأمل قوله تعالى :

((ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)) .

وللماء فوق هذا - فى صوره المختلفة - منافع جمة للناس :

فحين يجمد الماء بين شقوق الصخور فان حجمه يزداد ويضغط على الصخر فينشق ويتفتت ، كما أن الماء الجارى أيضا يذيب الصخور ، ومن ثم فالماء فى حالتيه : الصلبة والسائلة يساعد على تكوين التربة الخصبة للزراعة .

والأنهار فى فيضاناتها تساعد على تكوين الدلتا وهى أرض ممهدة خصبة يرسب الماء فوقها الطمى والقرين والرمال .

والبحار والأنهار تسير الفلك فوقها بما ينفع الناس ..

وتمد الانسان بغذاء أساسى ممثلا فى الأسماك ..

ومن أصدافها ومرجانها يتخذ الناس زينة لهم ..

وتستغل حركة المد والجزر فى تسيير السفن فى الموانى وفى توليد قوة محركة ..

وعلى قاع البحر توجد مناجم غنية بالمعادن لم يتيسر للانسان استغلالها بعد ..

وبخار الماء المتصاعد فى الجو يلطف من درجة الحرارة .

((وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)) .

وبعد ، أفليست كل هذه الأسرار التى تكمن فى الماء من بواعث سعادة الانسان فى حياته الى جانب كون الماء أساسيا لقيام الحياة على الأرض .

((بقية خواطر مستشار))

منهم ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود - يبدو أن هذا الشرط بناء على طلبهم - وعلى أهل ايلياء أن يعطو الجزية ومن أحب من ايلياء أن يخرج منها ويسير بنفسه وماله مع الروم يخلى بينهم ويأخذ معهم صلبانهم فانهم أمنوا على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه فعل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله .. وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسول الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية) وشهد على هذا الصلح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان).

وبعد ذلك دخل بيت القدس فتلقاه البطريرك وطاف معه أرجاء المدينة حتى دخل كنيسة القيامة فلما حان وقت الصلاة قال للبطريرك أريد الصلاة فقال له صل موضعك وكان فى قلب الكنيسة فأبى خشية أن يقتدى به المسلمون ويقولون هنا صلى عمر فصارت الصلاة لنا فى داخلها حقا وقد يؤول بهم الأمر الى الاستيلاء على الكنيسة مخالفين بذلك ما نص عليه فى العهد من احترام كنائسهم وتركها بأيديهم على مظنة أن مافعله عمر بموافقة البطريرك تعديل لما شرط فى العهد . بل أن عمر خرج وصلى على درج باب الكنيسة وبعد أن انتهى من صلاته كتب أمرا بأن لا تقام فى هذا المكان صلاة جماعة ولا يؤذن فيه مؤذن ثم أتى عمر الصخرة فبنى عليها مسجد الصخرة .

ونود أن نستدل على ما قلناه من أن شروط عدم مساكنة اليهود والنصارى بيت المقدس كان بناء على رغبة وطلب هؤلاء فقد عرف فى التاريخ عنهم ذلك ، اذ أن قيصر ادريان الرومانى وأخلافه حظروا على اليهود سكنى ايلياء المدينة الجديدة التى أقيمت على أنقاض أورشليم .

الطب في الاسلام

الدكتور يوسف محمد عيد

هذه رسالة ضخمة لايمكن الالمام بنواحيها فى هذه العجالة ، والمقصود هو أن نلقى ضوءا على بعض الحقائق الطبية التى اشتملت عليها تعاليم هذا الدين الحنيف .

الاسلام قد عنى بمقومات الروح والجسد على السواء وللكلام فى موضوع اليوم يجب أن تقرر بادى ذى بدء أن الاسلام دين باعث لحضارة علمية عظيمة مازال العالم ينتفع من آثارها وستظل معينا خصبا لكل النواحى التقدمية مدى الحياة .

والاسلام قد أحاط الفرد بسلسلة من الارشادات والأوامر التى تقيه شر الأمراض وتحفظه معافا فى بدنه لأنه لبنة المجتمع ومنه تتكون الجماعات والأمم وبصلاحه يصلح ، أضف الى ذلك أن المسلم يجب أن يعد نفسه للدفاع عن عقيدته وحريته ووطنه اذا ماحزب الأمر أو دعى داعى الجهاد .

***

لهذا كان الاسلام معنيا حسب مفاهيم هذا العصر بالطب الوقائى ، وفى آيات القرآن

وأحاديث الرسول الكثير فى هذا المضمارنذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى : ـ « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » ـ « **ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** » ـ « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** » . الاسراف فى الأكل والشراب طريق مفتوح للأمراض ، فالبدانة (السمنة) من نتائجه ، ومايترتب عليها من تصلب الشرايين والذبحة الصدرية ومرض السكر ، كل ذلك قد ينتج من شهوة الاسراف التى حرمها الله ولهذا شرع الصوم محاربة له وفى الآية الكريمة الثانية ، نهى عن الزنا لآثارة السيئة على الجسم كوحدة وعلى الذرية عن طريق الزهرى الوراثى .

والخمر محرمة لأنها تؤثر على خلايا المخ العليا التى تهيمن على الارادة وهذا التأثير يشل حركتها ويفقد الانسان أسمى مميزاته، وأعلى ماكرمته العناية من التحكم فى ارادته والوقوف عند حد الكمال فى تصرفاته .

وقال عليه الصلاة والسلام مامعناه ، « لايبولن أحدكم فى ماء جار ثم يستحم فيه » وقوله أيضا « اتقوا الملاعن الثلاث ، التبرز بجوار الماء والظل وعلى قارعة الطريق » وهنا يجب أن نحنى رؤوسنا تعظيما لهذا الحديث الشريف الذى نهى عن تلويث الماء الذى هو ضرورى للحياة : « وجعلنا من الماء كل شىء حى »

ولحسن استخدامه يجب المحافظة عليه طاهرا خاليا من الميكروبات والاقذار ، وهنا يجب أن نعلم أن مجموعة هائلة من الميكروبات تستلزم لبقائها وتكاثرها الماء فالتيفود والكوليرا والدسنتاريا بنوعيها يمكن أن تنتقل عن طريق الماء بشكل وبائى والأمراض المتوطنة البلهارسيا والانكلستوما لايمكن أن تبدأ دورتها الا فى الماء أو بجواره ، فاذا اتبعنا هذا الهدى النبوى وئدت هذه الأمراض التى قد تصل نسب المصابين بها فى بعض القرى فى الجمهورية العربية المتحدة حوالى ٩٠٪ ومضاعفات المجارى البولية الى ٧٠-٨٠٪ فى البلهارسيا واحتفظنا للدولة بالملايين التى تنفق كل عام على مكافحة هذه الأمراض ، ولهذا جعل الجزاء الدينى لمن يلوث الماء أو الطريق بالبراز اللعن وهو الطرد من الرحمة .

هذه بعض التوجيهات القرآنية النبوية التى تدخل تحت باب الأوامر التى تستهدف الخير عن طريق النهى ، وهناك وصايا أخرى تدعو المسلمين للتمسك بها والحرص عليها فالنظافة من الايمان ، نظافة الفم والاسنان والأنف والاذن ونظافة الجسم فى جملته وكلنا نعلم مالهذه العادات الحميدة من آثار طيبة لها علاقتها الوثيقة بالصحة العامة .

ولقد زاد الاسلام على مجرد الأمر بالنظافة فأمر بالتحلى بالزينة عند الخروج للمساجد قال تعالى : « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** » .

والرياضة البدنية وركوب الخيل والسباحة جعلها الدين من أوامره ، قال الرسول الكريم مامعناه : « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أثر هذه الرياضة فى خلق أجيال صالحة تؤدى رسالتها على أكمل وجه ، وفى هذا رد على المستشرقين من الغربيين الذين يفاخرون الناس بحرصهم على الرياضة وممارستها .

اخوانى ـ يتضح بجلاء مما سبق أن الاسلام حريص على مقومات الجسد وانى لأتساءل قبل أن أختم كلمتى ـ أى دين رفع كرامة الفرد فى كل النواحى كما رفع الاسلام ؟! .

وأى دين عنى بالمجتمع فلا يضر مسلم أخاه فى شتى مرافق الحياة كما فعل الاسلام؟

الا أنى أقولها مدوية للمسلمين أن هبوا واعلموا أسرار دينكم تعلموا سبب نجاح الأولين من قبلكم ، وتعلموا أسرار مايعانيه المسلمون اليوم من تأخر وهوان .

الصوفية .. وأحوال النفس الانسانية ..

الدكتور محمد مصطفى حلمى

لعلك تذكر ما حدثتك به فى مقالات سابقة عن « **التصوف** » أنه من حيث هو : « **علم للنفس الانسانية** » فانما هو دراسة لهذه « **النفس** » فيما يعرض لها من « **الخواطر** » ، وفيما يختلف عليها من « **الأحوال** » .

وإنه من حيث هو : « **عمل** » فانما هو رياضة ومجاهدة لها باحلالها فى المقامات التى تصفيها من خواطر السوء وتنقيها من أحوال الشر ، حتى تتهيأ بهذه التنقية وتلك التصفية « **للمعرفة اليقينية** » التى لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، وللسعادة الحقيقية التى أخص خصائصها أنها سعادة روحية لا تعدلها أية سعادة حسية أو عقلية .

ولعلك تذكر أيضا ما قدمت بين يديك فى مقالى الأخير عن « **الصوفية وخواطر النفس الانسانية** » ، من الم‍ام الصوفية بهذه الخواطر وتحليلهم لها .

وقد بقى أن أحدثك فى هذا « المقال » عما يعنيه القوم « بالأحوال » ، وعما يأخذون به أنفسهم فى ثناياها من تحقق بأفضل الأعمال ، وبما يرتب على هذه الأعمال وتلك الأحوال من لذة القربة ، ومتعة الاتصال .

ولعل أول ما يعرض له الصوفية فى تحليلهم لأحوال النفس الانسانية هو : تحديدهم لمعنى الحال والمقام من ناحية .

وتفريقهم بين كل من الحال والمقام من ناحية أخرى .

وبيانهم لموقف الارادة السلبى من الحال ، ولموقفها الايجابى من المقام من ناحية ثالثة .

فهم ينظرون الى « الحال » على أنه :

معنى يرد على القلب من غير تعمد أو تعمل ، ودون تصرف أو تكلف ، بحيث لا تتدخل الارادة الانسانية فيه باجتلاب أو اكتساب ، وانما هو يرد على القلب ورودا تلقائيا ، ويحل فيه حلولا لاإراديا .

ولا كذلك « المقام » فهو عند الصوفية : معنى يتحقق به الانسان تحققا عمليا قوامه اعمال الارادة اعمالا يتبين فيه عنصر الارادة من خلال مايبذله الانسان من جهد وما يعانيه من تطلب وما يقاسيه من تكلف .

وهذا يعنى بعبارة أخرى أن الحال الذى يعرض للنفس على نحو ما يعرض من الطرب أو الحزن ، ومن البسط أو القبض ، ومن الأنس أو الهيبة ، فانما يعرض لها بعامل آخر من غير ذاتها ، على حين أن ماينازله الانسان من المقامات فى رياضاته ومجاهداته على نحو ما ينازل من التوبة والزهد والتوكل والصبر والشكر ، فانما ينازله بدافع من نفسه ، وبوازع من قلبه ، بحيث يظل مشتغلا بهذا المقام أو ذاك حتى يستوعبه فينتقل الى مابعده من المقامات انتقالا يقوم على العمل ، وعلى العمل الارادى الايجابى بنوع خاص .

ومن هنا فرق « الصوفية » بين المقامات والأحوال بقولهم : ان المقامات مكاسب تحصل

بذل المجهود ، وأن الأحوال مواهب تأتى من عين الجود .

وبقولهم أيضا :

« **ان الحال هو ما من الله ، وان كل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال فهو من العبد .** »

وبقولهم فوق هذا كله :

« **ان الأحوال مواجيد ، والمقامات طـرق المواجيد** » .

الا أن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب ، وفى الأحوال بطن الكسب وظهرت المواهب ، فالأحوال من هذه الناحية مواهب علوية لا ترد الا على قلب سماوى ، فى حين أن المقامات طرق يسلكها أهل الأرض ، ومنازل يحلون فيها ، ويترقون منها ، منزلا بعد منزل ، فى طريقهم الى السموات العلا ، حيث المورد الأصلى الذى ترده النفس وقد صفت من دنسها الجسمانى ورجسها الشيطانى ، وسمت عن عالمها السفلى بكل ما فيه من متاع مادى ، فاذا هى تنهل من أصفى المناهل ، وتتحلى بأسمى الفضائل ، وتظفر بأشرف المعارف ، وتنعم بألطف العوارف .

وعلى الرغم من هذا الفرق الذى يظهره الصوفية بين ما هو حال من أحوال النفس .. وبين ما هو مقام من مقاماتها ، فانه قد يقع الاشتباه بين الحال والمقام ، ويتداخل أحدهما فى الآخر ، بحيث يصبح « **الشىء الواحد** » حالا من وجه ، ومقاما من وجه آخر .. وذلك على نحو ما يقع فى محاسبة النفس ومراقبتها ، و« **المحاسبة** » و « **المراقبة** » هما عند الصوفية المسلمين من أهم الدعائم النفسية والأخلاقية التى يقوم عليها علم النفس الصوفى الاسلامى بقدر ما هما من أقوم الوسائل الأخلاقية التى يصطنعها « **علم الأخلاق الصوفى الاسلامى** » فى رياضة النفس الانسانية ومجاهدتها وتخلية لها عن الصفات المذمومة ، وتحلية لها بالصفات المحمودة :

فأما كيف تكون المحاسبة أو المراقبة حالا تارة ، ومقاما تارة أخرى ، فذلك مايظهرنا عليه « **السهروردى البغدادى** » فى تحليل نفسى رائع ، اذ ضرب مثلا بما ينبعث فى النفس من داعية المحاسبة ، وما يحل بها من حالى المراقبة والمشاهدة ، وذلك حيث يقول :

« **وقد يكون الشىء بعينه حالا ، ثم يصير مقاما ، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ، ثم تعود ، ثم تزول ، فلا يزال العبد حال المحاسبة بتعاهد الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس ، الى ان تتداركه المعونة من الله الكريم ، ويغلب حال المحاسبة ، وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة ، فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ، فيصير فى مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة ، ثم ينازله حال المراقبة ، فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ، ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهد والغفلة فى باطن العبد ، الى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ، ويتدارك الله عبده بالمعونة ، فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ، ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة ، ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة ، فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه .. ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ، ثم يصير مقاما ، وتتخلص شمسه من كسوف الاستتار .. ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات ، وترقيات من حال الى حال أعلى منه ، كالتحقق بالفناء ، والتخلص الى البقاء ، والترقى من عين اليقين الى حق اليقين ، وحق اليقين نازل يحرق شغاف القلب ، وذلك أعلى فروع المشاهدة ..** »

(عوارف المعارف : ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

ولا يقف « **اشتباه** » الحال والمقام عند حد المحاسبة والمراقبة والمشاهدة فحسب ، وانما الاشتباه والتداخل خطان مشتركان بين منازل السلوك كلها ، لا يكاد يوجد منها منزل الا وفيه حال من ناحية ومقام من ناحية أخرى : ففى التوبة حال ومقام ، وفى الزهد حال ومقام ، وفى التوكل حال ومقام ، وفى الرضا حال ومقام ، وفى المحبة حال ومقام .

ففى التوبة لا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب ، وطروق حال التوبة بالانزجار الذى يرد العبد من الغفلة الى اليقظة، ولا يزال العبد يراوده حال الزجر حتى ينزجر فاذا تم انزجاره فقد ميز بين الخطأ والصواب، وعرف أين هو من الخطأ فعدل عنه ، واين الصواب فأقبل عليه ، وهكذا يظل العبد بين طروق حال الانزجار له وبين حصول الزجر فيه حتى يستيقظ من غفلته ، فاذا استيقظ فقد تاب واستقرت توبته وصارت له مقاما .

وفى الزهد لا يزال العبد يتزهد بما ينازله من حال الزهد الذى يصرفه عن الاشتغال بلهو الدنيا ومتاعها ، حتى تتداركه المعونة من الله عز وجل ، فاذا هو زاهد بعد أن كان متزهدا واذا الزهد مقام له بعد أن كان التزهد حالا ..

وكذلك فى التوكل والرضا ، لا يزال العبد تقرع باب قلبه نازلة التوكل حتى يصير متوكلا ، كما لا يزال يلم بباطن قلبه حال الرضا حتى يصير راضيا ، وهنا يصبح له كل من التوكل والرضا مقاما مستقرا بداخل قلبه بعد أن كان حالا طارقا باب قلبه .

وأما « **المحبة** » فبعض الصوفية ومنهم « **السهروردى البغدادى** » نفسه ينظرون اليها على أنها محبتان لا محبة واحدة .. **محبة عامة** .. **ومحبة خاصة** ، ويفسرون « **المحبة العامة** » بأنها من قبيل امتثال الأمر ، ومن معدن العلم بالآلاء والنعماء ، وهى من حيث هى كذلك مقام من المقامات لأن لكسب العبد فيها مدخلا .

ولا كذلك « **المحبة الخاصة** » فهى محبة للذات العلية ، ناشئة عن مطالعة الروح الجمال الالهى مطالعة مباشرة تسقط فيها العلائق ، وتنكشف فيها الدقائق والرقائق ، وفى هذه المحبة الخاصة تحصل السكرات ، وهى من الأحوال التى يمنحها الله لعبده ، ويقذفها فى قلبه ، ومثل المحبة من الأحوال كمثل التوبة من المقامات ، بمعنى أن من صحت محبته فقد تحقق بسائر الأحوال من الفناء والبقاء ، ومن المحو والصحو ، كمن صحت توبته فتحقق بسائر المقامات من الزهد والرضى والتوكل .

واذا كان ذلك كذلك وكان الحب الالهى فى التصوف الاسلامى حبا للذات العلية ، وتسبيحا بآياتها النورانية ، وتغنيا بتجلياتها القدسية ، فقد تعين اذن ان من يهتفون بأناشيد هذا الحب فانما ينظرون اليه على أنه حب خاص من قبيل الأحوال التى يمنحها الله للعبد ، اصطفاء من الله للعبد واجتباء ، لا اكتسابا من جانب العبد ولا اجتلابا .

وذلك على نحو ما يظهرنا عليه سلطان العاشقين « **عمر بن الفارض** » فى حديثه عن حبه الالهى حيث يعبر عن هذا الحب بالولاء فى قوله :

منحت ولاها يوم لا يوم قبل أن
بدت عند أخذ العهد فى أوليتى
فنلت ولاها لابسمع وناظر
ولا باكتساب واجتلاب جبلة
وهمت بها فى عالم الأمر حيث لا
ظهور وكانت نشوتى قبل نشأتى

واذا كان الحب ينظر اليه على أنه مقام من وجه وحال من وجه آخر ، وكان الصوفية يختلفون حول طبيعة الحال ادائم هو ومستقر ، أم متحول ومتغير ؟ فقد اختلفوا كذلك حول « **طبيعة** » الحب من حيث دوامه واستقراره ، أو من حيث تحوله وتبدله : ((**فالمحاسبى**)) مثلا يرى دوام الحال واستقراره ويعد الحب والشوق والقبض والبسط من الأحوال الثابتة الدائمة ، اذ لو لم تكن كذلك ، لترتب عليه ألا يصبح المحب محبا ، و((**الجنيد**)) بخلاف المحاسبى ، يرى أن الأحوال أشبه ما تكون بلمعات البرق ، وأن دوامها انما هو مجرد وهم من أوهام النفس .

هذا طرف من تحليل الصوفية للنفس الانسانية فيما يعرض لها ويلم بها من الأحوال .. وان لهم بعد هذا لاشارات ودراسات لبعض هذه الأحوال فيها دقة علمية ورقة روحية ونزعة فلسفية ، وهذه الاشارات والدراسات هى التى أرجو أن أقف عندها وقفات مفصلة فى مقالات مقبلة .

صحابي في مصر

أبيض بن جمال المأربي

الدكتور حسين نصار

هذا صحابي يحيط به الظلام ، ويكاد يغطي جميع أطراف حياته ، فلا يظهر منها للضوء الا لحظات قلائل لا تكفى لجعله الشخص المنفرد .

ذكره أقدم مؤرخين مصريين أو اثنان من أقدم المؤرخين المصريين . فأورده عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى ٢٥٧ هـ) فى أقدم تاريخ مصرى عربى بين أيدينا : كتاب « فتوح مصر والمغرب » . ووضعه بين الصحابة الذين دخلوا مصر ، دون أن يحدد تاريخا لهذا الدخول . واقتصر على اسمه الأول : « أبيض » .

ويبدو أن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفى (المتوفى ٣٤٧ هـ) لم يزد عليه . فما نقله عنه ابن حجر فى « الاصابة » والسيوطى فى « حسن المحاضرة » لا يضيف غير تأكيد ما أورده الأول .

ولما كان « فى الصحابة جماعة يسمون أبيض » كما قال النووى فى كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » ، وكما يبين من كتب تراجم الصحابة ، فقد حار المؤرخون فى « أبيض » هذا ، وكثر الخلط بصدده .

فقطع يحيى بن عثمان (المتوفى ٢٨٢ هـ) أنه « أبيض بن جمال المأربى » . وتوقف ابن حجر وقال : « لا أدرى هو أبيض بن جمال أو غيره . ولكن البخارى أفرد لكل واحد منهما ترجمة خاصة .

واعتمد ابن الأثير فى أسد الغابة على هذا حين قطع بأن أبيض المذكور غير أبيض بن حمال ، واحتاط ابن حجر بعد توقفه ، وفعل ما فعله البخارى ، غير أنه أضاف ما زاد المشكلة تعقيدا . فقد ترجم لأبيض ثالث ، وقال عنه : « يحتمل أن يكون هو الذى قبله ») وجعل المصريين يروون عنه حديثا غير ما رووا عن أبيض الأول ، وغير ما يروى عن ابيض بن حمال . فصار الاختلاط أمامنا بين ثلاثة رجال لا رجلين . ولكننا لن نقف طويلا عند « أبيض » الثالث ، لأن ما أورده عنه ابن حجر ضئيل لا يجعله شخصا منفردا عن السابقين .

أما « أبيض » الأول ، فقد أجمع كل من كتب عنه على أن اسمه كان « أسود » . فغيره النبى صلى الله عليه وسلم الى « أبيض » وكثيرا ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

قال أبو داود فى سننه (٢ : ٣٢١) : « وغير النبى صلى الله عليه وسلم أسماء العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب ، فسماه هشاما ، وسمى هربا سلما ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى ، وبنو الزينة سماهم بنى الرشدة » .

ولا تضم القائمة السابقة كل الأسماء التى غيرها النبى صلى الله عليه وسلم . فقد روى البخارى (طبعة ليدن ٤ : ١٥٧) أن المنذر بن أبى أسيد حين ولد ، اتى به أبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما اسمه ؟ فقال أبوه : فلان . فقال صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكن اسمه المنذر .

وفعل ذلك مع أبناء علي بن أبي طالب : الحسن ، والحسين ، والمحسن ، الذين أراد أبوهم أن يسمي كلا منهم حربا ، فلم يوافق عليه الصلاة والسلام ، وأطلق عليهم أسماءهم التي نعرفها .

وكان لعمر بن الخطاب ابنة تسمى عاصية ، فسماها النبي صلى الله عليه وسلم جميلة .

وذكر أبو داود أن رجلا يقال له أصرم كان في نفر أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : انا أصرم . قال : بل أنت زرعة .

ومن المستطاع عند التأمل في الأسماء التي غيرها عليه الصلاة والسلام أن نهتدي سريعا الى أسباب هذا التغيير . فهي أسماء قبيحة ، أو تبعث على التشاؤم ، أو تعطي ايحاء غير طيب لا يتفق مع الدعوة الاسلامية أو الخلق الاسلامي .

وتوجد بعض الأسماء التي قد تغيب الحكمة في تغييرها عنا ، فأوضح صلى الله عليه وسلم سبب التغيير . ذكر أبو داود أن هانئا لما وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

فقال : ان الله هو الحكم ، واليه الحكم ، فلم تكنى أبا الحكم ؟ فقال : ان قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما احسن هذا ! فما لك من الولد ؟ قال : لي شريح ومسلم وعبد الله . قال : فمن اكبرهم ؟ قال : شريح . قال : فأنت أبو شريح .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن زينب كان اسمها برة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تزكي نفسها ! وسماها زينب .

وروى مسلم (٦ : ١٧٣) عن ابن عباس أن جويرية كانت اسمها برة ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة .

وقال سمرة بن جندب : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمي رقيقنا بأربعة أسماء : أفلح ورباح ويسار ونافع . فانك تقول : أثم هو ؟ (هل هو موجود) . فيقال : لا .

ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على تغيير الاسم الذي يستهجنه بل كان يحث المسلمين على حسن التسمية . قال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، أحسنوا أسماءكم .

وضرب الأمثلة بما يحث عليه من أسماء . روى ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أحب أسمائكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن .

ولا يختلف المؤرخون كثيرا في أبيض بن حمال ، وماقام به من أحداث . فقد اجمعوا على نسبه وموطنه . فهو أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لحيان ، من الشطر الذي أقام باليمن من بني الأزد ولم يهاجر الى بقية أرجاء شبه جزيرة العربية ، بعد سيل العرم وما أصاب اليمن من كوارث . وموطنه البلدة التي كثر الحديث عنها في هذه الأيام ، وتناقلت اسمها وكالات الأنباء : مأرب .

وفي أواخر سنة ٩ هـ ، بعد أن غزا النبي صلى الله عليه وسلم تبوك في رجب وأسلم بنو ثقيف في رمضان ، تقاطرت وفود القبائل العربية على المدينة لتعلن قبولها الاسلام وانقيادها لسلطة النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء من اليمن الجارود في بني عبد القيس ، وفروة بن مسيك في بني مراد ، وعمرو بن معديكرب في زبيد ، والأشعث بن قيس في بني كندة ، وصرد بن عبد الله في بني الأزد ، ورسل ملوك حمير . ويذهب أكثر المؤرخين الى ان أبيض كان في وفد الأزديين . ويبدو أنه كان على شيء غير قليل من الغنى والمكانة . فقد قال ابن سعد عنه : **« أسلم على ثلاثة اخوة من كندة كانوا عبيدا له ، وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبعين حلة » . وذكر**

النووى أن جماعة أخرى من المؤرخين ترى أنه لم يفد على النبى فى المدينة ، وانما لقيه فى مكة فى حجة الوداع ، وكانت فى العام نفسه .

ووقع فى هذا اللقاء أمران يدلان على مكانة ابيض بن حمال عند النبى صلى الله عليه وسلم . فقد روى أبيض أن حزازة — أى قوباء — كانت قد أصابته فى وجهه ، واتسعت حتى كادت تأتى عليه كله . فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه ، فمسح على وجهه . فلم يمسى ذلك اليوم وبه أثر منها .

وانتهز أبيض فرصة رضى النبى صلى الله عليه وسلم عنه ، فسأله أن يهب له ملح مأرب .

وقد وصف الهمدانى ذلك الموضع فقال : « جبل الملح فى بلاد مأرب ، ولا نظير له ، وهو ملح ذكر ذو جوهرية وصفاء كالبلور ، وهو الملح البرى » . ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على معرفة بالمنطقة ولا بأهمية الموضع ، فاستجاب لسؤال أبيض . ولكن أحد الجالسين اليه نبهه فقال : يا رسول الله ، أتدرى ما أقطعته ؟ انما أقطعته الماء العد (أى الماء الجارى الذى لا ينقطع) . فاسترجع النبى صلى الله عليه وسلم الرجل ، وأرضاه بأرض وماء فى جوف بنى مراد حتى تنازل له عن هبته .

وعاد أبيض بن حمال الى بلدته باليمن . وأقام بها الى أن كانت الفتنة الأولى : الردة ، وتفرقت أهواء اهل اليمن ، فكان منهم من حافظ على ايمانه ، وأدى جميع شعائره ، ومنهم من افتتن .

ويبدو أن أبيض كان من الأولين ، اذ قال ابن حجر : « روى الطبرانى أنه وفد على ابى بكر لما انتقض عليه عمال اليمن ، فاقره ابوبكر على ما صالح عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الصدقة . ثم انتقض ذلك بعد أبى بكر وصار الى الصدقة » .

ثم يستحكم الظلام ويتكاثف حول أبيض بن حمال ، فلا نستطيع أن نستشف من ورائه شيئا من وقائع حياته فى بقية عهد أبى بكر وعمر غير ما وقع من خلاف — سبق ذكره — بين المؤرخين بصدد شهوده فتح مصر .

ووضع ابن حزم فى رسالته المسماة « أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد » أبيض بن حمال بين أصحاب التسعة أى الذين رووا تسعة أحاديث . وذكر النووى أن حديثه كان عند أولاده ، ولكن غير النووى حدد فقال ان ابنه سعيدا هو الذى روى عنه . وشارك ابنه فى هذه الرواية سمير بن عبد المدان . وصرح ابن عبد الحكم بأن المصريين رووا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث ، كلها أغربوا بها . ونتبين من تراجمه أن أصحاب السنن الأربعة وابن حبان رووا أحاديثه .

فلسفة

أبى ذر الغفارى

الدكتور احمد مكى الانصارى

أى رائعة من البيان اتخيرها وأى مدحة فاخرة أصطفيها ، لأتحدث عن الصحابى الجليل ، وان شئت فقل : هو الصحابى الثائر أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه .

وماله وللروائع من المدائح ، فحسبه فخرا واعتزازا شهادة رسول الله صلى عليه وسلم ـ حين قال فيه :

ماأظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر .

موضوع كهذا يقتضينا أن نتساءل :

من أبو ذر ؟ وما نشأته وما حياته ، وكيف كانت بيئته ؟ ثم ما هى فلسفته ؟ وما مقوماتها .. وأهدافها .. وخصائصها ؟ وهل هى نابعة من الدين الاسلامى .. أو أنها مستوردة من الخارج ؟ من ((المزدكية)) فى البلاد الفارسية .. مثلا .

وهل تلتقى مع الأديان السماويةالأخرى .. أو تتعارض معها ؟

ثم ما الفرق بينها وبين المذاهب الاقتصادية الحديثة ؟

وأخيرا ما موقف اشتراكية الجمهورية العربية من اشتراكية أبى ذر ؟

سنحاول التناول لكل هذا .. تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح ، ايثارا للايجاز .. ولهذا سأكتفى هنا باللمحة الخاطفة عن تاريخ حياته .. ونشأته .. وبيئته ، لنخلص معا الى فلسفته ، حيث هى موضوع الحديث اليوم ـ أما قصة اسلامه ، وقصة حياته من المهد الى اللحد .. فلها مجال آخر أوسع من هذا المجال

أبو ذر هو جندب بن جنادة الغفارى ، نسبة الى قبيلته ((غفار)) تلك التى أسلمت على يد أبى ذر ، واستقبلت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أروع استقبال فى طريقه الى المدينة ، فأثنى عليها ، ودعا لها فقال : ((غفار غفر الله لها)) .

كان رضى الله عنه من كبار المحدثين ، خطيبا مفوها ، فصيح اللسان ، قوى الجنان ، ملهما فى الجاهلية والاسلام ـ أنكر على قومه عبادة الأصنام قبل أن يعرف ما الاسلام ؟ .. سب آلهتهم ، وسفه أحلامهم ، وسخر من معبودهم ((نهم)) سخرية طريفة حفظها التاريخ ، كنا نود أن نعرج عليها .. ولكن لا مجال .. !!

ثم هو من خاصة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرعيل الأول .. تعهده الرسول بتعاليمه ، فصنع منه أول اشتراكى ثائر فى الاسلام .

لقى فى سبيل فلسفته ما يلاقيه كل مؤمن بعقيدته ، فحيل بينه وبين ما يشتهى حين نفى الى « الربذة » .. ومات وحيدا هناك فى منفاه .. تحمله ملائكة الرحمن .

تلك هي خلاصة حياته الحافلة بجلائل الأعمال ، فما هى فلسفته ؟

قبل أن ندلف الى البيان يجدر بنا أن نضع بين أيديكم قصارى ما قاله المؤرخون والباحثون قديما وحديثا فى منهج أبى ذر مركزا غاية التركيز :

تحدثوا عن فلسفته :

(١) فمن قائل انها نزعة صوفية .

(٢) ومن قائل انها من آثار « المزدكية » فى بلاد فارس .

وبه قال المرحوم أحمد أمين فى فجر الاسلام .

(٣) ومن قائل انها من شدائده التى انفرد بها رضى الله عنه .

وهو رأى الامام القرطبى فى تفسيره المشهور .

(٤) ومن قائل ان مذهبه يؤيد الشيوعية كل التأييد .. وقد استغله الشيوعيون اسوأ استغلال فى عصرنا الحديث .. حتى قالوا انه (ماركس الاسلام) .

فأين وجه الحق فى كل ذلك ؟

الرأى عندى أن الصواب جانب بعض هذه الآراء مجانبة كلية ، وبعضها الآخر التقى به فى زاوية من زواياه ، ويطول بنا الحديث لو ناقشنا هنا كل رأى بالتفصيل .

وحسبى وحسبكم الآن اشارة عجلى الى تفنيد الرأى الشيوعى ردا على مروجيه من الداعين المتحمسين - أما بقية الآراء فسنرد عليها فى طوايا الحديث .

يخطىء من يظن أن الشيوعية تجد سندها الأكيد فى فلسفة أبى ذر الغفارى ، فالبون بينهما شاسع ، وفرق كبير بين الفوضى الهدامة ، وبين الفلسفة البناءة .

فالشيوعية حينما نظرت الى فلسفة أبى ذر نظرت اليها نظرة الأحول ، أو بعبارة أدق نظرة الأعور : أخذت جانبا وتركت الجانب الآخر ، وكان عليها ان تنظر اليها ككل : نظرة « القشتلت » كما يقول علماء النفس .

والآن آن لنا أن نعرف فلسفة أبى ذر ، ومقوماتها ، وخصائصها ، وأهدافها والعوامل التى انبتتها والينابيع التى سقتها ، والركائز التى تستند عليها .

وجملة القول فى ذلك أنها فلسفة تقوم أساسا على نظرية « التوازن بين المجتمع » ومن خصائصها أنها تجمع بين الملكية الفردية والملكية العامة - بمعنى أنها لا تلغى الملكية الخاصة الغاء تاما ، ولكنها تأخذ من الأغنياء فضل ما زاد عن حاجتهم ، وترده الى الفقراء ، ليحدث التوازن بين أفراد المجتمع - وهدفها من ذلك اسعاد البشرية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية .

أما العوامل التى أنبتتها فأهمها التفاوت الفاحش بين الطبقات ، وانحراف المجتمع عن السنن القويم ، الذى كان سائدا فى عهد النبى وصاحبيه من بعده .

أما ينابيعها التى سقتها فهى الينابيع القدسية ، من فيض النبوة الزاخر . وليست من « المزدكية » الفارسية .

وأما الركائز التى تستند اليها فهى الكتاب والسنة ، وعمل الخليفتين الراشدين : **(أبى بكر وعمر بن الخطاب) .**

تلك صورة مجملة لهذه الفلسفة ومقوماتها وأهدافها ، واليكم البيان بالتفصيل : لقد كان أبو ذر رضى الله عنه يرتكز فى فلسفته على ركائز قوية من الكتاب والسنة معا ، من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون »

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - **« من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له - قال أبو سعيد - فذكر رسول الله من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل »** رواه مسلم .

وهل معنى ذلك أن فى المال حقا غير حق الزكاة ؟

نعم : أجاب الرسول عن هذا فقال : **« ان فى المال حقا سوى الزكاة »** رواه الترمذى فى صحيحه فما الزكاة الا الحد المفروض الذى لا مناص منه ، أما ما فوقها من الانفاق فى سبيل الله فهو الميدان الفسيح الذى تتبارى فيه النفوس الخيرة ، فاذا هى لم تفعل كان على الحاكم أن ينصف الفقراء من الأغنياء ، **وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .**

وجاء فى صحيح البخارى ، كما جاء فى صحيح مسلم . أن النبى صلى الله عليه وسلم امتدح صنيع الأشعريين الذين كانوا يطبقون الاشتراكية اجمل تطبيق فقال :

« ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو . وفنى زادهم ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماكان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهم »

هذه هى روح الاسلام ونصوصه الصريحة الواضحة - روح الاشتراكية الدينية والعدالة الاجتماعية ، والنصوص الصريحة فى هذا كثيرة متواترة فى الكتب الصحاح : **فى البخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وسند الامام** - غير أننا نكتفى هنا بهذا القدر ايثارا للايجاز .

ومما لا ريب فيه أن تحقيق العدالة انما يكون بتحقيق التوازن الاجتماعى ، فكيف يكون التوازن ؟

هل يكون بمساواة الجميع فى الفقر والفاقة والعوز كما تفعل الشيوعية مثلا ، وكما فهمت خطأ فلسفة أبى ذر ؟ كلا - ومن يدرى لعلها فهمتها على حقيقتها ، ولكنها عمدت زورا وبهتانا الى التشويه والتزييف . استغلالا لها فى الدعاية والتضليل .

وأيا ما كان الأمر فان **(فلسفة الغفارى)** تختلف اختلافا كبيرا عن المذهب الشيوعى ، فاذا كانت الشيوعية قد ألغت الملكية الخاصة تحقيقا للمساواة فى الفقر ، فان أبا ذر يحارب الفقر أشد الحرب ، ويصفه فيصمه وصمة منفرة حين يجعله قرين الكفر والعياذ بالله فيقول : **« اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر خذنى معك »** .

فما كان يريد المساواة فى الفقر ابدا كما تظن الشيوعية ، وانما كان يريد الموازنة بين المجتمع ، فيحارب تضخم الثروات فى جانب الأغنياء ، وانحسارها فى جانب الفقراء .

وبهذا المبدأ كان ينادى ويصرخ فى وجه معاوية قائلا له :

« يا معاوية لقد أغنيت الغنى وأفقرت الفقير » ..

« والله لا أنتهى حتى توزع الأموال على الناس كافة » .

وكان فيها غناء أى غناء ، بدليل انهم حين طبقوا هذا المبدأ فى عهد عمر بن عبد العزيز اغتنى الفقراء ، فلم يجدوا فقيرا واحدا يأخذ الصدقات .

ولم يكن أبو ذر مبتدعا لهذا التوازن ، وانما كان متبعا فيه روح الاسلام ونصوصه الصريحة ، فهذه آية كريمة تحارب تضخم المال فى جانب الأغنياء وحدهم ، فتقول : **« كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم »** .

ولهذه الآية قصة ، فانها نزلت فى **(موقعة بنى النضير)** - وفى هذه الموقعة أرسى النبى - صلى الله عليه وسلم - قواعد الاشتراكية السليمة ، بتحقيق التوازن بين المجتمع ، فأعطى الغنائم كلها للمهاجرين وحدهم دون الأنصار ، لأنهم كانوا أغنياء فى المدينة . على حين كان المهاجرون فقراء لتركهم أموالهم بمكة حين الهجرة ، فلم يشأ الرسول أن يكون هناك اختلال فى توازن المجتمع ، فأعطى الفقراء وحرم الأغنياء ، ولم يستثن من الأنصار الا رجلين فقيرين ، فأعطاهما تحقيقا لمبدا التوازن ، وتطبيقا للاشتراكية فى أجلى معانيها ، ورحم الله أمير الشعراء - أحمد شوقى - اذ يقول :

الأشتراكيون انت أمامهم

لولا دعاوى القوم والغلواء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء

هذه هى روح الاسلام ، وتلك مبادئه التى كون فيها أبو ذر (**فلسفة التوازن**) ، فآمن بها ، واعتنقها ودعا لها ، **وحاج بها عثمان ومعاوية ، وكعب الأحبار** ، وثار من أجلها وجمع الجموع من حولها ، وخاصم فيها الحكام والولاة ، حتى انتهى به المطاف الى منفاه :

هذه هى روح الاسلام وحقيقته ، وليست من التشدد فى الدين ، وبالتالى ليست من شدائد أبى ذر كمايرى الامام القرطبى — رحمه الله وفى كل ما سبق رد عليه أبلغ رد ، كما أنه رد على أستاذنا المرحوم أحمد أمين ، حين ظن أن أبا ذر استقى فلسفته من « **المزدكية** » الفارسية .

ورب سائل يقول : لماذا ثار أبو ذر فى خلافة عثمان ولم يثر فى خلافة أبى بكر وعمر ابن الخطاب ؟

والجواب : أن أبا بكر كان يطبق الاشتراكية الاسلامية على نفسه وأهله أتم تطبيق ، والروايات التاريخية حافلة بذلك ، **وحسبه أنه تبرع بجميع ماله فى غزوة من الغزوات ، فلما سأله الرسول : ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .**

أما تطبيقها فى الدولة فكان متحققا دون تدخل من جانبه ، وذلك أن خلافته القصيرة لم تكن الا امتدادا للعهد النبوى ، وكان المجتمع فيه كالبنيان المرصوص ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وما حديث الأنصار عنا ببعيد حين قاسموا المهاجرين أموالهم ومنازلهم ، حتى ان بعضهم عرض التنازل عن احدى زوجتيه لأخيه المهاجر — فأى ايثار أعظم من هذا الايثار ؟

وأما عمر بن الخطاب فحدث عنه ولا حرج — كان مثالا حيا للاشتراكية الحية ، والشواهد جمة على ذلك ، بل كل تاريخه شواهد ، وحسبى وحسبكم مثال واحد يوضح مدى المساواة فى تطبيق الاشتراكية بينه وبين الرعية :

روى التاريخ أن المسلمين غنموا برودا يمانية ، فخص كل واحد منهم بردا واحدا ، وخص عمر بردا كأى فرد من الرعية ، ولكنه كان فى حاجة ماسة الى برد آخر ، فتبرع له ولده عبد الله ببرده ، فصنع منهما معا ثوبا واحدا ، اذ كان طويل القامة ، ثم وقف يخطب الناس وعليه هذا الثوب فقال :

« أيها الناس : اسمعوا وأطيعوا ، فوقف له رجل من عامة الناس وقال له : لا سمع لك علينا ولا طاعة ، فقال عمر : ولم ؟ قال الرجل : من أين لك هذا الثوب وقد نالك ثوب واحد وأنت رجل طوال ؟ قال عمر : لا تعجل ، ونادى : ياعبد الله فلم يجبه احد ، قال ياعبد الله بن عمر ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : ناشدتك الله البرد الذى ائتزرت به أهو بردك؟ قال : اللهم نعم — فقال الرجل : الآن مر نسمع ونطيع » .

فأى مكان هنا لثورة أبى ذر ؟ هذا هو أقصى ما يريده من العدالة والمساواة .

أما فى عهد عثمان — رضى الله عنه — فقد تبدل المجتمع وتغيرت ظروفه ، وانحرف كثيرا عما كان عليه ، واستغل رقة الخليفة وشيخوخته وحدبه على أهله حين أعطاهم — متأولا — عطاء سخيا ، فمشى اليه جماعة من كبار الصحابة يعاتبونه فى ذلك ، وكان على رأسهم على بن أبى طالب — ولعل أبا ذر كان فيهم — فقال لهم عثمان رضى الله عنه — مبررا عمله : (**ان لى قرابة ورحما**) ، فأنكروا عليه مقالته وسألوه : (**أما كان لأبى بكر وعمر قرابة ورحم**) ؟ . فقال محتجا لتصرفه ، ومدافعا عن نفسه من وجهة نظره : **ان أبا بكر وعمر كانا يحتسبان فى منع قرابتهما ، وأنا أحتسب فى اعطاء قرابتى**) فقاموا عنه مغضبين **يقولون : (هديهما والله احب الينا من هديك)**

هذا هو موقف الخليفة نفسه رضى الله عنه

فما بالك بموقف الولاة من أمثال مروان ابن الحكم !

لا ريب أنه يختلف كل الاختلاف عن فلسفة أبى ذر — لهذا ثار على هذه الأوضاع وصرخ صرخته الداوية فى وجه معاوية منكرا عليه بعض التصرفات .

من كل ما سبق يتضح لنا ان ابا ذر ثار فى عهد عثمان لانحراف المجتمع عما كان عليه من قبل ولم يثر فى العهود السابقة لأن الاشتراكية كانت مطبقة فى عهد النبى والخليفتين من بعده تطبيقا تلقائيا ، استجابة للوازع الدينى ، والدافع الانسانى ، فلم تكن بحاجة الى داع ينادى بها ويخاصم فيها الحكام — فأفعال الرسول وصاحبيه كانت المثل الأعلى فى تطبيق الاشتراكية الدينية ، على انفسهم وذويهم ، وعلى الدولة جمعاء ، والواقع التاريخى حافل بذلك فلا حاجة الى التطويل .

هذا ولعل هاجسا فى النفس يدور ؛ فيقول قائل : **من يدرى : لعل أبا ذر كان يزهد فى الحياة حينما زهدت فيه الحياة . فلم يجد فيها منصبا ولا ثراء ، فاعتنق هذه الفلسفة من جراء ذلك !**

كلا يا أخى : فالتاريخ يحدثنا أن كبريات المناصب عرضت عليه فأبى عليها ، كما جاءه الثراء فيفر منه فى شمم واباء — ولولا خشية الاطالة لرويت ما رواه التاريخ من الأعاجيب ، غير أننى أشير باللمح الخاطف الى ماكان عليه من تطبيق فلسفته على نفسه ، تكميلا لجوانب الحديث .

كان أبو ذر — رضى الله عنه — يطبق فلسفته على نفسه قبل أن يطالب بها غيره ، جاء فى صحيح الآثار أن المعرور بن سويد قال : « لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة مثلها ، فسألته عن ذلك : فقال سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : **اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ..** » — فهو يطبق ذلك على نفسه ، ويسوى بينه وبين خادمه .

وأراد معاوية يوما أن يختبر أبا ذر ، ومدى صدقه فى عقيدته ، وتطبيقها على نفسه ، فأرسل اليه فى جوف الليل بألف دينار ، فلما أصبح أرسل اليه نفس الرسول يسترجع منه الأموال بحجة ذكرها .. وكان أبو ذر قد وزعها على الفقراء فى جنح الظلام — فقال له : **(والله ما أصبح عندنا من دنانيرك شىء ، ولكن أخرنا ثلاثة أيام نجمعها لك)** ، فأيقن معاوية أن أبا ذر — فى فلسفته — كان صادق العقيدة ، صادق التطبيق ، فلم يجد سبيلا الى الخلاص الا أن كتب الى عثمان ، وكان بينهما ما كان ، حتى انتهى به الأمر الى المنفى بالربذة .

هكذا طبق أبو ذر فلسفته على نفسه ، وأراد غيره عليها ، فلم يكن له ما يريد ، وكان لهم ما أرادوا من النفى والتشريد !

***

وكأنى بالرسول الأمين كان يقرأ من صفحة الغيب كل ما خطه القدر لأبى ذر من العناء والبلاء والتشريد ، والموت وحيدا فى منفاه .

فمن الاشارات السابقة لأوانها قول الرسول فى « **غزوة تبوك** » حينما انقطع السبيل بأبى ذر فجاء وحده وقد بلغ منه الجهد كل مبلغ .. قال الرسول مشفقا عليه ، ومشيرا الى موته وحيدا فى منفاه :

« **يرحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده** » .

وكأن الرسول كان يهيىء أبا ذر خصيصا للنهوض بأعباء هذه الفلسفة ، من حب الفقراء ، والثورة على الأغنياء ، والجهر بالقول فى وجوه الحكام — استمع الى الرسول فى وصاياه لأبى ذر يقول :

أوصيك بتقوى الله ، فهى رأس الأمر كله .
قال : يا رسول الله زدنى .
قال : أحب المساكين وجالسهم .
قال : يا رسول الله زدنى .
قال : قل الحق ولو كان مرا .
قال : يا رسول الله زدنى .
قال : لا تخش فى الله لومة لائم .

وكأنى بالرسول يبارك ثورة أبى ذر ، ويثبت قلبه للصبر على المكاره ، ويطمئنه على أنه على الحق فيقول :

يا أبا ذر : سيصيبك بلاء بعدى .
فقال أبو ذر : أفى الله يا رسول الله ؟
قال : نعم فى الله .
فقال أبو ذر مغتبطا : مرحبا بأمر الله .

وكيف لا يكون على صواب وقد استقى فلسفته من روح الدين وحقيقته الخالصة ، بل انها من روح الأديان السماوية جمعاء ، وهل تنشد الأديان الا العدالة ؟

فأى دين يرضى بالظلم ؟ بل اى نزعة انسانية ترضى بذلك ؟

حاشا لشريعة الله ، أن تحقق غير العدل والمساواة .

ولدينا أكثر من نص صريح فى العهد القديم ، وفى العهد الجديد ، وسنجتزىء هنا بذكر القليل على سبيل التمثيل :

جاء فى العهد القديم نص صريح ينفر من الذهب والابريز ، والثروة بوجه عام ، وينعى على احتجازها واكتنازها ، بل أكثر من هذا ينعى عليهم مجردالفرحة بها ، فيجعلها جحودا واثما مبينا ، فيقول فى سفر أيوب :

« ان كنت قد جعلت الذهب عمدتى ، أو قلت للابريز أنت متكلى ، ان كنت قد فرحت اذ كثرت ثروتى ، ولأن يدى وجدت كثيرا ، فهذا أيضا اثم يعرض للقضاء ، لأني أكون قد جحدت الله من فوق » .

أما ما جاء فى العهد الجديد فكان اقوى وأصرح فى الاشتراكية الحقيقية ، حيث قال فى انجيل متى : **« قال يسوع : ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ، وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء » .**

وأصرح من هذا وذاك فى الاشتراكية الحقة ما جاء فى أعمال الرسل حيث قال : **« وجميع الذين آمنوا كانوا معا ، وكان عندهم كل شىء مشتركا ، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ، ويقسمونها بين الجميع ، كما يكون لكل واحد احتياج » .**

أى اشتراكية أجمل من هذه ؟ فقد كان المسيح عليه السلام ـ كما كان الرسل جميعا مثلا أعلى فى المحبة والسماحة والاخاء ، لهذا لا نعجب اذا وجدنا الأديان السماوية جمعاء تنادى بالعدالة والمساواة ، فما هى الا من مشكاة واحدة .. هى مشكاة الاله ، وهل يأمر الاله بغير العدل والمساواة ؟ **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .**

***

ولئن كانت هذه الروح المتوهجة قد انطفأت شعلتها حينا ، أو انطمست معالمها أحيانا ، فما ذلك بضائر للأديان .. على أننا لا نعدم فى مسارب الزمن ، ومدارج التاريخ قمة من القمم الشوامخ برزت بين الحين والحين ، تعيد للاسلام قوته ، وتجددله حيويته . من هؤلاء : **الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز** ، ومن **الفقهاء ابن حزم ، وابن القيم ، والشاطبى ،** وغيرهم من العلماءالأعلام ، ولهم لدينا نصوص كثيرة صريحة ندخرها الى حين .

***

هذا وماالاشتراكية الا نزعة انسانية لاتتقيد بمذهب ولا دين ، وتجدها فى القديم كما تجدها فى الحديث ـ والسائرون عبر التاريخ يحدثوننا أنهم وجدوها فى اليونان عند « افلاطون » ، كما وجدوها عند الفراعنة .. ولعلها كانت عند « اخناتون » ، ذلك «الذى دعا الى ديانة جديدة تقوم على عبادة اله واحد خلق جميع المخلوقات » .

***

الى هنا انتهينا من عرض فلسفة أبى ذر فى اطارها الدينى ، وتدعيمها بالحجج والبراهين ، وبقى علينا أن نقارن بينها وبين المذاهب الاقتصادية الحديثة مع التركيز الشديد .

ان الاشتراكية فى جملتها تمثل المرحلة الوسط بين الرأسمالية والشيوعية ، فلا تفريط ولا افراط .

ولما كانت الرأسمالية تمثل الأنانية القاتلة ، والفردية الجشعة ، فان الشيوعية تمثل الفوضى العارمة ، والقسوة البشعة ـ فهما أمران أحلاهما مر .

الشيوعية تهدر الكرامة الانسانية ، وتغض من شأن الفطرة ، وتحط من قيمة الفرد ، فتجعله مجرد آلة صماء ، بل مجرد مسمار فى آلة هوجاء .

ولا عدالة فى مثل هذا الصنيع ، لأنها تتجاهل الفروق الطبيعية ، فى المواهب الفطرية ، من ذكاء وقدرة واستعداد خاص .. فهى تلغى استقلال الشخصية ، وتقتل التنافس البرىء ، وفى هذا ظلم للبشرية أى ظلم ، كما يقول الأستاذ العقاد : **« لن تتخيل فى الدنيا ظلما أوبل من ظلم التسوية بين غير المتساوين » .**

أما الرأسـمالية فانها لا تقـل خطـرا عن الشيوعية أن لم تزد ، وحسبنا ما نراه من مآسى المجتمع فى الغدو وفى الرواح ، نتيجة لسوء التـوزيع ، والتفـاوت الفـاحش بين طبقـات المجتمع ـ وهنـاك تشـبيه سـاخر مضحك للفيلسوف « **برناردشو** » **يسـخر** فيه من نفسه ومن الرأسمالية معا لسوء التـوزيع ، حيث كان أصلـع ، مع أنـه كث اللحية ، غزير شعر الوجه على العموم ، فقال ساخرا من سوء التوزيع :

« ان الرأسمالية تشبه تماما شـعر وجهى الكثيف ، وصلعتى القاحلـة : غـزارة فى الانتاج ، وسوء فى التوزيع » .

حقا سوء فى التوزيع ، وأنانية قاتـلة .. فكثيرا ما نرى ، أو نسمع ، أو نقرأ أن ثريا من الأثرياء سافر بطائرته الخاصة من قطـر الى قطر .. لا لشىء ، وانما ليستمع ويستمتع بوصلة غناء .. فى القاهرة مثلا .. ثم يعود من حيث أتى ـ بعد انتهاء الحفل ـ بطـائرة الأحلام .. فى حين أن كثـيرا من اخوته فى الانسانية لايجدون مايحملهم .. لايجـدون سيارة بدل الطيارة ! بل منهم من لا يجد دابة تحمله ، حصانا مثلا .. أو ما هو دون ذلك .. بل منهم من لا يجد قدمين يسـير بهما على أرض الله يطلب الرزق ، والعيش الكفاف !

لا سبيل الى الخلاص من طغيان الشيوعية ، وضغط الرأسمالية الا بنظام وسط يجمـع محاسن النظامين معا ، وتلك هى الاشتراكية .

أما ماهى الاشتراكية ؟ وماانواعهاوالوانها؟ فذلك الذى يجيبنـا عنه علمـاء المذاهب الاقتصادية الحديثة فيقـولون : **المـذاهب الاشتراكية كثيرة ، ولها تقسيمات عـديدة ، فهى من حيث النهج الاشتراكى تنقسـم الى قسمين :**

(١) الاشتراكية التعاونية .

(٢) واشتراكية الدولة .

والاشتراكية التعاونية تنقسم الى عـدة أشكال :

أ) تعاونية الانتاج فى فرنسا .

ب) وتعاونية الاستهلاك فى بريطانيا .

جـ) وتعاونية النسيئة فى المانيا .

د) وتعاونية البناء فى الولايات المتحدة .

هـ) والتعاونية الريفية فى الدانمرك .

وأما اشتراكية الدولة فهى أشكال وألـوان أكثر وأكثر .

وهناك الاشتراكية (**الفابية**) ،والاشتراكية (**السان سيمونية**) ،والاشتراكية**الديمقراطية** والاشتراكية **الوطنية النـازية** ـ وهنـاك (**اشتراكية الكرسى**) .

الى آخر ما هنالك من تقسيمات وتفريعات حتى قال بعضـهم سـاخرا فى تعـريف الاشتراكية : « **الاشتراكية مخلوق عجيب ، جسمه واحد وله عشرون رأسا** » وان شئت فقل العكس : جسم واحد ، وله عشرون ذيلا .

وعلم الله أنها ذيول بتراء ، ورءوس خاوية ، اللهم الا ما كان منها مرتكزا على أساس من الدين القويم ، معتمدا على جناحين قويين ، هما : **الملكية العامة ، والملكية الخاصة** .

وتلك هى اشتراكية أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه وأرضاه .

(وبعد) فهذا أبو ذر كما عرفتـه ، وتلك فلسفته كما رأيتها ، ليست شـيوعية ، ولا مزدكية ، ولا صوفية ، ولا تشددا فى الدين ، وانما هى الدين الخالص .

فلسفة تقوم أساسا عـلى نظرية (**التوازن الاجتماعى**) تأخذ من الأغنياء لتغنى الفقراء ، لا لتفقر الأغنياء ، تطبيقالروح الدين ، وتحقيقا لمبدأ العدالة الاجتماعية ، والتقاء مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث يقول : « **لو استقبلت من أمـرى ما اسـتدبرت لأخـذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على فقرائهم** » .

فلسفة دينية استقاها من نبـع النبـوة الصافى ، فآمن بهـا ، ودعا لها ، وثـار من أجلها ، فكان أول اشتراكى ثائر فى الاسلام .

ولئن كانت الجمهورية العربية المتحدة قد انتهجت لنفسها هذا المنهج الاشتراكى ، فانما هى انتهجت منهجا دينيا حنيفـا ، كما أنهـا استلهمت تاريخها العريق .

انها اشتراكية تلتقى مع شرعة السماء ، وما شرعة السماء الا العدالة ، انها نفحة علوية ، تلتقى مع اشتراكية أبى ذر ، كما أنها لمسـة انسانية ، تذكرنا بجمهورية « افلاطون » .

المعجزة الكبرى في سورة الروم

الدكتور محمد محمود السلاموني

الآيات ١ ـ ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

((ألم • غلبت الروم • فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون •))

تتضمن هذه الآيات البينات خبر هزيمة الروم على أيدى الفرس ، فى أقرب مكان من الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) بالنسبة للعرب ، ثم كشفا ربانيا بانتصار المغلوب على الغالب فى مدى زمن محدود ، وبفرحة المؤمنين بالنصر •

وخبر هذه الهزيمة علم به القاصى والدانى من قريش ، مسلمين ومشركين ، ولقد كانت مبعث سرور للمشركين ، وذلك لأن الفرس المجوس وثنيون مثلهم ، والروم أصحاب كتاب مثل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ، وجاهروا بأن الغلبة للاشراك والهزيمة للتوحيد ، فكان أن أنزل الله ـ جل جلاله ـ هذه الآيات البينات على نبيه الكريم، ليكشف له نصرة أهل الكتاب وفرحتهم ، وهزيمة المشركين وغصتهم ، وهذا الاخبار بانتصار الروم الموعود قبل وقوعه بثمانية أعوام ، على نحو ما سنرى ، لهو المعجزة الكبرى التى تشهد بأن القرآن الكريم تنزيل من لدن حكيم عليم ، وبأن محمدا صادق أمين .

وان دراسة ما تضمنته هذه الآيات الشريفة دراسة تاريخية ليست ـ حاشا لله ـ محاولة لاقامة الدليل على اعجاز القرآن ، ولكنها مجرد تأريخ للأحداث التى المعت اليها هذه الآيات وتحديد زمن وقوعها•

يشير قوله تعالى : ((**غلبت الروم فى أدنى الأرض**)) الى واحدة من سلسلة معارك خاضت غمارها دولتان قويتان فى الشرق الأدنى ، وهما دولة الفرس والامبراطورية البيزنطية ، وهذه المعركة على وجه التحديد قد وقعت على أيام هيراكليوس الصغير الامبراطور البيزنطى (٦١٠ ـ ٦٤١) المعروف عند العرب بهرقل ، وخسرو بارويز أوخسرو الثانى، عاهل الفرس (٥٩٠ ـ ٦٢٨) المعروف عند العرب بكسرى .

ففى عام ٦١٤ استولى الفرس على انطاكيا، أكبر المدن فى الأقاليم الشرقية للدولة البيزنطية ثم استولوا على دمشق ، وحاصروا بيت المقدس ثلاثة أسابيع ، وسقطت هذه المدينة فى أيديهم ، وأحرقوها ونهبوا سكانها وذبحوهم ، وقد دمر الحريق كنيسة القيامة (القبر المقدس) التى كانت قد شيدها قسطنطين الكبير ، واستولوا على الصليب المقدس ، ونقلوه الى عاصمتهم اكتسيفون (المدائن) ، ولقد جزعت نفوس المسيحيين وانهارت روحهم المعنوية لهذه الكارثة الماحقة التى منيت بها المسيحية

فأهدرت كرامتها واستبيحت مقدساتها ، وليس من شك فى أن ما أصاب بيت المقدس – معقل المسيحية بخاصة وفلسطين بعامة – وهى أقرب أقاليم الامبراطورية البيزنطية بالنسبة لأهل مكة الذين يساق اليهم الحديث، كان مبعث سرور لمشركى مكة وشماتتهم ، وقد رأوا فيه فالا حسنا لهم فى مقاومتهم محمدا – صلى الله عليه وسلم – وقضائهم على دعوته الكبرى الجاثمة على صدورهم ، والمسلطة على رقابهم .

ولم تقف غارة الفرس على الشام وفلسطين ، فقد توغلوا فى آسيا الصغرى حتى بلغوا البسفور تجاه القسطنطينية ، العاصمة البيزنطية ، التى تعرضت فى وقت واحد لزحف الفرس من الشرق والآفار والصقالبة من الشمال ، وكاد هرقل يقع فى أيدى الآفار فى يونية عام ٦١٧ .

ثم أن فتح الفرس لمصر عام ٦١٩ كان هو الآخر نكبة على القسطنطينية ، اذ حرمت من قمح مصر ، مزرعة الرومان ، وهو الذى كانت تعتمد عليه ، فعمت بها المجاعة وتفشى المرض .

ولكن هرقل الذى لا يعرف اليأس ، قرر أن يجعل من الهزائم نصرا ، فهادن الآفار مؤقتا ، ليتفرغ لمنازلة الفرس الذين مافتئوا يتوغلون فى الأقاليم الشرقية من الامبراطورية فى الوقت المناسب .

ورأى بثاقب نظره أن يوجه عنايته الى الاصلاحات الداخلية التى تحقق له النصر على العدو ، فبدأ بتنظيم أقاليم الامبراطورية التى لم يستول عليها العدو ، فقسمها الى اقاليم عسكرية ، وبهذا ساد الطابع العسكرى ادارة الأقاليم .

وقد ساعد هذا النظام الجديد على استقرار الجنود فى اقاليم آسيا الصغرى حيث منحوا مساحات من الأرض مقابل خدمتهم العسكرية ، اما هذا النظام ، وهو نظام الاقطاع الحربى ، ويعتبر الأساس الذى قام عليه جيش وطنى قوى حل محل الجند الأجانب المأجورة الذين كانوا يحملون خزينة الامبراطورية أموالا باهظة .

وخلاصة القول فان النظام الجديد كان له أثره الفعال فى تهيئة القوات المسلحة للعمليات الحربية التى ستضطلع بها فى المعارك الوشيكة الوقوع مع الفرس ، وجدير بالذكر أن الكنيسة البيزنطية التى كانت تحلم بالنصر حفاظا على رسالتها المقدسة قد وضعت تحت تصرف الامبراطورية التى خوت خزائنها من المال كل ما لديها من ثروة، وهكذا توافرت لهرقل مقومات النصر .

فقرر فى عام ٦٢٢ استئناف القتال مع الفرس الذين كانوا قد احتلوا جزءا كبيرا من أراضيه ، وهددوا العاصمة .

ولكى يأمن جانب الآفار ويتمكن من نقل قواته من أوربا الى آسيا ، عقد معاهدة معهم وقبل بمقتضاها أن يدفع اليهم مقدارا كبيرا من المال وأن يبعث اليهم بالرهائن .

ولما تم له ذلك غادر العاصمة الى آسيا الصغرى فى ابريل من نفس العام .

وهناك حشد عددا كبيرا من جنوده فى الأقاليم العسكرية ، وأمضى شهور الصيف فى تدريب طائفة جديدة من الجند ، وفى دراسة خطط حربية جديدة ، حيث أولى اهتماما كبيرا باستخدام الخيالة ، وعنى عناية خاصة بالرماة الفرسان ، وما أن انتهى من الاعداد للحملة – وكان ذلك فى خريف العام نفسه – حتى شق طريقه الى أرمينيا ، وبحركة بارعة أرغم الفرس على التخلى عن مراكزهم فى دروب جبال آسيا الصغرى ، فاقتفى هؤلاء أثر الجيش البيزنطى ، والتحم الجيشان على أرض أرمينيا ، وكان النصر حليف الجيش البيزنطى ، حيث أوقع بالجيش الفارسى بقيادة شاهر باراز هزيمة ساحقة .

وهكذا انتصر الروم وتحقق بذلك اول أمل لهرقل وهو تخليص آسيا الصغرى من سيطرة الفرس فى العام نفسه ٦٢٢ ، فانتصرت المسيحية على الوثنية .

على أن اشتباكات الروم والفرس لم تنته بعد ، ففى خريف عام ٦٢٧ زحف هرقل نحو قلب بلاد الفرس نفسها ، وفى ديسمبر نشبت المعركة الحاسمة امام نينوى حيث احرز البيزنطيون انتصارا باهرا تقرر معه

البقية ص ٩٣

المجتمع الاسلامى بين الرجعية والتقدمية

الدكتور محمد بيصار

٥ ـ الفضائل النفسية كينبوع لحياة اشتراكية

على ضوء ما بينت فى مقالى بالعدد السابق أصبح من الواضح أن ترقية التصور فى الجماعة وتعميق الادراك فى الفرد مقومان هامان فى بناء أى مجتمع جديد ، لما يستلزمانه من أصالة فى اصدار الرأى وسلامة التخطيط للنهوض بالمجتمع فى مختلف نواحيه .

ولا يمكن أن يصدر الرأى حينئذ ارتجالا ، أو يوضع التخطيط اعتباطا ومن غير دراسة واعية فاهمة لأسباب التخلف ومقتضيات الاصلاح وعوامل التعويض عما مضى ، وسد ما قد يكون فى هذا الجانب أو ذاك من ثغرات وهنات .

ويمكن ان نقول ان هذا المعنى بمختلف عناصره ومقوماته يكاد ينحصر بالنسبة الى مجتمعنا الاسلامى والعربى فى عاملين هامين :

أولهما : عامل التقويم الروحى أو المعنوى للمجتمع ، بتأكيد القيم وتثبيت الفضائل ومممارسة احترامها وتقديسها فى كل فرد من افراده .

وثانيهما : عامل التقويم المادى للمجتمع فى كل ما يتعلق بحياته العملية الواقعية ، مما هو ضرورى لبقائه ، ومعين له على مصارعة الأحداث ومنحه القدرة الكافيه التى تمكنه من أن يتنازع البقاء مع غيره من المجتمعات .

ويعتبر هذان العاملان متكاملين . يكون كل منهما جانبا ضروريا من جوانب المجتمع المثالى والواقعى فى الوقت نفسه .

ولهذا عنى الاسلام بتأكيد القيم الروحية والتنويه بضرورتها للمجتمعات عنايته بالاصلاحات المادية وشئون الحياة العملية للفرد والمجتمع معا على ماسنراه فيما يأتى .

فكما حث الاسلام على أمهات الفضائل كالبر والرحمة والعطف والايثار والاخوة والتضحية من أجل الفير ، ومواساة الضعفاء والبؤساء والبذل للمحرومين ، والعدل فى المعاملات ، والصبر عند الشدائد ، والرضا فى الضيق والفرج .. كما حث على ذلك كله ـ كما يشهد به صريح القرآن وصحيح السنة النبوية ـ كذلك حث على الأخذ بأسباب التقدم والسعى فى مناكب الأرض والبحث عن خيراتها واستثمار مواردها وغلاتها ، والذهاب فى ذلك الى أبعد حد مستطاع وأقصى مدى ممكن .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » الآية ١٥ الملك .
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . الآية ١٠٥ التوبة .

ولكى لا يطغى الانسان على أخيه الانسان أو يسرف فى ابتزاز أمواله واغتصاب حقه أو استغلال موارده وثمرات أعماله ، وضع الاسلام نظام المعاملات كالبيع والشراء ، والقرض ، والشركة ، والاجارة ، والاعارة ، والرهن .. الى غير ذلك من مختلف المعاملات الاقتصادية .

وقد حدد الاسلام القوانين التى تسير عليها الأفراد والجماعات فى معاملاتهم ابقاء على وحدتهم وسدا لأبواب الشقاق بينهم ليبقى المجتمع متماسكا متحابا متعاونا فى السراء والضراء وفى العسر والرخاء .

وتزويد الفرد بالطاقات الروحية التى بذر الاسلام بذورها في نفوس ابنائه وحثهم على الاستمساك بها ، من شأنه أن يحكم سلوكهم ، ويوجه تصرفاتهم فى حياتهم العملية وجانبهم المادى .

فعندما يزود الفرد بهذه الطاقات تتحقق ذاتيته وتتأكد شخصيته ويشعر بكيانه كانسان يتحمل تبعته فى مجتمعه ، ويفى - الوفاء كله - بمسئولياته حيال هذا المجتمع .

ويكون وفاؤه بالمسئوليات حينئذ ليس واقعا تحت ضغط قانون أو تشريع أو خوفا من أى سلطة الا سلطة الحق والواجب والضمير الواعى اليقظ .

وعندئذ تطمئن نفسه بالبر والاحسان والايثار والرحمة ، بمقدار ما يعتورها من القلق والضيق اذا ارتكب اساءة أو ظلما أو اغتصابا أو أى شىء يخالف قواعد العدل التى جعلت فى ضمير الانسانية الحى وجاءت الشرائع السماوية مقوية ومؤيدة لها .

وعن وابضة بن معبد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البر فقال **« البر ما اطمأن فى القلب والاثم ما حاك فى الصدر وتردد فى النفس وان أفتاك الناس وافتوك »**.

أما الطاقات الروحية التى لا تبدو آثارها فى تصرفات الأفراد ولا تظهر معانيها فى سلوكهم ومعاملاتهم لغيرهم لا تعدو ان تكون مجرد ادعاء أو مظهر خادع أو رياء ممقوت .

والا فاى عدل هذا الذى لايدفع بصاحبه الى زمرة العادلين ؟

وأى سخاء هذا الذى لايغرى صاحبه بأن يكون من الباذلين ؟

وأى خير هذا الذى لا يحض المتخلق به أن يكون من المؤثرين ؟

ان النتائج ضروريات منطقية لمقدماتها . والآثار نتيجة واقعية لمؤثراتها .

والارتباط بين الدافع على عمل ما وبين النجاح فى تحصيله حتمى وضرورى .

ولهذا كان قيام المعانى الروحية فى نفوس الناس يتمشى ، طردا وعكسا ، مع الكيفية التى تتصف بها أعمالهم ، وتصطبغ بها تصرفاتهم .

ولهذا - ايضا - ربط القرآن الكريم بين الايمان والتصرف أو السلوك ربطا قويا تأكيدا لقوة الصلة بينهما فقال عز من قائل :

« الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة . والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين »

وجاءت فى السنة مؤكدة لنفس المعنى فى قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

فالمراة المؤمنة ايمانا حقيقيا بحرمة الزنى لا يمكن ان تمكن من نفسها اجنبيا عنها . ولهذا فالزانى لاينكح الا احدى امراتين . اما مشركة ليست مسلمة وأما انها لم تتأكد فى نفسها حرمة الزنى فاتخذته ديدنا لها وعادة .

وبالمثل الرجل الذى يؤمن ايمانا قاطعا بحرمة الزنا لا يمكن أن يرتكبه مع اى امراة كانت ، وانما يفعل ذلك فى احدى حالتين : ان لا يكون ايمانه بحرمته صادقا فيتخذه ديدنا وعادة . أو يكون من عداد المشركين .

ولهذا قطعت الآية بأن ارتكاب ذلك - سواء من الرجل أو المرأة - لا يمكن أن يصحبه الايمان الأكيد بالحرمة .

واذا بلغ الفرد هذه المرتبة صدرت عنه افعاله ضرورة وصارت الفضائل له طبيعة وخلقا .

فاذا عدل حينئذ انما يصدر عدله عن ايمان بوجوب العدل .

واذا رحم انما تصدر رحمته عن اعتقاد بفضل الرحمة .

واذا تعاون انما يصدر تعاونه عن ادراك واع لثمرات التعاون .

واذا أحب غيره بذل له من ماله ونفسه وجهده ، بل وضحى من أجله بكل مرتخص وغال .

وهكذا تشيع بين أفراد المجتمع الواحد معانى الايثار والبذل والتضحية والعدالة نابعة من نفوسهم وممتزجة بأرواحهم . ويصبر كل

البقية ص ١٠١

الإسلام والولاية العامة للمرأة

الأستاذ
محمد زكريا البرديسي

الولاية هى تلك الصفة الشرعية التى تجعل لصاحبها حق التصرف فى شئون غيره جبرا عنه وبرضاه ، وهى اما خاصة كولاية التزويج والتحكيم ، واما عامة ، وهى تكاد تنحصر فى الامامة العظمى ومتفرعاتها ، وفى القضاء ، وفى الشهادة ..

وسنحاول فيما يلى ان نبين موقف الاسلام بالنسبة للمرأة حيال هذه الأنواع الثلاثة اظهارا للحق وازهاقا للباطل .. ان الباطل كان زهوقا ..

أ) المرأة والامامة :

الانسان مدنى بطبعه لا يمكنه أن يخوض معترك الحياة وحيدا ، بل لا بد له من معين يعينه ويشد أزره ، فلا يستطيع أى فرد من أفراد البشر مهما بلغت قوته ، ومهما زاده الله بسطة فى الجسم والعلم أن يستقل بانتاج مقومات حياته ، فهو دائما يحتاج الى غيره وذلك الاحتياج يدفعه حتما الى الاجتماع بسواه من بنى جنسه ، تحقيقا لمآربه .. وتحصيلا لحاجياته .

واذا كان هذا الاجتماع أمرا طبيعيا وضروريا كان لابد لكل جماعة من رئيس يدبر أمرها ويشرف على شئونها ويبذل جهده فى حمايتها وتوفير سبل العيش والسعادة لها ، فالقرية تتطلب من يرعاها ويحافظ على كيانها .. والاقليم تمس الحاجة فيه الى حاكم يصرف أموره ويدبر شئونه ، والدولة أشد ما تكون احتياجا الى امام يثبت أفرادها على الصراط المستقيم ، ويحول دونهم ودون مخالفة رب العالمين ، يجلب المصالح لهم ، ويدرأ المفاسد عنهم ، يجند الجنود ويعد العدة لدفع اعتداء المعتدين ورد كيد الكائدين على أى بلد من بلاد المسلمين .. فالمسلمون مهما تباينت أقطارهم وتباعدت ديارهم تجمعهم رابطة واحدة .. وتظلهم راية واحدة .. قال – صلى الله عليه وسلم – :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وهذا الامام الذى يقلد الرئاسة العامة فى أمور الدين والدنيا والذى يعتبر خليفة عن

الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى حراسة الدين ، واقامة شعائره ، وفى سياسة الدنيا سياسة منبعثة من صميم الدين ، ومنبثقة من أسسه وقواعده ، يجب على الرعية طاعته عملا بقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

فان الله تعالى لما أمر الولاة فى الآية السابقة لهذه الآية بأداء الأمانات الى أهلها ، وبالحكم بين الناس بالعدل أمر الناس فى هذه الآية بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم فيما لا معصية لله فيه ، اذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

هذا الامام الواجب اقامته والواجب على الرعية اطاعته لايجوز أن يكون امرأة ، فقد روى أنه لما بلغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن الفرس ملكوا ابنة كسرى قال : **« لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة »**

ولهذا نرى الماوردى فى الأحكام السلطانية يقول : « ان الولايات العامة مصروفة عن النساء لأن تلك الولايات تحتاج من طلب الرأى وثبات العزم ما تضعف عنه النساء ولأن هذه الولايات تستلزم من الظهور فى مباشرة الأمور ما هو عليهن فى الشرع محظور » .

ويقرب من هذا ما جاء فى رد المحتار : **« يشترط فى الامام الأعظم أن يكون رجلا لأن النساء أمرن بالقرار فى البيوت ، قال تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »** . فكان مبنى حالهن على الستر .

ومن هذا التعليل الذى أورده صاحب رد المحتار يتضح لنا أن اقصاء المرأة عن الامامة لم يكن ناشئا عن فساد تدبيرها وسوء تصريفها ، ونقصان عقلها ، فقد اعترف القرآن بحصافة رأى المرأة ورجاحته فى غير موضع فها هى ذى سورة المجادلة تنطق صراحة باحترام رأى المرأة وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول الله تعالى :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » .

بل ان التشريع السماوى أقر رأى المرأة وجعله تشريعا خالدا فى بعض المواطن فانه يروى ان خولة بنت ثعلب قال لها زوجها أوس بن الصامت **انت على كظهر أمى** وكان الرجل فى الجاهلية اذا قال مثل هذا حرمت عليه امرأته فابتعدت خولة عن زوجها ولم تقرب منه اتباعا لما كان سائدا وفى نفسها ما فيها ولما ضاقت ذرعا بذلك ذهبت الى الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – تشكو له وتقول ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى فلما خلا سنى ونثرت بطنى جعلنى عليه كأمه وتركنى الى غير أحد فان كنت تجد لى رخصة – يارسول الله – تنعشنى بها واياه فحدثنى بها ..

فقال – عليه الصلاة والسلام – : ما أمرت فى شأنك بشىء حتى الآن وما أراك الا قد حرمت عليه ، فقالت : ماذكر يارسول الله طلاقا ، وأخذت تجادله – عليه الصلاة والسلام – وتكرر عليه القول وتقول : ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول : « اللهم انى أشكو اليك ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ما يرأب صدعى .. فنزل قوله تعالى :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم » .

فها أنت ذا أيها القارىء الكريم ترى كيف أن القرآن جاء موافقا لما كانت تراه خولة من أن الظهار لا يعد طلاقا ولا يصلح أن يكون حائلا بين المرء وزوجه ، فالاسلام حين يمنع المرأة من الامامة لم يكن منعه بسبب ضعف

التفكير ، وسوء التدبير وانما كان منعه بناء على عدم تمكن المرأة من مزاولة أعباء الامامة اذ هى تقتضى مخالطة الامام لرعيته نساء ورجالا مخالطة كاملة ليتسنى له ان يسوس محكوميه والمرأة مأمورة بالقرار فى البيوت ممنوعة من الاختلاط الا بالقدر الذى تسمح به الضرورة ، وذلك القدر غير كاف فى ادارة شئون الرعية وتحقيق ما انيط بالامام وما وكل اليه من أعمال ولو كانت المرأة فى امكانها أن تقوم بأعباء الامامة ما تردد الصحابة فى مبايعة عائشة - زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو ابنته فاطمة ، لكنهم لم يفعلوا لأنهم رأوا الحوائل التى تحول بين المرأة وبين القيام بأعباء الدولة وتصريف شئونها وتدبير أمورها .

ولا اعتبار لما يقال ان المرأة قد نجحت فى توليتها الملك فى بعض الأزمان لأن التاريخ يروى لنا أن سبب النجاح كان لاشراك الرجال معها فى ادارة دفة الحكم .

فالاسلام حين يحول بينها وبين الامامة لم يهدف الا الى الصالح العام . فسحقا لأولئك الذين يتظاهرون بمناصرة المرأة وينادون بأن الاسلام قد هضمها حقوقها اذ لا يريدون من هذه الأعاصير الهوجاء الا الفت فى عضد الاسلام وما هم ببالغين ذلك ولو اتخذوا نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المغرضون المفترون .

ب) المرأة والقضاء

أطماع البشر فى كل مجتمع كثرة كاثرة والنفوس الأمارة بالسوء فيه أغلبية ساحقة ، فلا يخلو مجتمع تبعا لذلك من منازعات تثيرها تلك الأطماع وتخلقها تلك النفوس ، فلو ترك الأمر دون تسوية النزاع والفصل بالعدل فى الخصومات ، لأصبح الناس فوضى وسادهم الخراب والدمار .. فالقضاء ، وهو « الفصل فى الخصومات ، وقطع المنازعات على وجه خاص » .. أمر تدعو اليه حاجة العمران .. وتسوقنا نحوه طبيعة الانسان ، وهو معروف من قديم الزمان يلجأ اليه المظلوم ليأخذ حقه من ظالمه ، ويفيء الى ظله الظليل المكروب لينفث عن كربته ، وهو مقدس عند جميع الأمم فكلها تذعن لحكمه ، وتخضع لفصله ، وتمتثل لأمره . فهو يمثل السلطة التى يحترم الناس أحكامها ويدينون بآرائها ، ولذلك نرى جمهور الفقهاء يشددون فيمن يملك ذمامها فلا يجيزون تولية القضاء الا للرجل .. أما المرأة فيحولون دونها ودون هذه السلطة عملا بقوله - صلى الله عليه وسلم - « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** »

ويقابل هذا الرأى ، رأى ابن جرير الطبرى فقد نقل عنه أنه قال بجواز قضاء المرأة فى كل شىء ، فالمرأة أهل للقضاء اذ هى ليست أقل من الرجل عقلا ولا أدون منه تفكيرا ، فهما فى العقل والتفكير على قدم المساواة .

وهناك رأى الحنفية وهو رأى وسط بين الرأيين ، اذ يجيزون قضاء المرأة فيما تجوز شهادتها فيه فيجوز قضاؤها فى غير الحدود والقصاص قياسا على شهادتها .

وعندى أن ما ذهب اليه ابن جرير مصادم للحديث الذى استدل به الجمهور فلا اعتبار له ، وأما قياس الحنفية قضاء المرأة على شهادتها فهو قياس مع الفارق لأن الشهادة تدعو اليها الحاجة والضرورة وهى فرض عام على الرجال والنساء ولابد من الاستعانة بها لرد الحقوق الى أربابها ودفع الظلم عن المظلومين ، وأما القضاء فلا ضرورة تدعو الى تولية المرأة اياه فافترقا .

وعلى فرض صحة هذا القياس وعدم الفارق فيه فهو لا يقوى أن يقف على قدميه أمام حديث الجمهور ، اذ لامعقول فى مقابلة النص .

ولا اعتبار لحمل الحديث على ولاية الملك نظرا لسبب وروده كما أسلفنا ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالولاية فى الحديث عامة تشمل ولاية الملك وولاية القضاء فالمرأة ليست أهلا للقضاء ، فانا لا أتصور اطلاقا استطاعة المرأة القيام بأعباء القضاء اذ القاضى ملزم بالعمل الدائب المتواصل حرصا على مصلحة الفرد والجماعة ، والمرأة لاتستطيع هذه المواصلة نظرا لما تلاقيه من ضعف فى حالتها النفسية أيام طمثها وما تعانيه من متاعب

فى أواخر شهور حملها مما يعكر مزاجها ويرهق اعصابها ويحول دونها ودون اصابة كبد الحقيقة فى قضائها .

جـ) المرأة والشهادة

الشهادة وهى اخبار الانسان بحق على غيره لغيره أمر شدد الشارع على المكلفين أن يقوموا به وألا يمتنعوا عن أدائه .. قال تعالى : « **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** » .. وقال أيضا : « **ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه** » .

فالأصل المطلوب أداء الشهادة لكن قد يجوز عدم أدائها فى بعض الحالات كحالة ما اذاكان الشاهد فى مكان بعيد عن مجلس القضاء بحيث لا يتمكن من أداء الشهادة والرجوع الى أهله فى يومه .

ونظرا لأن الشهادة خبر يحتمل الصدق والكذب وضع الفقهاء لها شروطا ترجح جانب الصدق ككون الشاهد عدلا غير متهم ، وكما اشترطوا ذلك اشترط غالبهم الذكورة فى بعض أنواع الشهادة ، ففى الشهادة على الزنا لا تجوز شهادة النساء عملا بالنصوص التى وردت بصيغة المذكرين ، قال تعالى :

« **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم** » وقال تعالى: « **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** » وقال ايضا: « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوابأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون** » .

فلفظ أربعة نص فى العدد والذكورة.. فاعتبار شهادة النساء فى الزنا مخالفة صريحة للنص وذلك لا يجوز .. على أن المرأة انما تقوم بدلا عن الرجل فى الشهادة ، قال تعالى:

« **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** » .

ففى شهادتها شبهة البدلية والحدود تدرأ بالشبهات ، قال صلى الله عليه وسلم :

« **ادرءوا الحدود بالشبهات** » .

فشهادة النساء فى الزنا غير جائزة درءا للحد المترتب عليه بشبهة البدلية .

وكما لاتجوز شهادة النساء فى الزنا : لا تجوز فى بقية الحدود كحد السرقة والشرب والقذف وفى القصاص فالذكورة شرط لابد منه فى الحدود فى القصاص وذلك استنادا الى حديث الزهرى « مضت السنة من لدن رسول الله ــ صلى الله وسلم ــ والخليفتين من بعده الا شهادةللنساء فى الحدودوالقصاص » ..أما شهادتهن على ما لا يطلع عليه الرجال ، فهى جائزة بالاتفاق بين العلماء وان اختلفوا فى العدد المجزىء ، فالحنفية يكتفون بشهادة المرأة الواحدة فى هذا الصدد مستدلين بقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« **شهادة النساء جائزة فيما لا يستطيع الرجال النظر اليه** » .

فالنساء فى الحديث جمع محلى بالألف واللام ولا معهود فيراد منه الجنس والجنس يتحقق بالفرد الواحد ، وهو المرأة الواحدة ولا اعتبار لما ذهب اليه الشافعية من أن شهادة النساء فيما لا يطلع عليه الرجال لا تجوز الا بأربع منهن بناء على أن كل امرأتين يقومان مقام رجل واحد ، لأنه لا معقول فى مقابلة النص .

ويؤيد ما ذهب اليه الحنفية أن الذكورة سقط اشتراطها فيما لا اطلاع للرجال عليه ليخف النظر ، لأن نظرالجنس الىالجنس أخف فكذا يسقط اعتبار العدد الا ان الزيادة على الواحدة أحوط لما فى الشهادة من معنى الالزام .

وأما غير ما سبق من الحقوق فلا اشتراط للذكورة فيه عند الحنفية ، فتجوز شهادة النساء فيه سواء كانت هذه الحقوق أموالا أو غير أموال كالنكاح والطلاق والعتاق والرجعة والعدة والحوالة والوقف والصلح والوكالة والهبة والاقرار والابراء والنسب ونحو ذلك فكل هذه الحقوق يقبل فيها شهادة رجلين أو رجل وامرأتين عملا بحديث الزهرى السابق ، فقد اقتصر فى مقام البيان على عدم جواز شهادة النساء فى الحدود والقصاص، والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر ، فعدم جواز شهادة النساء محصور فى الحدود والقصاص فتجوز شهادتهن فيما عداهما .

وقال الشافعى : لا تقبل شهادة النساء مع

الرجال الا فى الأموال وتوابعها لأن الأصل فى شهادة النساء عدم القبول لاختلال الضبط ولهذا لا تقبل فى الحدود ولا تقبل شهادة الأربع منهن وحدهن ، الا أنها قبلت فى الأموال ضرورة احياء لحقوق العباد لكثرة وقوعها وقلة خطرها فلا يلحق بها ما هو أعظم خطرا وأقل وقوعا منها كالنكاح والطلاق والرجعة .

وعندى أن ما ذهب اليه الحنفية أولى بالقبول ، فالمرأة أهل للشهادة فى غير الحدود والقصاص ، لأن الأصل فى شهادة النساء القبول لوجود ماتبتنى عليه الشهادة وهو المشاهدة والضبط والأداء ، اذ بالمشاهدة يحصل العلم للشاهد وبالضبط يبقى هذا العلم ، وبالادلاء يحصل العلم للقاضى ولا أدل على ان الأصل فى شهادة النساء القبول ، من قبول أخبار النساء بأحاديث الأحكام .. وأما اختلال الضبط فعلى فرض التسليم به ينجبر بضم امرأة أخرى وعدم الاكتفاء بواحدة .. واماعدم قبول الأربع نسوةوحدهن فى الشهادة فالقياس جواز ذلك ، لكن ترك العمل بالقياس حتى لا يكثر خروج النساء ، وعلى ذلك فلا يبقى فى شهادة المرأة الا شبهة البدلية لأن شهادتها بدل عن الرجل كما أسلفنا ، فلا تقبل شهادتها فيما يندرىء بالشبهة وتقبل فيما يثبت بها ، وهذه الحقوق المذكورة من نكاح وغيره مما يثبت بها، أما النكاح والطلاق فظاهر لثبوتهما مع الهزل ، قال — صلى الله عليه وسلم — :

« ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق » .

وأما الوكالة والايصاء وأضرابهما فانه يجرى فيها كتاب القاضى الى القاضى والشهادة على الشهادة وذلك أمارة ثبوتها مع الشبهة .

وعلى فرض التسليم بمعقول الشافعية لا اعتبار له لأنه يعارض ما ثبت باشارة نص حديث الزهرى من جواز شهادة النساء فى غير الحدود والقصاص اذ لا معقول فى مقابلة النص ، فشهادة النساء فى الحقوق آنفة الذكر أمر جائز ، فاننا نرى كثيرا من النساء يضبطن أكثر من ضبط الرجال لاجتماع خاطرهن أكثر من الرجال لانشغال بالهم بالمعاش وانعدام ذلك فى جنس النساء .

« بقية » المعجزة الكبرى فى سورة الروم

مصير النزاع بين الفرس والبيزنطيين ،ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام رحلة هرقل الى بيت المقدس حيث أعاد فى ٢١ من مارس عام ٦٣٠ وسط مظاهر الفرح ، اقامةالصليب المقدس فى موضعه ، كما أعاد كل ما سلبه الفرس من مقتنيات الكنيسة اليها ، ووزع المنح والهبات على الكنائس وأهل بيت المقدس .

وثمة حدث آخر تشير اليه هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرح المؤمنين هوانتصارهم على مشركى قريش فى غزوة بدر التى وقعت فى يوم الجمعة الموافق ١٧ من رمضان من العام الثانى الهجرى ، ٦٢٤ م . وكانت أول اصطدام جدى بين المسلمين وقريش وبداية نجاح الدعوة الاسلامية والقضاء على الاشراك . ولقد كانت غلبة الروم على الفرس والمؤمنين على كفار قريش وفرحتهم مصداقا لقوله تعالى :

« وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون » .

سبحانك ربى ، قلت وقولك الحق ، تقضى فى خلقك بما تشاء ، وتحكم بما تريد ، وتنصر أهل الكتاب على الكافرين ، فقد التقى الروم بالفرس ، والتقى النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — بمشركى مكة ، فنصرت الروم على مشركى العجم ، والنبى على مشركى قريش ، ففرح المؤمنون بنصرك اياهم ونصر أهل الكتاب .

وهنا يتجلى اعجاز القرآن حين كشف انتصار الروم بعد هزيمتهم فى بضع سنين (وهى ما بين الثلاث الى التسع أو العشر) فتحقق لهم النصر عام ٦٢٢ ، وبهذا يكون انتصار الروم والمسلمين قد تحقق فى الموعد الذى حدده القرآن الكريم .

وغنى عن البيان أن نزول الآيات معلنة انتصار الروم قبل حدوثه بثمانى سنوات فى وقت كانت الكوارث تتوالى على الامبراطورية البيزنطية من الفرس العتاة لم يكن من كلام البشر ، بل كان من كشف علام الغيوب ، فصدق الله العظيم وصدق رسوله الأمين .

دعوة

الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

الامر الذى لا شك فيه أن القارىء المدقق فى وعى وفى اصرار لا يلبث أن تبهره فى الميثاق جوانب اقتصادية عميقة لما يجب أن يكون عليه مجتمعنا الاسلامى من معاملات وعلاقات لا يمكن أن ننكر أنها مرت فى حلقات خطيرة من الثبات والاستقرار لصالح فئة قليلة .

والحت هذه الحلقات حتى أصبحت جامدة جمود الصخر لا سبيل لتعديلها أو تطويرها بعد أن أصبحت حقا مكتسبا وكيف ينزع الحق من بين أنياب أصحابه الذين تكالبوا على الثروات ، والارض والمصنع . وعاش الفقير على فقره لا يعرف التطور الا بقدر ما تمنحه الحياة العادية من رزق يسير واضطراد فى المعيشة لا يكاد يكون محسوسا ..

وظهرت فينا المترادفات والتسميات التى ملأت مجتمعنا نتيجة للمعاملات الاقتصادية الشاذة التى سادت وحكمت قرونا من الزمان .. وسمعنا عن الاقطاع ولمسنا الاحتكار والاستغلال ، والتحكم ، وأصبحنا أمام هذه الوصمات ونحوها حيارى أمامها دون حل أو أمل فى اصلاح أو تقويم .

وقد يقول قائل بأن مدرسة الاقتصاد الحر كانت سبيل مجتمعنا قبل الثورة حيث كانت الحوافز هى التى تدفع كل عمل وكل طاقة .

وبنظرة واحدة جامعة يتضح لنا دون حتى محاولة الشرح والاطناب ، بأن هذه السياسة الاقتصادية لم تكن سوى أداة فتاكة فى أيدى الاقوياء يتآمرون فى حماها على الفقراء استغلالا واحتكارا .

ولا أدل على هذا من أن مجتمعنا ظل قرنا من الزمان مجتمعا زراعيا ثابتا لا يعرف عن الصناعة الا بقدر ما يستورده من الدول الصناعية الاخرى .

ومن خلال كل هذا يتعين علينا أن نبحث عن المواطن المسلم أين نجده وسط هذا الصراع غير المتكافىء وكيف يتسنى له أن يجد رزقا حلالا وسط شبكة كثيفة من الاحتكار والانانية .

والمواطن المسلم هو أمام الاسلام وحدة مترابطة أمام الدين الحنيف يأخذ بعضها بأسباب بعض ، ولا خلاف فى أن عظمة الاسلام تكمن فى أخذها بيد البشرية ودفعها دفعا الى طريق النضوج والعزة والكرامة وجاءت نظرة الاسلام الى المجتمع نظرة فاحصة واعية مبنية على الواقع المدروس ومؤسسة على عاملين أولهما تلك الغرائز التى تبعث من داخل نفسه . وثانيهما ما يؤثر عليه من واقع بيئته وحياته التى يصارع فيها ، يرفع راية الكفاح ليصنع لنفسه حياة كلها مستقر ومستودع .

وبذلك نجد الاسلام - وهو دين الدنيا والآخرة - يضع أمامه الحضارة والرفاهية كهدف لكل بشر حى بحيث لا يطمع الفرد فى الجماعة ولا تطغى الجماعة على الفرد ، فوضع الاسلام وأرسى قواعد العدل والكفاية. وحدد العلاقات ورسمها وكيفها بما يعكس كل خير على الجماعة فى ظل العدل الاسلامى .

ويظل الاسلام يرسى هذه المبادىء السامية حتى تصل بالمؤمن الى حد الايمان الصادق الذى يغذى قلبه وعقله .

والاسلام يقر الملكيات والاسرة والميراث ، واعتبرها نظما أساسية فى الحياة الاجتماعية كما قدر ما فى قيام الملكية الكبيرة واستمرارها من خطر الاستغلال والاحتكار يقابله احساس الفقد - الضياع - ولنا شىء عن هذا التفاوت البين . فنجد الاسلام الحنيف يرسى قواعد المعاملات فى أكمل وأبهى صورة ، ويحرم الربا ، ويجعل الميراث وسيلة واقعة فى تفتيت الملكية ، ومن ثم يعيش المواطن المسلم وهو آمن مطمئن حيث يقول تعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا »

ويقول تعالى : **« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »** .

وحيث يقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - : **« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »**

والدين الاسلامى الحنيف أوجب على المجتمع أن ينظر الى الفقير نظرة خاصة ورعاية كلها عطف ورحمة : **« انما الصدقاء للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم »** .

فيذهب القرآن الكريم أعمق مذهب لتنظيم المجتمع تنظيما يؤسس كل ما فى معانى الانسانية من رحابة وسعة : **« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى ياتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »** .

ويدفع الاسلام الفرد وما يملك فى خدمة المجتمع ، ويغريه تارة بالتضحية فى سبيله : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** » .

ويترك القرآن المرافق لتنظمها الجماعة من هدى الكتاب وفى اطار تعاليمه فيقول : « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » .

كما قال تعالى : « **وسخر لكم ما فى السموات ومافى الارض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** »

والاسلام فى كافة محاولاته لاصلاح البشرية جاءهادفا ثائرا أولا لخلق الفرد كما ينبغى ، وثانيا لخلق مجتمع اسلامى متساند متكامل . وبذا يتحقق التوازن داخل المجتمع الاسلامى ويأمن الغنى شر الفقير ، ويبيت الفقير ويصبح وكله أمل فى أن يعمل وأن يطور نفسه وينميها فى بيئة صالحة متفتحة فتسير المادة والروح جنبا الى جنب والكل مؤمن بأن الملك لله وحده « **لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير** » .

فالاسلام اذن يقف دائما فى الوسط ، فلم تكن نظرته للاقتصاد نظرة عاجلة خفيفة ولا هى بالنظرة الحاقدة ، وانما هى من صنع علام الغيوب ، تأتى فتعجز عقولنا عن ادراك كنه هذا التنظيم الاقتصادى الذى اذا سرنا فى هديه لاصبح مجتمعنا مجتمعا نموذجيا حيا راقيا : « **ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

ونحن من خلال هذه اللمحة العابرة التى صورنا فيها المجتمع الاسلامى بصورته الزاهية .. يمكننا أن نتلمس ما جاء فى الميثاق الوطنى من ثورة ومحاولات جدية فى الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى فيدفع المجتمع بذلك الى حد يكفل الحياة الحرة الكريمة لكل مواطن ، ويحث الميثاق فى الباب الخامس ، فيحدد مكان المواطن فى صورة واضحة محددة ، لابد وأن تتوفر للمواطن ضمانات ثلاثة :

- أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره .
- أن تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية .
- أن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته

وبهذه الضمانات يملك المواطن حياته وحريته وبهذه الضمانات يحس الفرد أنه ذو كيان وفاعلية فى المجتمع .

وفى الباب السادس : « **ان التخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى يحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية . ان الضمان لحسن استغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ضمان لتوزيع الخدمات الاساسية باستمرار ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ، ومد هذه الخدمات الى المناطق التى افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذى فرضته أنانية الطبقات المستحكمة المستعلية على الشعب المناضل** » .

فالميثاق هنا أوجد ووضع وأوضح أن هناك طبقات تحكمت واستغلت واستعلت . وأصبح الفقير البائس بينها ضائعا لا حق له ولا حياة ولا حرية ، واذا كان هذا الفقير يشكل السواد الاعظم من الشعب وكانت الطبقة المستحكمة المحتكرة هى شريحة صغيرة من المجتمع . ولابد أن نصل سويا ومباشرة الى نتيجة حتمية وهى أن السواد الاعظم من مجتمعنا يحس بالضياع والفرقة وسط أمواج متلاطمة من الانانية والاثرة ..

ونسلم أيضا بانه لا وجه لان نرى المؤمن القوى من خلال كل هذا الصراع .

ونسلم أيضا بأن الاسلام فى مثل هذه المجتمعات لا يجد التربية الصالحة ، ولا الاذن الصاغية ، فالشعب مغلوب على أمره وهمه فى أن يجد قوت يومه فلا يجده ، ولا يلبث الصراع أن يطرق باب هذه الطبقات فيختل التوازن فى المجتمع ..

ولا يلبث أن يجىء الميثاق مصورا هذه الحالة أعظم تصوير فى بابه الخامس : ! ان ملايين الفلاحين حتى من ملاك الارض الصغار طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الارض المتحكمين فى مصيرها . ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم أنفسهم داخل تعاونيات تمكنهم من الصمود وعلى اسماع صوتهم للاجهزة الحاكمة ، ومن هنا بادرت الثورة الى التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الزراعة الذى لا يؤمن بتأميم الارض وتحويلها الى مجال الملكية العامة وانما هو يؤمن استنادا الى الدراسة والى التجربة أن الملكية الفردية للارض فى حدود لا تسمح بالاقطاع علاوة على أن تطوير عملية الانتاج فى الريف سوف تساعد فى نفس الوقت على ايجاد القوى البشرية المنظمة التى تستطيع بدورها تغيير شكل الحياة فيه تغييرا ثوريا حاسما

ويقول الميثاق : « **ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة** » .

فوصول القرية الى المستوى الحضارى ليس ضرورة عدل فقط وانما هى دعم للمواطن المسلم فى أن يعيش حياته وأن يجد مكانه وسط تربة صالحة تبعث فيه الامل والحنين ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

وفى مجال الصناعة نص الميثاق أن مجالات العمل الصناعى فى مصر ليس لها حدود ، وأن مصادر الثروة الطبيعية والمعدنية كلها ملك للدولة لتعود هى الاخرى بكامل خيراتها على الفرد وحياته ومستقبله وأمته « **ولله ملك السموات والارض وما فيهن ، وهو على كل شىء قدير** » .

ولم يترك الميثاق خلق تكافؤ الفرصة بين المواطنين فنص فى بابه السابع : « **انها التعبير عن الحرية الاجتماعية التى يمكن تحديدها فى حقوق أساسية لكل مواطن ويمكن أن تبلور فيما يلى :**

- **حق المواطن فى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة تباع وتشترى وانما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ، ولابد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن وفى كل ركن من الوطن فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة .**
- **حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه ، ان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها .**
- **حق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده ومع العلم الذى يحصل عليه . ان العمل فضلا عن أهميته الاقتصادية فى حياة الانسان تأكيد للوجود الانسانى ذاته .**
- **أن التأمينات ضد الشيخوخة وضد المرض لابد من توسيع نطاقها بحيث تصبح مظلة واقية للذين أدوا**

البقية ص ١١٠

من إعجاز القرآن

فواتح السور القرآنية

الدكتور حفني محمد شرف

جمع الله – سبحانه وتعالى – فى كتابه العزيز مائة وأربع عشرة سورة ، افتتح بعضها بما يفيد تحميده وتنزيهه وتسبيحه والثناء عليه ، والبعض الآخر افتتح بحروف التهجى ، والنوع الأخير فى تسع وعشرين سورة وهى : الم ، المص ، المر ، كهيعص ، طه طس ، طسم ، الحواميم كلها ، حم عسق، ق، ن ، ص .

وقد جمعت هذه السور من حروف التهجى أربعة عشر حرفا من ثمانية وعشرين ، ومن هذه الفواتح ما ابتدىء بحرف ومنها ماابتدىء بحرفين ، أو بثلاثة أو بأربعة ، أو بخمسة .

وسأتكلم عن الفواتح كلها مبتدئا بالمعربة (أى المبتدئة بكلمات) ثم أعقبها بالكلام عن المعجمة (وهى المبتدئة بالحروف) .

الفواتح المعربة

الفواتح المعربة خمس وثمانون فاتحة ، منقسمة أيضا خمسة أقسام :

١ – قسم مفتتح بالخبر .

٢ – قسم مفتتح بالاستخبار .

٣ – قسم مفتتح بالقسم .

٤ – قسم مفتتح بالأمر .

٥ – قسم مفتتح بالشرط .

فالمفتتح بالخبر خمسون سورة ، منها ماهو مفتتح بالتحميد وهو خمس سور : الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر .

ومنها ما هو مفتتح بالتسبيح ، وهو خمس سور أيضا وهى : الحديد ، الحشر ، الصف ، التغابن ، الجمعة .

ومنها ما هو مفتتح بنداء الأمة ، وهو خمس سور هى : النساء ، المائدة ، الحج ،الحجرات الممتحنة .

ومنها ما هو مفتتح بنداء الرسول – عليه الصلاة والسلام – وهو خمس سور هى : الأحزاب ، الطلاق ، التحريم ، المزمل ، المدثر .

ومنها ما افتتح بالأسماء مجردة أو مجرورة وهو أربع عشرة سورة هى : التوبة ، النور ، الزمر ، محمد – صلى الله عليه وسلم – الفتح، الرحمن ، الحاقة ، نوح – عليه السلام – ، المطففين ، القدر ، القارعة ، الهمزة ، الكوثر . قريش .

ومنها ما افتتح بالفعل ماضيا كان أو مضارعا .

فالمفتتحات بالماضى اثنتا عشرة سورة وهى: المؤمنون ، المجادلة ، النحل ، الاسراء . الأنبياء ، الفرقان ، القمر . الملك ، المعارج ، عبس وتولى ، التكاثر ، المسد .

والمفتتحات بالفعل المضارع موجبا أو منفيا أربع سور هى : آلأنفال ، القيامة ، المشركين، البلد ٠

والمفتتحات بالاستخبار منها ما افتتح بحرف الاستفهام ، وهو خمس سور هى : الانسان، الغاشية ، الشرح ، الفيل ، الماعون ٠

ومنها مالفتتح بحرف الجر ، وهو سورة واحدة هى : إلنبأ ٠

والمفتتحات بالقسم خمس عشرة سورة وهى على خمسة أقسام :

١ ـ قسم أقسم فيه ـ سبحانه ـ بالملائكة وهو سورة واحدة هى : الصافات ٠

٢ ـ قسم أقسم فيه بالأفلاك ، وهو سورتان هما : البروج ، الطارق ٠

٣ ـ قسم أقسم فيه بلوازم الأفلاك وهو ست سور هى : النجم ، الفجر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، العصر ٠

٤ ـ قسم أقسم فيه بالعناصر وهو قسمان:

أ) قسم أقسم فيه ـ سبحانه ٠ بالهواء وهو سورتان هما : المرسلات الذاريات ٠

ب) قسم أقسم فيه بالتربة ، وهو سورة واحدة هى : الطور٠

والحكمة فى ذكر هذين العنصرين أن جميع المولدات ـ أعنى الحيوانات ، والنباتات ،

والجمادات ـ لا تخرج عن لطيف وكثيف ، فكثافة الكثيف من التراب ، ولطافة اللطيف من الهواء ، فكان ذكر هذين العنصرين مستلزما ذكر كل لطيف وكثيف ٠

ولأن طبيعة الهواء حارة رطبة ، وطبيعة التراب باردة يابسة ، والحرارة والرطوبة طبع الحياة والبرد واليبس طبيعة الموت ، فكان ذكر هذين العنصرين يتضمن ذكر الحياة والموت اللذين لا يعرى الموجود عن أحدهما ٠

والمقسم فيه بالمولدات ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم أقسم فيه بالنبات ، وهو سورة واحدة هى : التين ٠

٢ ـ قسم أقسم فيه ـ سبحانه ـ بالجماد وهو سورة واحدة هى : الطور ٠

٣ ـ قسم أقسم فيه بالحيوان ، وهو صنفان :

أ) صنف أقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه بالحيوان الناطق ، وهو سورة واحدة هى : آلنازعات ٠

ب) صنف أقسم فيه بالحيوان البهيم وهو سورة واحدة أيضا وهى : العاديات ٠

والمفتتحات بالشرط سبع هى : التكوير ، الانفطار ، الانشقاق ـ وقد ولى الشرط فيها اسم ـ الواقعة ، المنافقون ، الزلزلة ، النصر وقد ولى الشرط فيها فعل ٠

والمفتتحات بالامر سبع سور هى : الجن ، الكافرون ، الاخلاص ، الفلق ، الناس ٠

ـ وقد اشتق الامر فيها من القول ـ الأعلى العلق ، وقد اشتق الأمر فيهما من غير القول، اذ الأولى مشتقة من التسبيح ، والثانية مشتقة من القراءة ٠

الفواتح المعجمة

الفواتح المعجمة فى القرآن تسع وعشرون فاتحة منقسمة خمسة أقسام بحسب وقوعها، فانها جاءت مكونة من حرف ـ على ترتيب العدد الطبيعى ـ الى خمسة أحرف ٠

فالمفردات منها ثلاث سور، وأعنى بالمفردات كل فاتحة مكونة من حرف واحد وهى :

ص ، ق ، ن ٠

والثنائيات : تسع سور وهى : طه ، طس ، يس ، والحواميم ٠٠ سوى الشورى ٠

والثلاثيات : ثلاث عشرة سورة وهى ثلاثة أضرب ٠

١ ـ ضرب افتتح بـ ـ ألم ، وهو ست سور البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ٠

٢ ـ ضرب افتتح بـ « الر » وهو خمس سور وهى : يونس ، هود ، يوسف ابراهيم ، الحجر ٠

٣ ـ ضرب افتتح بـ « طسم » وهو سورتان هما : الشعراء ، القصص .

والرباعيات سورتان وهما : « المص » الأعراف . و « المر » الرعد .

والخماسيات سورتان وهما : كهيعص ، « حم عسق » .

معنى الفواتح المعجمة

تكلمت فيما مضى عن عدد السور القرآنية معربة ومعجمة وأقسام كل نوع من هذه الأقسام ، وسأتكلم فيما يأتى عن معانى الفواتح المعجمة :

اتجه العلماء الى تفسير الفواتح المعجمة ومعرفة معناها، وسلكوا فى تفسيرها طريقين:

الطريق الأول : التزم أصحابه الصمت ، ووكلوا علم معناها الى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأنه مستور استأثر الله به معتمدين فى ذلك على قول أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ **« لله فى كل كتاب سر وسره فى القرآن أوائل السور »** .

(مفاتيح الغيب ١ : ١٥٤ والجامع لأحكام القرآن ١ : ١٥٤) .

وقول على كرم الله وجهه : **« ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى »** .

وقول الشعبى عندما سئل عن هذه الفواتح فقال :

((هى سر الله فلا تطلبوه)) ، وقوله : ((انها من المتشابه نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله ـ عز وجل ـ)) .

« البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١ : ١٧٣) .

وبهذا القول أخذ أبو بكر الأنبارى «الجامع لأحكام القرآن ١١ : ١٥٤ » .

ولكن المتكلمين لم يعجبهم هذا القول وأنكروه على أصحابه وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله ما لا يكون مفهوما للخلق ، وقد قال الله تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» وقال « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)) ، وقال : ((العلمه الذين يستنبطونه منهم))، وقال : ((هدى للناس » ، وقال : و « هدى للمتقين » ، وقال: «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا » .

ولا يمكن تدبر القرآن ولا الاستنباط منه ولا الهداية به ولا التصديق بما جاء فيه، والسمع والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه الا اذا فهم.

كما أن من المعقول والحقيقة التى لا شك فيها أن القرآن لو ورد فيه ما لا يفهم لكان عبثا ، لأن المقصود من الكلام الافهام ، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به سفها ، وذلك لا يليق بكلام الحكيم ، كما أن القرآن وقع التحدى به للعرب ، والعرب عجزت فعلا عن الاتيان بمثله ، ولا يمكن التحدى بشىء غير مفهوم .

الطريق الثانى : ان لهذه الفواتح معان ويجب التأويل للوصول اليها ، وأصحاب هذا الطريق اختلفوا اختلافا كبيرا ، ووصلت أقوالهم الى أكثر من عشرين رأيا سنتكلم عن أشهرها .

((انها اسماء للسور القرآنية))

ولهذا القول مال أكثر المتكلمين والخليل وسيبويه واستدلوا على ذلك بأن العرب سمت بهذه الحروف فسموا بـ « ل » والد الحارث ابن لام الطائى ، وسموا النقد « عين » ، وقالوا : جبل قاف ، وسموا الحوت « نونا »، وبهذا القول أخذ ريد بن أسلم وابن قتيبة الذى يقول : فان كانت أسماء للسور فهى أعلام تدل على ماتدل عليه الأسماء من أعيان الاشياء ويفرق بينها ، فاذا قال القائل : « قرأت المص » أو قرأت « ص » أو قرأت « ن » دل بذلك على ما قال ، كما يقول : لقيت محمداً وكلمت عبد الله ، فهى تدل بالاسمين على العينين ، وان كان قد يقع بعضها فى وفاق مثل « حم » و « آلم » لعدة سور فان الفصل يقع بأن تقول : «حم» السجدة و «الم» البقرة ، كما يقع الوفاق فى الأسماء فيفرق

البقية ص ١٠٥

القرآن والعلم الحديث ٦

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .

الخطاب فى خصوصه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكنه فى عمومه خطاب لسائر النوع الانسانى باعتبار أن الرسول فرد من أفراد البشر الا ماأكرم الله به رسله وأنبياءه من أسرار الوحى والمعجزات وما الى ذلك . فمصدر علم البشر جميعا من عند الله ابتداء بثه فى نظام خليقته . سمائها وأرضها ثم علمه للناس من طريق المشاهدة والتفكير ويؤيد ذلك قول الله تعالى : ((**الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**)) . وقوله : ((**وعلم آدم الأسماء كلها**)) .

وللاسماء مسميات طبعا ولا تعرف المسميات ولا تعلم الا بالأسماء – وبالالفاظ تتوضح معانى الكلمات ومن ثم معانى الكائنات كلها . ومدار ذلك ومعتمده على النظر والتفكر وقبل أن تؤلف الكتب ويعلم المعلمون .. فماذا كان ؟؟!

كان علم الله القديم الأزلى الشائع فى أسماء الأشياء ومسمياتها مما سما أو دنى فكل عقل متقلن من لدن مبدع الكائنات موضوع معقولاته . كما أعطى الفكر ليفكر به وكل خبرة علمية . أو نظرية فلسفية يتلقاها الفيلسوف أو العالم من بداهة الوجود وأولوياته وما بين هذه وتلك من نظم وقوانين الاهية .

وخذ لذلك مثلا الحساب والهندسة والرياضة وعلوم الطبيعة والفلك كلها تلقاها الانسان من أين ؟!

تلقاها ببديهته وتفكيره ونظره فى الأوضاع الوجودية ونسبها وعلائقها وقد ارتأى فيثاغورث الفيلسوف القديم ان العدد أصل الكائنات من الوتر وهو المبدع الأول الواحد الأحد والشفع وهو أول كائن ظهر فى الوجود. ومن رأيه انه العقل وهكذا .

ومن رأى أفلاطون ان العالم المادى مجرد ظلال للعالم الروحى أو الالهى واجمالا فان سائر المعارف والعلوم مأخوذة مبدئيا مما يبدو فى الكيان الطبيعى من ابداع وتنظيم وتقنين واقتدار . وكلها أمور تبعث على البحث عن الحقيقة . ومن ثم تبعث على التعرف لواجب الوجود ومبدع الكائنات ذلك ((**الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**)).

ولهذا وذاك جعل الله العقل الانسانى مستعدا بفطرته لتقبل الوحى واستيعاب قضايا العلم فى وقت واحد . وقد احتفظ العقل لنفسه بعمليات المنطق من القياس والاستقراء والاستنتاج وغير ذلك . جريا وراء الحقيقة . وذلك هوموضوع الفلسفة وأما العلم فموضوعه علائق الكائنات واخواصها وخصائصها دون البحث فى حقائقها ومهاياها وعللها فان ذلك ليس من موضوع العلم .

وفى البدء كان الله ولا شيء – لا فكر ولا علوم ولا معلومات – بل كان الله ذاتا وصفاتا وحسب. وذلك منذ الأزل الى الأبد وكان من أخص صفاته سبحانه الحياة ثم العلم ثم القدرة والارادة وهكذا وكان كل ذلك كنزا مخفيا فى غيوب الأزل وكان من الحق

والصواب ومن اللازم العقلى ايضا ان نعرف تلك الحقيقة لا سيما وان المجهول كالمعدوم تماما . والحى العالم القادر المريد لا يمكن أن يظل ظاهرا بذاته فلا بد أن يكـون ظاهرا بصفاته وخصائص تلك الصفات . وفاعليتها ايضا أى لا بد أن تظهر فاعلية تلك الصفات الفعالة من حيز القوة الخفائية الى مجـال القوة الفاعلية . والا فالذى لا يفعل لايوجد . وذلك هو الفرق الوحيد بين الوجـودية والعدمية. والاله الحق يجب أن يكون موجودا وجودا ذاتيا من ناحية وفاعليا من ناحية اخرى . ويجب أن تكون فاعليته تلقائية من لدنه . دون مؤثر خارجى .

ثم ان وجود الحياة يقتضى ضرورة وجود الحى ويدل عليه . ووجود العلم يستلزم وجود المعلوم ووجود العالم فى وقت واحد . ثم وجود الارادة يلزم عنه وجود المراد والمريد ايضا والقدرة تقتضى وجود المقدور عليـه وهكذا . وكلها صفات يستلزم وجودهـا وبروزها من عالم القوة الى عالم الفعل وجود محيط مطاوع تتجلى فيه فاعليتها المنتجة بالضرورة وتكون النتيجة اللازمة عن كل ذلك وجود الطاقة الأولية وبعبارة أخرى وجـود الطاقة النووية الذرية . وبالتالى وجـود العناصر وبالثالث وجود هذا العالم الطبيعى المشهود للعقل وللحس معا .

ويؤسس العلم ويؤثله ما يبدو فى الكائنات بين سماواتها وأراضيها وصـورها المتعددة وما يظهر خلالها جميعـا من طاقة نووية واشعاعية وكهربيـة ومغنطيسية .. الخ . ما بين ظاهرة وخفية. . ومن سرعة وتقدير مقنن مما يكون تدريجيا الفلسفة من طريق الفكر والعلم من طريق الحس والمشاهدة . والله من وراء كل ذلك محيط وهو بكل شىء عليم . وهوالذى يقول فى صدد ذلك : « **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيهـا معايش قليلا ما تذكرون** » .

والعلم وسيلة ضرورية من وسائل المعرفة انه المدخل الى المعرفةالكاملة الجامعة لتضافر الدين والفلسفة والعلم فى سبيل الكشف عن الحقيقة . والانتفاع بمواجيد القلب ومعطيات العقل والحس .

وللعلم من كل ذلك التجربة والخبـرة الحسية فقط . فكل ما غاب عن الخبـرة الحسية مما يقع وراء ظواهر الكائنات فذلك ليس من شأن العلم ولكنه من شأن الفلسفة والدين . والعلم وان كان من أقوى أسباب الرفاهية للبشر ومن أثبت دعائم تقدمهم فانه من الممكن أن يكون الأداة الهائلة المؤدية لنكبات الانسانية وارزائها فى مجموعها اذا انحـرف عن المقصـد النبيل للدين والفلسـفة الصحيحيين .

والمال فى عرف سواد الناس من أعظـم الخيور على الأرض وهم يعلمون أيضـا انه من أقوى أسباب الشرور أن أسيء استعماله فاذا كان هذا كذلك كان العلم فى هذا الباب اقوى لأن المال يتم تحصيله ونفعه بالعـلم نفسه . ويقول فى هذا المعنى جان جاك روسو: « ان العلم من اكبر المعاول الهدامة لنمـاء الانسانية الا اذا صلحت أغراضه وأهدافه » وناهيك بتأثير الكشوف العلمية الحديثة اذا قصـد باستعمالهـا الشر كاثارة الحـروب واستعباد الشعوب بل انه يمكن للعلم بالوسائل العلمية ابادة الجنس البشرى من على وجه الأرض فى يوم واحد أو ليلة واحدة وعليـه المدار أيضا فى تقدم المدنية وحفظ كيـان الانسانية وتجنيبها عوامل الشقاء .

ولهذا السبب نفسه يقوم أكابر العلماء فى الشرق وفى الغرب بالدعوة الى السـلام واجتناب ويلات الحروب التى معناها ويلات العلم . معتبرين أن ذلك من أول واجباتهـم العلمية نحو الانسان والانسانية . ويدعـون ايضا الى استعمال قوى العلم فى منافع الناس وفيما يزيد من سعادتهم ورفاهيتهم .

ولتلك الأسباب كلهـا جعـل القـرآن ذلك الهدف هو الهدف الأول من العلم ومن التعلم وأسمى العلم المستقيم بالحكمة وذلك منذ ما يقرب من عشرين قرنا ـ وقبل تقدم العلم الحديث وقبل نضوجه . بين ذلك مرارا وتكرارا فيما أنزل من كتب وما تحويه تلك الكتب من علم ومعرفة والله فى صدد ذلك يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . ويقول سبحانه وتعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس

من الظلمات الى النور - وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »

ويقول الاستاذ وليم جيمس فى وصف حال العلم على التحقيق « ليس علمنا هذا الا نقطة . ولكن جهلنا بحر ذاخر . والأمر الوحيد الذى يمكن أن يقال فى شىء من التأكيد هو ان عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم من الأسرار أوسع منه وهو من نوع آخر لم يدرك العلم خواصه المكونة له الى اليوم . لأنه عالم خفى غيبى - ثم يقول الاستاذ الفيلسوف أوجست كنت : « ان العلم الحقيقى لا يؤدى الى القول بالمادية أو الالحاد لأنه لا ينكر وجود النفس ولا وجود الله . وان كان يجهلهما بسبب محدودية اسلوبه » . فقولنا ان القرآن من قبل تطور العلم وترقيه جعل الهدف العلمى الأول اسعاد الجنس البشرى وتكوينه على المنهج الحيوى الصحيح قول حق . وهذا امر قد دلل عليه العلم والوحى معا كما سيتضح وليس فى الاعتقاد بالوحى ما ينافى العلم قط وخصوصا فى عصرنا الحاضر. عصر الأسرار العلمية العصر الذى كثرت فيه الأبحاث النفسية . وقد اثبت علم النفس الحديث ان فى الوجود كائنات حية غير الانسان وهى مجردة عن المادة ولها عقول أرقى من عقولنا ومدارك اسمى من مداركنا وقد قرر فريق من العلماء ان هذه القوى الخفية أرواح الموتى .

وحكم فريق آخر بأنها كائنات مجردة عن المادة وانها قد تتصل بالانسان ووجودها فى الكون وجود لا تدركه حواسنا أبدا .

وهل أدركت الحواس ما هو أقرب اليها من الكائنات الحية كالاشعاعات الخفية والكهرباء والمغناطيس وكنه الذرة وأسرارها وغير ذلك !!؟

ونحن لكى نؤكد الصلة بين العلم والدين والعقل والوحى جميعا وبعبارة أخرى بين الكتب المنزلة كالقرآن سنشرع باذن الله فى تطبيق آيات الكون على الكتاب العزيز « القرآن » من طريق الاجمال أولا - ثم من طريق التفصيل الوجيز ثانيا ليتبين للناس أن مصدر هذا وذاك هو الحق الذى انزل اليهم من ربهم . والله المستعان .

« بقية » المجتمع الاسلامى

فرد حينئذ متخذا من تحرير ذاتيته وتأكيد شخصيته وتقويم وجوده طريقا لاسعاد أمته والنهوض بمجتمعه ، فلا يعيش لنفسه الا بمقدار ما يكون منها لغيره .

واصدق ما يصور هذا المعنى قول بعض فلاسفة الاجتماع :

« اذا لم تكن لنفسك فلمن تكون ؟ ..ولكن .. اذا كنت لنفسك فقط فلم تكون ؟ » .

غير أننا نلاحظ ان النتيجة الحتمية للظاهرة المتقدمة تتكون من أمرين :

الأمر الأول : ان يجىء النظام الاشتراكى فى المجتمع كفيض من ينابيع النفوس المزودة بأسمى المعانى وأرفع القيم ، وأن تصير الاشتراكية بطابعها الانسانى العام طبعا وعادة ، بل تصير خلقا وسجية ملازمة وديدنا لا يتخلف .

الأمر الثانى : ان تتحقق وحدة المجتمع التى تعكس هذا النزوع الاشتراكى أو ينعكس عليها ، بحيث يشعر كل فرد فيه أن ما يمتلك من أموال أو ثروات أو مواهب ليس من حقه هو وحده ، وانما هو خليفة الله فيه . قد استخلفه عليه وجعل من نفسه طريقا لغيره ، ومن نمو ذاتيته وتحقيق شخصيته مادة حية فى بناء الآخرين وتحقيق السعادة والخير لهم .

ويؤدى بنا هذا وذاك الى نوع من الجماعية تتمثل فى تفكيرنا وفى سلوكنا وفى نمط حياتنا يمكن أن يلتقى الى حد بعيد مع ما نطلق عليه الآن اسم « الاتحاد الاشتراكى » وتاريخ الاسلام حافل بمختلف المظاهر لهذا النوع من الاشتراكية النابعة من القيم الروحية والصادرة عن معان كريمة فى نفوس أبية رباها الاسلام التربية القويمة ونشأها النشأة الخيرة بما سن من تشريعات اعتبرت كسياج واق لهذه المعانى ولما يترتب عليها من آثار ، من أن تذهب بها الاهواء أو تعصف بها الانواء .

وسنتحدث عن أهم هذه المظاهر فى مقالنا الآتى ان شاء الله .

والله ولى التوفيق .

العالم الإسلامى

فى معركته الكبرى

الأستاذ أنور الجندى

واجه « العالم الاسلامى » المعركة مع الغرب منذ تسعة قرون فى ثلاث مراحل :

● **المرحلة الأولى :** عن طريق الحروب الصليبية فى حملات متصلة ، فقد خرجت جحافل الفرسان الأوربيين فى تسع حملات اتجهت الى العالم الاسلامى ميممة شواطىء تركيا والشام وفلسطين ومصر والمغرب منذ عام ١٠٩٨ حتى عام ١٢٥١ ثم كانت حملة المغرب عام ١٢٧١ .

● **المرحلة الثانية :** تمت على أثر قيام الدولة العثمانية فى تركيا ، واستهدفت القضاء على الاسلام فى الأندلس واجلاء العرب المسلمين منه منذ عام ١٤٩٠ حتى عام ١٦١٠ حيث حققت اجلاء العرب المسلمين عن اسبانيا بصفة نهائية .

● **المرحلة الثالثة :** بالقضاء على الدولة العثمانية وقد بدات المعركة على أثر هزيمة الأتراك فى معركة (سان جوتارد) فى حصار فينا عام ١٦٦٨ وهى المعركة الكبرى التى امتدت حتى قضت على الامبراطورية العثمانية عام ١٩١٧ .

وقد كانت المراحل الثلاث للمعركة الكبرى بين العالم الاسلامى والغرب تمثل العمل الكبير الذى استهدف السيطرة على العالم الاسلامى والقضاء عليه كقوة فعالة لها وزنها فى المجال الدولى .

هذا بينما كان للعالم الاسلامى دوره فى القضاء على حملة التتار التى امتدت فى مدى مائة وثلاث وسبعين عاما (١٢١٤ – ١٣٨٧) وكادت أن تزحف الى أوربا لولا مقاومة المسلمين وهزيمتهم لها على حدود مصر .

وفى خلال هذه المرحلة الأخيرة كانت أوربا قد زحفت فى صورة الكشف والتجارة الى شواطىء العالم الاسلامى .

وسبقت البرتغال دول أوربا الى المحيط الهندى . وأرست مراكبها بشواطىء الهند فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، وتلتها هولندا فاستقرت فى الخليج الفارسى ومصائد اللؤلؤ . ثم اقتحمت فرنسا هذه الشواطىء بعد لأى فاستقرت فى الهند الى أن زاحمتها انجلترا واستطاعت بعد قليل اجلاءها . وبدأت الانجليز الحرب مع الهند سنة ١٧٥٦ وفى عام ١٨٥٨ تحولت شركة الهند الشرقية التى أسستها انجلترا فى الهند الى حكومة . وقبل هذا بقليل فى عام ١٧٩٨ تحرك نابليون من شواطىء فرنسا بحوض البحر الأبيض ميمما «الاسكندرية» تملأ نفسه مطامع ضخمة وآمال واسعة فى أن يقيم امبراطورية فى الشرق . وظهر الانجليز عسكريا وسياسيا فى البحر الأحمر عام ١٧٩٢ وفى عام ١٨٢٦ احتلوا عدن ، وفى عام ١٨٣٠ وضعت فرنسا يدها على الجزائر .

وتوالت الأحداث عام ١٨٧٠ : فتحت قناة السويس للملاحة الدولية وبدأ الصراع بين فرنسا وبريطانيا يأخذ صورة جديدة . وفى نفس العام وقف « غلادستون » فى البرلمان الانجليزى وهاجم المسلمين .

وكانت الدولة العثمانية هى النقطة التى ركز عليها الاستعمار الغربى ، باعتبارها القوة المسيطرة فى العالم الاسلامى . فقد ظلت تركيا تتوسع فى أوربا الى عام ١٦٦٨ فى عهد السلطان محمد الرابع عندما هزمت أمام أوربا فى معركة (سان جوتارد) بعد حصار (فينا) وارتداد المسلمين عنها . ثم توالى انتزاع الغرب لأقطاره التابعة للامبراطورية ، فسقطت المجر وسلمت بلغراد ، والى عام ١٦٨٥ استعاد البنادقة كريت والمورة . وأخذت روسيا أندروف . وسيطرت على الملاحة فى البحر الأسود بعد سنوات فى أوائل القرن التاسع عشر .

وكان التوسع التركى فى أوربا قد بدأ عام ١٣٦٦ م وامتد حتى عام ١٥٢٢ عندما بلغ (بلغراد) فى نفس الوقت الذى كانت اسبانيا تشن حملتها على المسلمين بالأندلس . وقد بدات دعاية واسعة ضد الأتراك العثمانيين فى أوربا، وأخذت مسحة دينية . فلما بلغت القوات التركية أبواب فينا زاد الفزع وبلغ مداه وأرسل لويس الرابع عشر ملك فرنسا ستة آلاف جندى لمقاومة الزحف العثمانى ، وبدأت فرنسا فى نفس الوقت ضرب تونس والجزائر بالمدافع .

ومضت الدول الأوربية فى زحفها نحو مركز القيادة فى العالم الاسلامى . تطلعت روسيا الى السيطرة على البسفور ، وزحفت انجلترا وهولندا وغيرهما لبسط نفوذها عن طريق قناصلها بواسطة الامتيازات ، وأثارت الدول الأوربية فتنا وقلاقل متواصلة فى البلقان والمجر وبولندة واضطرد النفوذ الأجنبى واتصل حتى بلغ أقصى مداه وكانت تركيا العثمانية فى سنواتها الأخيرة منطقة نفوذ لكل دولة .

أما فرنسا فقد أججت الفتن فى شرق البحر الأبيض وتفاقمت الثورة حتى أدت الى المجازر العنيفة التى انتهت بتوقيع المعاهدة الفرنسية العثمانية عام ١٥٣٥ وبها اعترفت تركيا بحق فرنسا فى حماية النصارى اللاتينيين وحماية المنشئات الكاثوليكية والأماكن المقدسة كذلك وتشمل حماية الروم واليونان والكلدان والأرمن والموارنة .

ولم يلبث قيصر روسيا الا قليلا حتى استطاع عقد معاهدة (قيتازجة) عام ١٧٤٠ بحق حماية النصارى الأرثوذكس أى الروم غير الكاثوليك والأرمن ، ونالت روسيا بهذه المعاهدة أراضى واسعة فى شمال القدس وعملت على معارضة البابوية فى مساعيها المتواصلة لتوحيد الكنيسة الشرقية .

وتضمن مؤتمر برلين اعترافا بحقوق فرنسا التقليدية فى الشرق ، واعتبر الامبراطور غليوم نفسه بعد زيارته للقدس عام ١٨٩٧ حاميا للكاثوليك الألمان .

ومضت فرنسا وانجلترا تؤججان الصراع الطائفى عملا على ايجاد ثلمات واسعة فى جسد الدولة العثمانية فقد ساعدت فرنسا الموارنة وساعدت بريطانيا الدروز على النحو الذى أدى الى فتنة ١٨٦٠ رغبة فى زيادة التدخل وفرض السيطرة ثم توالت ثورات البلقان واليونان والهرسك ووقعت ثورة الأرمن وحوادث كريد .

وكانت هزيمة الأتراك العثمانيين عند أبواب فينا على يد سوبيسكى ملك بولندة علامة على تحطم خط المقاومة ، وتقدم الغرب فى زحفه نحو الاستيلاء على العالم الاسلامى .

● وفى الهند بدأ الزحف الأوربى كلون من الكشف الجغرافى والتجارة فقد بدأ باقامة مراكز تجارية فى الموانى أصبحت سرقات . وقد احتاجت هذه الشركات الى قوات تحمى تجارتها ، وبدأ احتلال الهند بالفرنسيين أولا فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ثم تطورت البعثات التجارية الى بعثات حربية وسارع الانجليز فاحتلوا مراكز هامة فى مدراس وبومباى وكلكتا واضطرت فرنسا تحت ضغط ظروف حروب أوربا الى التخلى لبريطانيا عن مراكزها هناك .

وبدأ الانجليز الحرب فى الهند عام ١٧٥٦ مع امبراطور دلهى المسلم . ومن ثم عمل الانجليز على اضعاف سلطان المسلمين الذين قاوموهم مقاومة ضخمة حتى قال لورد النبرو : ان العنصر الاسلامى عدو أصيل العداوة لنا وان سياستنا الحقة يجب أن تتجه الى تقريب الهنديين .

● وفى فارس ظل الصراع قائما بين النفوذين الروسى والبريطانى . وفى أوائل القرن التاسع عشر تحالفت ايران مع بريطانيا حيث عقد الشاه محالفة سياسية مع مندوب شركة الهند الشرقية تتعهد فيها الشركة بامداد فارس بالأسلحة والمال فى حالة الاعتداء عليها من جانب الأفغان أو فرنسا وذلك على ألا يعقد الشاه صلحا مع الأفغان ما لم تنزل عن مطامعها فى الهند .

وفى عام ١٨٥٦ عقدت ايران محالفة عامة مع بريطانيا تتعهد فيها بالغاء جميع الاتفاقات مع الدول المعادية لبريطانيا .

ثم تحول الموقف عند ما شهرت انجلترا الحرب على فارس عام ١٨٥٦ بعد مهاجمتها هرات (الأفغانية) والاستيلاء عليها .

ثم بدأ السباق بين انجلترا وروسيا على كسب الامتيازات فى ايران .

وأمدت الحكومة الروسية ايران بالقروض كما أمدتها بريطانيا فى مقابل حصول كل منهما على بعض الامتيازات كالدخان ورهن المكوس والبترول .

وقد ظل هذا الصراع قائما حتى حسم بالاتفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وروسيا عام ١٩٠٧ حيث اعترفت روسيا بمصالح الانجليز فى الخليج الفارسى واعترفت بريطانيا باعتبار الجزء الشمالى من ايران منطقة نفوذ لروسيا .

● وزحف البرتغال فالهولنديون والفرنسيون والانجليز الى « الجزر الأندونيسية » ، وكانت هذه المنطقة أول ما اتجه اليه الزحف الغربى على آسيا والعالم الاسلامى ،ففى نهاية القرن الخامس عشر وصل البرتغاليون الى هناك ثم تبعهم الهولنديون ثم الانجليز فالفرنسيون .

وقد انهزمت هولندا فى أوائل القرن التاسع عشر وانسحبت من المنطقة ، غير أنها عادت بعد هزيمة نابليون فى واترلو فاستعادت مستعمراتها وتم الاتفاق عام ١٨٢٤ على تسوية مع بريطانيا اقتسمتا فيه النفوذ .

● وفى العالم العربى بدأت بريطانيا سيطرتها عليه بحجة انه طريق الهند . فقد أخذت تنفذ خطتها بعد الحملة الفرنسية مباشرة بمحاولة الاستيلاء على مصر عام ١٨٠٧ (حملة فريزر) فلما تم حفر قناة السويس سنة ١٨٦٩ تأكد العمل لدعم النفوذ بالاستيلاء على أسهمها سرا بواسطة صفقة دزرائيلى المشهورة التى حققت لبريطانيا نفوذا واضحا فى هذا المجرى النهرى ثم كان احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ والاستيلاء على السودان عام ١٨٩٩ .

وقد أولت بريطانيا اهتمامها للخليج الفارسى والبحر الأحمر واستولت على سلطاته واماراته وربطتها بمعاهدات وأقامت حراسة بحرية على هذه المشيخات والامارات .

وبدأ صراع تقليدى بين فرنسا وبريطانيا على مناطق النفوذ فى العالم العربى وقاومت بريطانيا بالاشتراك مع الغرب اية قوة جديدة ناهضة ، وبالرغم من أن فرنسا وقفت فى صف محمد على وخاصمته بريطانيا ، فان أوربا كلها تجمعت للقضاء على أسطول مصر وتركيا فى « نافارين » ثم قضت الدولتان على محمد على نفسه بمؤامرتهما عليه فى الشام .

ولم تلبث بريطانيا أن زادت شقة الخلاف بين الأتراك والعرب لمصلحتها ثم مزقت وحدة العرب ثم عقدت مع فرنسا اتفاقا وديا اعترفت فيه كل منهما للأخرى بنفوذه فى مصر وتونس. وبعد الحرب العالمية الأولى وضعت يدها على العراق وفلسطين والأردن .

● أما فرنسا فقد بدأت حملتها على العالم الاسلامى بحملة نابليون ثم ركزت عملها فى منطقة المغرب العربى وبدأت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتوسعت فى تونس والجزائر . واستطاعت بعد الحرب العالمية الأولى أن تستولى على سوريا ولبنان .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى دخلتها تركيا فى صف المانيا ، فى نفس الوقت الذى آزر العرب بريطانيا وفرنسا . وكانت هزيمة ألمانيا هزيمة لتركيا ونهاية للامبراطورية العثمانية . وتقسيما لمناطق نفوذها . فلم يلبث العالم العربى كله أن سقط كله تحت النفوذ البريطانى والفرنسى ما عدا ليبيا التى احتلتها ايطاليا وجزءا من المغرب الأقصى احتلته اسبانيا . وبقيت الحجاز ونجد واليمن غير محتلة .

وهكذا أوفت مرحلة الغزو الغربى للعالم الاسلامى على أعلى درجة من درجات السيطرة. ولم يبق الا صدور « وعد بلفور » بجعل فلسطين وطنا لليهود .

وبعد .. فماذا كان موقف العالم الاسلامى من الغزو الاستعمارى الغربى الذى استمر أكثر من قرن ونصف قرن حتى أخذ صورته الكاملة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ باجراء التقسيم له عن طريق الاحتلال والانتداب والمعاهدات العسكرية وتوزيع النفوذ فى مناطقه المختلفة ؟ .

هل استسلم العالم الاسلامى لمعركة الغزو والتوسع الغربى ؟ أم واجهها بكفاح ونضال بالغ الاصرار والعزيمة فى سبيل المقاومة وهو الأعزل مقدما دمه وروحه فى ساحات الشرف والفخار ؟ .

ذلك ما ستكشف عنه دراستنا فى الحلقة القادمة .

« بقية » من اعجاز القرآن

بينها بالاضافات وأسماء الآباء والكنى (انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ٢٣١ والجامع لأحكام القرآن ١ : ١٥٥) .

انها اسماء أو بعض أسماء أو اشارة الى اسم الله تعالى :

هناك جماعة أخرى تقول ان هذه الفواتح أسماء أو بعض أسماء أو اشارة الى اسم الله تعالى لأنه قد روى عن على ـ رضى الله عنه ـ انه كان يقول : يا « كهيعص » ويا « حمعسق» اغفر لى ، وقال سعيد بن جبير قوله تعالى : ((الم)) ، حم ، ن مجموعها يكون اسم الله تعالى (مفاتيح الغيب ١ : ١٥٦) ، ولكننا على هذا الرأى لا نقدر على كيفية تركيبه فى الباقى .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : الألف من « ألم » اشارة الى أنه تعالى أحد ، أول آخر ، أزلى . واللام اشارة الى أنه « لطيف » والميم اشارة الى أنه ((ملك ، مجيد ، منان)).

وقال فى « كهيعص » انه ثناء من الله تعالى على نفسه ، فالكاف تدل على كونه كافيا ، والهاء تدل على كونه هاديا ، والعين تدل على كونه عالما ، والصاد على كونه صادقا .

وان قال غير هؤلاء ان بعضها رمز لأسماء الله وبعضها رمز لغيره، فالألف من ((الم)) من اسم الله ، واللام من اسم جبريل ـ عليه السلام ـ ، والميم من اسم نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والمعنى يكون على ذلك يكون أنزل الله الكتاب على لسان جبريل الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

يتبع وللبحث بقية .

الاتحاد قوة دونها كل قوة والإسلام يدعو إلى الاتحاد

الأستاذ محمد عطية الابراشي

كان العرب أقوياء ، يضرب بهم المثل فى الشجاعة والبطولة والمروءة والكرم ، وكانوا يعيشون فى وطن عربى واحد من المحيط الى الخليج ، ولكن الاستعمار فرق بينهم ، وجعلهم دويلات صغيرة ، وفرق بينهم ، حتى يتحكم فيهم ، متبعا طريقته فى التفرقة بين أبناء الأمة العربية الكبيرة : « فرق تسد » فتفرق العرب ، بعد أن كانوا متحدين ، فضعفوا ، واستكانوا ، وخضعوا للمستعمر عشرات السنين ،ولو تمسكوا بدينهم ــ الذى يدعو الى الاتحادوالتعاون ــ ما استطاع الأجنبى أن يحكمهم ويسيطر عليهم، ويحتل بلادهم بحجج واهية ، وأسباب مختلفة ، ويستولى على ثرواتها ، ويستغل خيراتها ، وينهب محصولاتها .

وكانت الأمة العربية أسرة واحدة ، ولغتها واحدة ، ومصالحها الاقتصادية والسياسية واحدة ، قوية البنيان ، اذا تألم منها فرد تألم له جميع الأفراد فى الأمة . وكانت ذات مدنية عريقة ، وحضارة قديمة ، وتاريخ عريق ، ولكن التنازع على الملك والعرش ، وحب الحكم والسلطان ، قد أديا الى الضعف والخلاف فاحتلها العثمانيون ثم الفرنسيون والانجليز ، وقضوا على وحدتها ، وأوجدوا بينها حدودا مصطنعة ، حتى يسهل احتلالها ، والتحكم فيها ، والسيطرة عليها .

وبعد جهاد طويل مرير ، وسجن وتعذيب وقتل للأحرار استطاع العرب بجيوشهم القوية ، وشعوبهم المؤمنة بالحرية ، أن يحرروا بلادهم ، ويعيدوا مجدهم القديم ، وعظمتهم التليدة .

وقد كانت الوحدة حلما فى نظر الاحتلال فأصبحت حقيقة بين مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن . وكان الاستعمار يعتقد أن اتحاد العرب أمر خيالى بعيد المنال ، ولكننا قد أثبتنا أن الخيال أصبح أمرا واقعيا . وأعتقد أنه سيأتى يوم ــ وما ذلك اليوم ببعيد ــ تتحد فيه جميع الشعوب العربية ، ويتكون منها شعب واحد ، وأمة واحدة ، فى وطن واحد ، هو الوطن العربى الكبير من المحيط الأطلسى الى الخليج الفارسى .

ان الاتحاد قوة دونها كل قوة ، ولكن هناك حكام يخافون على عروشهم المنهارة ، ويحاربون الوحدة والحرية ، والاستقلال والعدالة الاجتماعية ، لأنهم يعملون لأنفسهم ، وللاستعمار الذى يحميهم . ولولا الاستعمار لقضت عليهم الشعوب فى طرفة عين .

وسيأتى يوم يزول فيه الطغيان والاستعباد، وتتحرر فيه هذه الشعوب ، وتعود الى وطنها العربى الكبير المتحرر ، وتسير فيه مع شقيقاتها فى الجمهورية العربية المتحدة .

ومن أجل مصلحة العرب والأمة العربية الكبرى يجب أن ينسى الحكام مصالحهم الخاصة ، ويفكروا فى المصلحة العامة ، وهى مصلحة المجتمع العربى كله ، حتى يكون العرب جميعا كرجل واحد ، اذا تألم منه عضو تألمت له بقية الأعضاء .

قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته

اخوانا » . « ولاتنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم » أى قوتكم وصولتكم . فنحن نريد أن يحتفظ كل عربى بدينه ، ويفكر فى وطنه ، ونكون وحدة عربية شاملة تضم العرب جميعهم يقول الرسول الكريم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .** » فبالتعاون والاتحاد بين الشعوب العربية نستطيع أن نعيد مجد آبائنا وأجدادنا من العرب .

وقد أمر الاسلام بالاتحاد والابتعاد عن التنازع والخلاف والافتراق ، قال صلى الله عليه وسلم : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » . وقال : « من فرق فليس منا » . وقال : « يد الله مع الجماعة . وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » . ويد الله أى نعمته وبركته على أبناء الامة الواحدة اذا كانوا متحدين متضامنين متعاونين ، لا تفرق بينهم ولا اختلاف . وان من يشذ عن الجماعة يصير كالشاة البعيدة عن القطيع ، لا تلبث أن يفترسها الذئب . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » . وان من يدرس تاريخ الأمم يرى أن الاختلاف والتنازع وتفرق الكلمة من أسباب سقوطها . فلنتعظ بمن سبقنا .

وقال المسيح عليه السلام فى الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الثانى عشر من متى : « كل مملكة منقسمة على نفسها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة ، فان الله لن يجمع أمتنا الا على هدى » .

ومعنى هذا أن نأخذ برأى الأغلبية والأكثرية فى الأمور التى يحدث الخلاف فيها . وهذه هى الديمقراطية الاسلامية .

وقد يحدث أن يكون الانسان ثاقب الفكر بعيد النظر ، طاهر القلب ، ويرى الحق والصواب فى جانب اقلية فلا لوم عليه اذا انضم اليها ، ودافع بقوته عن رأيه ، حتى يتميز الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ .

فالشعوب العربية تدين بالوحدة ، وواجبنا نحن العرب أن نفكر فى مصلحة الوطن العربى الكبير ، وننسى أنفسنا ، حتى نكون كالبنيان القوى يشد بعضه بعضا . واجبنا أن نعمل للوحدة والاتحاد الشامل . فمحال أن نصل الى تحرير العرب جميعا فى آسيا وأفريقية الا اذا ائتلفنا وأخلصنا للعروبة واتحدنا فى الروح والمبدأ والعمل .

الوحدة بين المسلمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

يقال تراحم المؤمنون أى رحم بعضهم بعضا ، والتواد : التواصل الذى يؤدى الى المحبة كأن يزور بعضهم بعضا . والتعاطف : أن يعطف الغنى منهم على الفقير ، ويعين القوى الضعيف . وتداعوا : دعا بعضهم بعضا . وسائر : باق . والحمى الحرارة المرتفعة .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يمثل المسلمين فى تلك الصفات الثلاث وهى التراحم والتواد والتعاطف — بالجسم الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تألم له باقى الأعضاء ، وسرت اليه حرارة الحمى ، فآلمته ، فلم يستطع النوم من شدة الآلام .

ومعنى هذا أن المؤمنين يجب أن يتحدوا ، ويكونوا كفرد واحد ، فاذا تألم أحدهم شاركوه شعوره وآلامه ، وعاونوه على ازالة تلك الآلام والتخلص منها ، واذا منح أحدهم خيرا فرحوا لفرحه ، وسروا لما ناله من الخير .

فالرسول الكريم ينادى بالاتحاد والتراحم والتواد والتعاطف بين المسلمين ، بحيث يكونون يدا واحدة ، متعاونين متحدين ، حتى يقضوا بوحدتهم على العدو المشترك ، وهو الاستعمار .

وبالمثل يجب أن يتحد العرب ، ويكونوا وحدة شاملة ، مهما يكن دينهم ، حتى يتخلصوا من الاحتلال والطغيان ، والحكم الأجنبى ، وينتفعوا بخيرات أوطانهم وبلادهم ، ويعيدوا مجد آبائهم وأجدادهم .

الأيام والشهور العربية وأسباب تسميتها

الأستاذ حسن الشيخه

جرى حديث فى أسماء الأيام والشهور العربية ، وهل هى تسميات اعتباطية لا سبب لها كأسماء أعلام الأناسى؟ أم لها أسباب وضعها العرب على مقتضياتها عند وضع هذه الأسماء المعروفة لنا ، ولذلك أردت أن أكون من ذلك كلمة رجعت فى تكوينها الى أهم المراجع التاريخية مع تعليقاتى واستطراداتى ، وأقدم ذكر الأيام على الشهور لأنها يتألف منها الدهر كله ، على أن الشاعر كون الدهر من ثلاثة أيام بذكر الصفة ، لا بذكر الموصوف . قال :

ثلاثة أيام هى الدهر كله
وما هذه غير الأمس واليوم والغد

١ - الأيام

كان للعرب قديما أسماء للأيام هى غير الاسماء المعروفة لنا ، هى أول وأهون وجبار ودبار ، ومؤنس ، وعروبة وشيار ، وقد جمعها شاعرهم فى قوله :

أؤمل أن أعيش وأن يومى
بأول أو بأهون أو جبار
او التالى دبار فان يفتنى
فمؤنس أو عروبة أو شيار

هذه الأسماء ذهبت مع أيامها الاولى الموغلة فى أعماق التاريخ، وسموها أسماء عللوها ، أو عللها مؤرخو العرب ، فسموا أول بالأحد ، لانه واحد تبدأ به أيام الأسبوع ، وقيل فى رواية أنه أول يوم خلقه الله وهذه رواية ضعيفة فى رأيى ، وسمى أهون بالاثنين لأنه اليوم الثانى الذى يلى الأول ، وسموا جبار بالثلاثاء لانه الثالث فى العدد ، وسموا دبار بالأربعاء لأنه الرابع ، وسموا مؤنس بالخميس لأنه الخامس وسموا عروبة بالجمعة لأن الاقوام تجتمع فيه، وسموا شيار بالسبت « ومعنى السبت القطع» لأنه يقطع أيام الأسبوع

هذه هى أسباب التسمية . وهناك خواص ذكروها لكل يوم ، فيوم الجمعة هو أفضل الأيام عند المسلمين ، ويبدو أنه كان افضلها ايضا فى الجاهلية ، لأن تسميته عندهم بعروبة ليس بالامر الهين ، لأن هذه التسمية تترجم عن أخص أنسابهم التى يفخرون بها على غيرهم على أنهم بعد الاسلام يروون حديثا عن أبى هريرة فى حق هذا اليوم ، هو قوله صلوات الله عليه : « **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة** » ، ولذلك هو معظم عند المسلمين ، كما أن السبت معظم عند اليهود ، كما أن الاحد كذلك عند النصارى .

٢ - الشهور

الشهور العربية هى الهلالية ، وبينها ترادف معنوى، وان اختلف التعبير اللفظى، ولى ملاحظة على أسماء الشهور التى تستعمل فى بعض البلاد العربية ، كنيسان ، وآذار وكانون ، انها ليست

عربية في شيء ، لا في الفاظها ولا في حسابها وانما هي شهور رومية أصلا ، واذ كان يتوهم أن لها أصلا عربيا فانما كان هذا التوهم من دوام استعمالها ، وجعلها هي اللغة التعبيرية عن الشهور وغيرها تبع لها في التعبير ، كما أنها ليس بينها وبين الشهور الهلالية أى ارتباط مطرد في الحساب في أشهر تسير على الحساب الشمسي ، فمثلا كانون الثانى هو بعينه شهر يناير ، وشباط هو فبراير ، وهكذا الى آخر العدد الذى ينتهى بكانون الأول الذى هو ديسمبر ، أما الشهور العربية فتسير على الحساب الهلالى .

ان ماجرى على الأيام هو ماجرى على الشهور مثله ، وقد وضع للأيام العربية – كما تقدم – اسماء غير أسمائها الاولى الموغلة فى التاريخ .

« ان عدة الشهور عند الله ، اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض .. » وإذن فهذا العدد كان في الشهور القديمة والتى تلتها على السواء .

ولذلك اذا ذكرت الاسماء القديمة فانما أذكرها بالترتيب الذى هو ثابت للشهور العربية التى نستعملها ، التى تبدأ بالمحرم وتنتهى بذى الحجة .

هذه الشهور القديمة هى : ناتق ، وثقيل ، وطليق ، وناجر وضمادح ، وأمنح ، واحلك ، وكسع ، وزاهر ، وبرط ، وحرف ، ونعس .

أما العدول عن هذه الأسماء القديمة الى ما نستعمله من المحرم الى ذى الحجة فيبدو أن المناسبات هى التى أملت على العرب هذه الاسماء ، واذا تحدثت عن المناسبات فيناسب كذلك أن أتحدث عما وقع في هذه الشهور من خير أو ضده ، ملتزما فى ذلك أنى لاأذكر مما وقع الاماساغ وكانت له فائدة تاريخية أو اية فائدة ، ولا اعيد هنا ذكر الشهور القديمة عند ذكر مايقابلها من الجديدة ، لأن الترتيب الذى ذكرته فى القديمه هو بعينه الترتيب الذى نستعمله الآن ، فمثلا شهر المحرم كان أسمه ناتق ، وشهر ذى الحجة كان اسمه نعس ، واذن مابينهما صار معروفا بالترتيب

سمي المحرم بذلك لأنه يحرم فيه القتال **والنزال ، لأنه من الأشهر الحرم المجتمعات ، وأهم ماوقع فيه أن العرب يستقبل الكبار منهم القوم للتهنئة والتبريك لانه اول العام .**

كما هو الحال عندنا الآن ، وقد كان يستوى عندهم بعيد النيروز عند الفرس الذى يكون فى ابتداء عامهم ، وفى العاشر من محرم يحتفل المسلمون بيوم عاشوراء ، ولذلك قصة طريفة ، هى أنه صلوات الله عليه وجد أن اليهود في المدينة «يثرب» يصومون يوم عاشوراء ، فسأل عن السبب فقيل له انه اليوم الذى أغرق الله فيه فرعون ، ونجي موسي ومن معه ، فقال الرسول : أنا أحق بموسى منهم ! ولذلك جعل صيام هذا اليوم سنة ، وفى هذا اليوم قتل الامام الحسين ، ولذلك اتخذه الشيعة يوم بكاء ، كما اتخذه بنو أمية يوم هناء .

وسمى صفر بذلك لأن الربوع كانت تخلو فيه من أهلها وتصفر ، لخروجهم لقتال المتعطشين له بعد انقضاء المحرم ، وفى هذا الشهر ترك الخليفة المأمون لبس الأخضر ، بعد أن استعمله خمسة شهور ، وعاد الى لبس الأسود ، كما هو الشعار المعروف عن بنى العباس ، وفيه آوى صلوات الله عليه الى الغار فى طريق الهجرة ، هو وصاحبه الصديق ابو بكر رضى الله عنه .

اما ربيع وربيع فقد سميا بذلك لان الناس والدواب والانعام – كانت ترتبع فيهما فى الوقت الذى سميا فيه بذلك ، أما اشهر ماوقع فى ربيع الأول فهو ذلك الحدث الفرد فى تاريخ البشرية وهو ميلاده صلوات الله عليه ، كما أنه هاجر فيه الى المدينة ، كما أنه تزوج بالسيدة خديجة رضي الله عنها ، واحرق الحجاج الثقفى الكعبة فى ربيع الثاني .

أما جمادى وجمادى فان الماء كان يجمد فيهما فى الوقت الذى سميا فيه بذلك ، أما ماوقع فى الأول فمولد على بن أبى طالب ، ووقعت فيه واقعة الجمل المعروفة ، أما فى الثانى فكانت خلافة عمر بن الخطاب ، وفيه هدم ابن الزبير مابقى من الكعبة بعد أن أحرقها الحجاج كما تقدم وردها الى ماكانت عليه فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام .

وسمى رجب بذلك لانه الشهر الحرام الفرد فكانوا يرجبونه ويهابونه بترك القتال فيه ، ولذلك وصف بشهر الله الاصم ، أعنى الذى لايسمع فيه صوت مستغيث ، ولا معتدى عليه، وفيه كانت واقعة صفين بين على ومعاوية ،كما أن فيه ليلة المعراج التى يحتفل بها المسلمون .

وسمى شعبان بذلك لتشعب الناس فيه طلبا للحروب والغارات ، بعد انقضاء الشهر الحرام رجب ، وأهم ماوقع فيه هو تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة.

وسمى رمضان بذلك لشدة الحر والرمضاء فيه فى ذلك الوقت ، ومن أهم ماوقع فيه ابتداء نزول القرآن « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** » وفرضية صومه ، وغزوة بدر

وسمى شوال بذلك لأن الابل كانت تشول فيه بأذنابها ، وقد تشاءمت منه العرب ، وكرهت التزويج فيه وأول أيامه عيد الفطر وهو أول أشهر الحج «**الحج أشهر معلومات**» وفيه كانت غزوة أحد .

وسمى ذو القعدة بذلك لأن الأقوام يقعدون فيه عن الغزو والغارات ، فهو اول الأشهر الحرم المجتمعات ، وفيه رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل .

وسمى ذو الحجة بذلك لأنه الذى تؤدى فيه فريضة الحج لمن استطاع ، وفيه يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق ، وفيه ولى على بن أبى طالب الخلافة ، وبالجملة فهو شهر كثرت فيه الطيبات .

« بقية » دعوة الميثاق الوطنى

دورهم فى النضال الوطنى ، وجاء الوقت الذى يجب أن يضمنوا فيه حقهم . فى الراحة المكفولة بالضمان. ولعله من المسلم الواضح أن مجرد التساؤل فى كل هذه القيم التى أوضحها الميثاق الوطنى .. فى رسمه بصورته الباهرة لمجتمعنا الحديث .. انما مرده الى شىء واحد .. تكريم الفرد ، خلق العدل ، خلق الكفاية .. ثم خلق البيئة الصالحة ، حيث يعيش المواطن الصالح، بل المؤمن القوى العالم بنفسه ودينه وربه ، ذو القدرة على تغيير مصيره ومقدراته .

خاصة وأن مجتمع الرفاهية قادر على أن يصوغ قيما أخلاقية جديدة لا تؤثر عليها القوى الضاغطة المختلفة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمنا طويلا .

ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان واستهدفت سعادته وهو أن هذا الجوهر لا يتصادم مع حقائق الحياة . والدين الاسلامى الحنيف صاحب رسالة ثائرة تقدمية.

واذا كانت الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الارض والمصنع والمال فانما قد اقترفت أكبر جريمة ضد الانسانية وضد كتاب الله وسنة رسوله وكان لابد وأن توصم الرجعية وصمة عار أبدى بعد أن أكد الدين الاسلامى حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، فالله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة .

والله ولى التوفيق .

ممالك اسلامية قديمة

الكانميون

الأستاذ عبده بدوى

شاهد القرن الثامن الميلادى ميلاد دولة قوية فى منطقة المراعى بين النيل والنيجر .. وتقع تماما فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد ، وقد هيأ لها موقعها ، أن يطلق عليها بحق « دولة مفترق الطريق العظيم لافريقية الاستوائية » .

وقد هيأت لها هذه الأهمية تلك الهجرات الكبيرة التى وفدت على هذه المنطقة من الشرق ، والتى كان تقدمها نتيجة لانهيار مملكة « كوش » ومملكة « مروى » ، وضغط مملكة « أكسوم » المستمر على بعض المناطق التى مدت نفوذها اليه .

كما أن تقدم المد العربى على طول الشمال الافريقى ، قد ضغط على بعض القبائل البربرية واضطرها الى التقدم فى الجنوب ، والى الوصول الى أجزاء متعددة من افريقية، ولقد عرفت كانم بعض هذه الجماعات ، وتلقتها بحب وفهم .

كما ان الضغوط السياسية قد أرغمت البعض على أن يضرب فى افريقية : ولقد كان من تلك الجماعات الاميون ، ثم بعض فقهاء المذهب المالكى الذين ضاقت عليهم القاهرة حين قدمت اليها دولة الفاطميين الشيعية .. وقد وجد بعض هؤلاء فى « كانم » المستقر ، والجو الصحى الذى يمكن ان يتنفسوا فيه ، بعيدا عن الرقابة الحكومية ، والتعصب المذهبى .

ولقد كانت هجرة « الساو » الى تلك المنطقة من الهجرات التى أثرت فى البلاد ، وجددت طاقاتها ، وفتحت عينيها على مفاهيم جديدة ، ذلك لأن هؤلاء « الساو » كانوا الى جانب أجادتهم للرعى ، يحسنون بناء المدن ، ويبدعون فى صناعة التماثيل البرونزية ، وهم القوم الذين قيل عنهم : ان الناظر الى عيونهم يكون كمن ينظر الى قرص الشمس الملتهب !

أما قمة هذه الهجرات ، فلقد كانت بحق هجرة الأسرة السيفية (التى تنتمى الى سيف بن ذى يزن) من الشمال ، فقد استطاعت الوقوف على قمة الأحداث هناك ، وأن تنتهج أسلوبا جديدا من أساليب الحكم ، يتمثل فى تجميع الحكم فى يد مجلس شورى مكون من اثنى عشر شخصا من الأسرة الحاكمة ، ثم يرفع هذا المجلس بدوره هذه القضايا الى السلطان .

وقد ازدهرت الحياة هناك ، وسرت فيها النضارة ، حين أسلم السلطان «حمى جلمى» فى القرن الحادى عشر ، وحين أقبل الناس على هذا الاسلام بعمق .. فبعد أن كانت الحياة من حولهم راكدة ، وبعد أن كان الانسان يعيش ثم يموت بلا هدف ولا طموح ولا معانقة للحياة ، رأينا الاسلام يبعث فيهم قوة جديدة ، ويحركهم الى حد التوتر ، وينفذ بهم من السطح الى العمق ، ثم يشدهم فى آخر الامر من الخوف الى الحركة من حولهم،

ومن الصمت الذى يخيم عليهم الى « الحركة العاقلة » التى يخلقها الاسلام ، والتى بها يمكن للانسان التعرف على نفسه ، وعلى الحياة من حوله ، وخلق نوع من الانسجام بينه وبين العصر .

وقد حملتهم هذه الموجة الواعية الجديدة، الى أن يدفعوا بحدود بلادهم الى مصر والنوبة ، والى أن يمدوا خطوطهم الى حوض النيجر غربا ، وأن يثبتوا هذه الخطوط فى بعض ولايات « الحوصة » ، ثم يكشفوا الصحراء من حولهم ، ويدفعوا بالاسلام الى داخلها .

وقد تعمق هذا الاسلام فى نفوسهم الى حد أن ام السلطان « برى الاول » قد أودعته السجن ، لأنه اكتفى بسجن بعض اللصوص ، ولم يطبق عليهم قصاص السرقة المقرر فى الاسلام .

كما تعمق أكثر فى نفوسهم حين عرفوه « جغرافيا » بالخروج من اقليميتهم الضيقة، وقد كان الحج هو الذى أعطاهم هذه النافذة ، فمن خلاله اطلعوا على هذا العالم الكبير الذى يأخذ به ، وعلى هذه الافكار الجديدة التى تنبع من جوهره ! .

ومن هنا كان اتصالهم الجديد بالحفصيين فى تونس ، وبالمراكز الثقافية فى المغرب ، وكانوا ، وتمبكتو ، وجنى ، وجاو ، وببغداد أيضا ، ولقد كانت صلتهم بمصر كأقوى ما تكون عليه الصلات ، فقد توسعت دولة « المماليك » فى الاتصال بهذه الدولة، ونجحت فى أن تكون « عملية تجارية » بينها وبين بعض البلاد الاوربية ، كما نجحت فى ان تدفع الى « كانم » بعدد وفير من التجار المصريين .

ولقد اقبل فى هذه الفترة عدد كبير من التجار الكانميين على مصر ، وكانت سوق « قوص » أهم نقاط تجمعهم ، وقد بلغ بهم التأثير الى حد انهم انشأوا بمصر مدرسة لتعليم مذهب الامام مالك .

كما كان لليبيا تأثير كبير فى هذه البلاد فقد كان هناك طريق تجارى يصل بينها وبين « فزان » .

وفى ضوء هذا نرى ان التجار قد عبدوا الطريق الى الثقافة ، فطريقهم الى مصر كان يحمل كثيرا من الذين تعلموا فى الازهر ، وطريقهم الى ليبيا حمل اليهم بعض المظاهر الموجودة هناك ، وفى مقدمتها فى نهاية الأمر التأثر بالطريقة السنوسية ، وطريقهم التجارى الى النيل – والذى كان يجاهد حتى يصل الى المحيط الهندى – كان لا يعدم التأثير فى كانم ببعض ما شاهدوه فى هذه المنطقة الممتدة شرقا .

ولقد تحمسوا للاسلام بدورهم ، وعملوا على أن يدفعوا به الى قلوب جيرانهم ، وبخاصة قبائل الصحراء ، ولقد عرفوا « الاسلام السنى » عن طريق مذهب مالك والتحمس له ، الى حد اقامة مدرسة باسمه خارج بلادهم كما سبق أن ذكرنا .

فاذا عرفنا أن « كانم » كانت فقيرة اقتصاديا ، وكان المذهب الذى يعتبر العصب الاقتصادى » للدول المعاصرة لها فى افريقية ، لا يوجد بها ، وانها كانت تعتمد على عملية « التسويق » ، وصناعة بعض المنتجات الصغيرة .. اذا عرفنا ذلك أدركنا أنها قامت بدور أكبر من طاقتها .

وتبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة اسمها « دلا » وآخرها طولا بلدة اسمها « كاكا » ، وبينهما نحو ثلاثة أشهر » .

وقد عاشت هذه الدولة فترة زاهية ، ولكن التفكك قد أخذ يصيبها ، وبخاصة حينما وقع الصراع بين الاسرة الارستقراطية الحاكمة ، وحين دخلت فى صراع مسلح مع « الساو » ، ثم مع قوة كبيرة هى قوة « البولالا » الذين كانوا يسكنون عند بحيرة « فيتزى » والذين كانوا من القوة بحيث استطاعوا اضعاف الدولة ، وارغامها على نقل عاصمتها الى أكثر من مكان ، بحيث يمكن القول بأن « كانم » قد ضعفت تماما فى القرن الثالث عشر ، وعلى أنها تفتتت بعد ذلك الى دويلات ، الا أن القرن السابع عشر قد طلع عليها وهى « مقاطعة صغيرة » داخل قوة كبرى هى دولة « البرنو » .. الا ان ما يحمد لها أنها استطاعت أن « تنبض » فترة من الزمن بقيم جديدة ، رغم ضعف اقتصادياتها، ورغم قسوة الحياة من حولها، ولعل مايعزى عنها أنها كانت « زهرة برية » تألقت فى الصخر والرمال ، واستطاعت أن تمنح الحياة شيئا جديدا !.

الشهيد الغريب

سعيد بن جبير

الاستاذ محمد سيد جاد الحق

أحد العلماء الزهاد ، كريم العنصر ، طيب المغرس ، أثيل المنبت ، ألبسه الله رداء الفضل وآتاه الحكمة ، وفتق لسانه بالبيان ، وأترع صدره بالعلم ، وملأ نفسه بالعطف حتى صار كهفا لأبناء الرجاء ، ومفزعا لبنى الآمال ، علمه مقتبس ، وجاهه مبذول ، ووجهه مبسوط ، وعفوه محمود .. هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الكوفى مولى بنى والبة بطن من بنى أسد بن خزيمة أحد أعلام التابعين من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة ، وقد أجمع أهل النظر على امامته حتى كان شيخه عبد الله بن عباس ينشر ذكره فى الآفاق.. وكان أحمد بن حنبل يقدمه على أقرانه ويراه واحد أهل زمانه ، فيقول :

قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد الا وهو مفتقر الى علمه .. ولفضله كان عبد الله بن عباس اذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم سعيد بن جبير ؟

ولمنزلته التى طبق ذكرها الأرض وعرفت بالأسماع قبل الأبصار كان عبد الله بن عمر يعرف له قدره فقد جاءه يوما سائل يسأله عن فريضة فقال له ابن عمر : سل عنها سعيد بن جبير فانه يعلم منها ما أعلم ولكنه أحب منى .

طريقته فى المعرفة :

مالت نفسه الى العلم من صغره فأكب عليه يسمع فرائده ويجمع شوارده ، ويسعى فى تحصيله حتى نال مايعجز عنه غيره ولا يبلغه عقله ولا يعلو اليه فكره ، رحل فى طلب العلم متنقلا فى الأمصار والأقطار حتى ألقى عصا التسيار ، فكان الكوكب السارى ، والنجم الهادى، أخذ مكانه من حلقة ابن عباس ومجلس ابن عمر وأبى مسعود البدرى وابن الزبير وأنس بن مالك وعبد الله بن مغفل ، فكان كالنحل يجمع الأزهار ليقدم للناس رحيق المعرفة ، وحين أنس فيه ابن عباس حصافة الرأى وجودة الفكر ، والأمانة فى العلم ، قال له : حدث يا سعيد ، فقال :

أحدث وأنت هاهنا فقال له ، أو ليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد ؟ فان رضيت فذاك وان اخطأت علمتك ، وكان

لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس فى الفتيا فلما عمى ابن عباس كتب وفى هذا من الدلالة على اجتهاده فى الفتوى دون اتباعه أثر أهل البيت المعصومين ما لا يخفى ٠

عبـــادته :

كان ابن جبير يصلى بالليل حتى أضناه السهر ، فكان كما قيل على لسان الحضرة يا عبد ٠٠ اصحبنى تصل الى ، يا عبد اكفنى عينك أكفك قلبك ، يا عبد اذا لم ترنى فعاد كل شىء فهو عدوك وأنت عدوه ، وكان اذا مر بهذه الآية فى الصلاة رددها بضعا وعشرين مرة وهى قوله تعالى « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله** » فاذا قرأ هذه الآية : « **فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم** » رددها مرتين أو ثلاثا ، وكان يختم القرآن فى كل ليلتين مرة ، ويقال : ان له ديكا كان يقوم على صياحه فلم يصح ليلة من الليالى فأصبح سعيد ولم يصل ، فشق ذلك عليه فقال له ما له قطع الله صوته فما سمع ذلك الديك يصيح بعدها ، فقالت له أمه : يا بنى لاتدع على شىء بعدها، ثم صار يقوم الليل كله ٠٠ فقالت له ابنته لم لا تنام فقال ان جهنم لا تدعنى أنام ، ولقد بلغ من بره بأمه نه لدغته عقرب فأقسمت عليه أمه أن يسترقى ، قال فأعطيت الراقى يدى التىلم تلدغ وكرهت أن أحنثها ٠

حكمه الذهبية :

ومن حكمه ــ رضى الله عنه ــ قوله : « ان أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هى الخشية النافعة والذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكر له ، وان كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن ، ثم قيل له : من أعبد الناس ؟ فقال : رجل اقترف من الذنوب فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله ٠ »

بداية أمره :

كان سعيد بن جبير فى أول أمره كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ٠

ودخل أصبهان وأقام بها مدة ، ثم ارتحل منها الى العراق وسكن قرية سنبلان وكان وهو باصبهان يسألونه عن الحديث فلايحدث فلما رجع الى الكوفة حدث فقيل له يا أبا محمد كنت بأصبهان لا تحدث وأنت الآن بالكوفة تحدث ؟ فقال : أنشر برك حيث يعرف، وكان مع ابن الأشعث لما خرج على عبدالملك بن مروان فلما قتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب سعيد ، ولكن عيون الحجاج كانت تسبقه فى كل مكان ، وقد أرسل الحجاج يوما بعض خاصته من أهل الشام وبينما هم يجدون فى طلبه مروا على راهب فى صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب : صفوه لى فوصفوه له فدلهم عليه ، فوجدوه ساجدا يناجى ربه فسلموا عليه فرفع رأسه فأتم مابقى من صلاته ثم رد عليهم السلام ٠ فقالوا : أرسل الحجاج اليك فقال ولابد من الاجابة ؟٠ قالوا ولا بد من الاجابة ٠٠ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم مشى معهم حتى انتهوا الى دير الراهب فقال الراهب أصبتم صاحبكم ؟ قالوا نعم ٠٠ قال اصعدوا الدير فان الأسد يأوى الى هذا المكان فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا مانراك الا تريد الهرب قال : لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا فقالوا انا نخاف عليك السباع فقال ان معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى تحرسنى من كل سوء ان شاء الله ، فقالوا : وهل أنت نبى ؟ فقال لا ولكنى عبد من عبيد الله خاطىء مذنب ٠٠ وبقى سعيد بن جبير فى مكانه وأقبل الأسد فلما دنا من سعيد تمسح به ثم ربض قريبا منه ، ولما أصبحوا نزل اليه الراهب فسأله عن شرائع الاسلام وسنن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأبان له عنها فأسلم الراهب ووفى ابن جبير بعهده ورافقهم الى الحجاج فدخل عليه المتلمس وبشره بقدوم سعيد ٠

الحوار بين الحجاج وابن جبير

سأل الحجاج بن جبير فقال له : ما اسمك قال سعيد ابن جبير ٠ قال بل أنت شقى بن

كسير . قال : كانت أمى اعلم باسمى منك قال شقيت وشقيت أمك . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال : لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى . قال لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك الها . قال : فما قولك فى محمد ؟ قال نبى الرحمة وامام الهدى . قال : فما قولك فى على أهو فى الجنة أو هو فى النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها . قال: فما قولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .قال: فأيهم أعجب اليك . قال : أرضاهم لخالقى . قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . قال : أحب أن تصدقنى . قال : ان لم أحبك لن أكذبك .

قال : فما بالك لم تضحك ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار قال : فما بالنا نضحك . قال: لم تستو القلوب ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه ، فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير فى شىء جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بالعود والناى فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد ، فقال : مايبكيك هو اللعب ؟ .. قال سعيد .

« هو الحزن أما النفخ فذكرنى يوما عظيما يوم ينفخ فى الصور ، وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق . فقال الحجاج : ويلك يا سعيد . قال : لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة »

فقال له : أما قدمت الكوفة وليس بها الا عربى فجعلتك اماما. قال بلى، قال أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربى فاستقضيت أبا بردة بن موسى الأشعرى وأمرته ألا يقطع أمرا دونك . قال بلى ، قال أما جعلتك فى سمارى وكلهم من رؤوس العرب وأنت مولى . قال بلى . قال أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها فى أهل الحاجة فى أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شىء منها . قال بلى . قال فلماذا خرجت على ؟ قال بيعة كانت فى عنقى لابن الأشعث ..

فغضب الحجاج غضبا شديدا وانتفخت أوداجه حتى سقط طرف ردائه عن منكبه وقال له ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك قال بلى . قال ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية قال بلى . قال فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين وتفى بواحدة للحائك بن الحائك ثم قال الحجاج اختر يا سعيد أى قتلة أقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة الا قتلك الله مثلها فى الآخرة . قال : أفتريد أن أعفو عنك . قال ان كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر . قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه . فلما خرج ضحك .. فأخبر الحجاج بذلك فرده وقال : ما أضحكك فقال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك فأمر بالنطع فبسط .. وقال اقتلوه ، فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين.

قال وجهوا به لغير القبلة . قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله . قال كبوه لوجهه قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . قال الحجاج اذبحوه. قال سعيد : أما انى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لاتسلطه على احد يقتله بعدى .

وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين من هجرة خاتم النبيين وهى السنة التى سماها الناس سنة الفقهاء حيث مات فيها عامة فقهاء المدينة فمات فى أولها على بن الحسين زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير .. وهكذا انتهت حياة بن جبير بعد ما خلف للناس نورا أضاء لهم طريق الحياة فكانت حياته لطلاب الفضل نعمة وموته على الطاغية الحجاج شرا ونقمة .. رحمك الله يا ابن جبير فكم هديت ضالا وأرشدت حائرا .

عبدالله امام

يقول:

قوافل التوعية الدينية يجب أن تبدأ

مطلوب

- محو الأمية الدينية
- القضاء على احتكار المدينة للمقرئ المشهور
- انتقال كبار علماء الدين الى القرى

شهدت بلادنا فى الفترة الأخيرة حملة جادة للتوجيه، جندت لها كل الكفاءات ، حتى الوزراء أنفسهم نزلوا الى المدن ، والقرى يسهمون بنصيبهم فى هذه الحملات الجادة ، التى تهدف الى أن يعيش المواطن العادى فى كل مكان أحداث بلاده ، كل أحداثها ، وألا يكون بمعزل عما يدور من أجله .. وأن يعرف جيدا حقوقه التى ضمنتها له الثورة ، وحققتها له ، بما أصدرته من قوانين وتشريعات أعادت الى الملايين من أبناء بلادنا حقهم فى الحياة .. وأن يعرف أيضا ما عليه من واجبات يجب أن يؤديها لخير المجتمع كله ..

ولقد استطاعت هذه الحملات أن تربط المواطنين بأحداث بلادهم الى حد كبير ، وأن تضع فى أذهانهم حقائق كثيرة كانت بعيدة عنهم .. وما زالت حملات التوعية مستمرة ـ أو هكذا ينبغى أن تكون ـ حتى نصل الى مرحلة كاملة من التعبئة القومية ، وحتى نتأكد أننا قد استطعنا أن نوصل معانى الميثاق الوطنى الى الملايين من أبناء الشعب الذى انبثق الميثاق من ارادتهم ، وعبر عن رغباتهم ، وتفجر من آلامهم الماضية ، وأحلامهم فى المستقبل القريب بحياة ترفرف عليها السكينة، وتسودها العدالة ، وتحيط بها الحرية .. والديمقراطية الحقيقية .. والوحدة الكبرى ..

وحملات التوعية التى قامت فى بلادنا فى الفترة الأخيرة ، كانت ذات عدة أوجه ، فقد بثت المحافظات فكرة التوعية فى النطاق المحلى ، بامكانياتها ، ثم رأت الدولة أن تخوض كل الأجهزة هذه المعركة الهامة ، فجندت كل وسائل الاعلام لهذه المهمة السامية ، ونزل كبار الموظفين كلهم يقومون بالتوعية كل فى محيطه . وانتهت هذه الحملات برحلات السادة الوزراء الى كل المحافظات ليواصلوا نفس المهمة الجادة .

ولم تكن حملات التوعية الأخيرة هى الخطوة الأولى نحو توعية المواطنين ، ولكنها كانت الخطوة الأولى بعد الميثاق ، فقد سبقت هذه الحملات حملات أخرى قامت بها وزارة الثقافة لكى توصل الى الناس فى القرى والمدن ، قدرا من المعلومات عن الحياة الجادة التى تعيشها بلادنا فى هذه الأيام . ولقد أطلق على هذه الحملات اسم « قوافل الثقافة » .. وكانت قوافل الثقافة تهدف الى محو الامية الثقافية من أذهان الناس ـ لو جاز هذا التعبير ـ وذلك بأن توفر للمواطن العادى

الذى لم ير القاهرة ، ولم يقرأ صحيفة ، أو كتابا ، ولم يشاهد فيلما سينمائيا ، ان توفر لمثل هذا الرجل حدا أدنى من المعلومات أيضا ، فقد صحب هذه الحملات ، والقوافل عدد من الكتاب والأدباء المعروفين ، وكان دورهم الذى ينبغى أن يقوموا به ، هو المساهمة فى ازالة الأمية الثقافية من أذهان الناس ..

ولم ينته دور قوافل الثقافة ، بل لعله تأخر قليلا ، بعد أن قامت حملات أخرى شبيهة للتوعية .. ولعله يستعد الآن ليواصل مهمته وفقا لبرنامج شامل ، وخطة مدروسة تستهدف ما نريده من هذه الحملات وما ينبغى أن نفعله حتى نحقق هذا الهدف ..

اذن فان بلادنا شهدت نوعين من التوعية ، ونوعين من قوافل الثقافة .. الأول كان الهدف منه محو الأمية ، والثانى كان يهدف الى محو الأمية السياسية ..

وما زالت هذه الحملات قائمة ، أو ينبغى لها أن تقوم، وأن تستمر بصفة دورية وأكيدة ..

ولكن بلادنا لم تشهد حتى الآن ، نوعا آخر من التوعية الهامة ، التى كان يجب أن تدرج فى المرتبة الأولى ، وهى

« التوعية الدينية » ، أو بما نسميه بنفس المنطق والأسلوب السابق .. لم تشهد بلادنا حملة مدروسة قوية «لمحو الامية الدينية» التى تخيم على عقول كثير من الناس فى بلادنا ...

وقد يكون من المفيد أولا ، وقبل كل شىء - أن نقول انه حتى محو الأمية السياسية فى مجتمع مثل مجتمعنا لا يمكن أن تتوفر له عوامل النجاح الكاملة الا اذا ارتبط بالدين ارتباطا كاملا .. فشعبنا كله شعب متدين .. يعتبر الدين أحد مقوماته الأساسية .. وهذه الحقيقة لا يمكن أن تخضع لمنافسة ، فهى فوق المنافسة .. ولا يمكن أن نشرح للناس الميثاق شرحا وافيا دون أن نتعرض الى الدين .. فالميثاق نفسه قد تعرض الى الدين فى أكثر من موضع .. واذا كنا نريد شرح الميثاق للناس ، ونبين لهم أسس اشتراكيتنا ، والفرق بينها وبين الاشتراكيات الأخرى فلا شك أن من أسس هذه الاشتراكية ، وأعمدتها ، الايمان بالاديان وبرسالات السماء ..

والميثاق - كما قلت - قد تعرض للدين فى أكثر من موضع ، وسيكون دائما شرحنا للميثاق ناقصا وقاصرا ما لم نتطرق الى شرح الأسس ، والمبادىء التى تضمنها وهو يتحدث عن الأديان ، وجوهر رسالات السماء ... واذا كانت مهمتنا فى هذه الحملات هى تفهم المواطنين فى الريف الميثاق ، وشرحه لهم ، فانهم أولى الناس بأن يفهموا ماذا تضمنه الميثاق عن الأديان ، فان الحديث فى الدين هو أقرب الأحاديث ، وأحبها الى قلب المواطنين فى الريف .. لذلك فهم أولى الناس بأن يفهموا ماذا تضمنه الميثاق عن الدين ، وكيف يسير الميثاق الذى يرسم خطوط مستقبلنا خلال فترة قادمة لهذا المستقبل، ويضع فى اعتباره الدين .. اذ يقول :

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين - ضد طبيعته وروحه - لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .. »

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس منه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم .. »

« ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة ، وفى الحرية ، بل ان اساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان .. ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر ،والجهل ، والمرض لغالبية الناس ، وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .. ان الله - جلت حكمته - وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة ... »

ان فى مقدمة الناس الذين ينبغى بأن يفهموا شرح هذه الفقرات من الميثاق ، هم اخواننا فى الريف ، بل انه لابد لكى تفهمهم الميثاق أن تدخل عن طريق هذه الكلمات المضيئة ، وعن طريق شرح هذه الفقرات .. شرحها شرحا يتضمن عرضا تاريخيا منذ صدر الاسلام حتى اليوم ، فلقد التقى الاسلام بالرجعية فى معارك كثيرة ، وحاولت فئات - حتى فى صدر الاسلام الأول أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، بافتعال تفسيرات كثيرة .. وقد لقيت هذه المحاولات مقاومات شديدة انتهت بهزيمتها .. وسقوطها فى المعركة مع الزحف الثورى المتحرر ...

ولقد حاولت فئات من الناس احتكار خيرات الأرض لصالحها ، حتى فى صدر الاسلام ، وانبرى لها المسلمون الاول يقاومون هذه النزعة التى تهدف الى الاحتكار حدث ذلك فى عهد عمر ، وفى عهود كثيرة ، ولقى ذلك حربا شعواء فى كل عهد، لانه ضد طبيعة الاسلام، وضد احكامه ، وضد منطقه فى العدالة التى جاء بها .

والمطلوب منا ونحن نشرح الميثاق للفلاح أن ندخل اليه هذه الحقائق من أعماق التاريخ ، وفى التاريخ الكثير مما نعيشه اليوم .. ثم نشرح له الميثاق على ضوء كل ذلك .. اذن فلابد أن نستعين بالدين ، فى محاولتنا المخلصة لمحو الأمية السياسية ..

وأيضا ...

ونحن نحاول فى « قوافل الثقافة » أن نمحو الأمية الثقافية فى الريف ، لابد لنا من أن نستعين بالدين ... ان الثقافة الوحيدة التى يمكن أن ترسخ فى عقل الفلاح، والتى يمكن أن يتقبلها ويهضمها فى سهولة ويسر هى الثقافة الدينية .. وهذه الثقافة بعينها يمكن أن نجره الى اتساع آفاقه فى شتى المجالات . فالامية بمفهومها الحديث تعنى أشياء كثيرة .. ومحاربة الأمية يعنى محاربة أشياء كثيرة .. ان محو الامية ، يعنى الحرب على القذارة والدعوة الى النظافة ، انه يعنى قدرا من المعلومات السياسية ، والاجتماعية ، وقدرا من المعلومات عن الآداب والفنون ، وشتى العلوم الانسانية الحديثة. والاسلام يدعونا الى كل هذه العلوم ، بل انه فى كثير من آيات قرآنه ، وأحاديث نبيه يقدم لنا موائد حافلة بكل هذه العلوم ..

ان الاسلام حرب على القذارة ، حرب على الفقر ، حرب على الجهل .. انه يدعو الى المعرفة ، وطلب العلم، ويحفز عليه .. لانه يدعو الى الحياة الكريمة بكل مافيها من معان سامية وأهداف نبيلة، ويمكننا فى قوافل ثقافتنا أن نستعين بالدين، لا على أنه أحد العناصر الاساسية، فى ثقافة فلاحنا المصرى فحسب ، بل باعتباره « اداة » يمكن أن ترغب الناس فى الاقبال على هذه القوافل والانصات لها ، والاستماع الى ما فيها من ثقافة رفيعة جادة .

ولعل أبرز صورة لذلك هى ما نراه اليوم فى الريف ، على ضوء الدراسات والابحاث .. فالابحاث التى أجريت داخل قرانا تقول ان أكثر المرات التى يفتح فيها «الراديو» داخل البيوت ، هى المرات التى يذاع فيها القرآن الكريم والأحاديث الدينية ، فهى أكثر المواد الاذاعية سماعا فى الريف .. والفلاحون كلهم يحرصون دائما على سماعها باستمرار وبصفة مستمرة ودائمة ولا يحول بينهم وبين سماعها غلاء سعر البطارية مثلا ، بينما يحول ذلك دون سماعهم لكثير من المواد الهامة التى تذاع .

وقد تكون هذه الحقيقة الواضحة ، التى أثبتتها الابحاث دليلا آخر أنصع وضوحا على قوة تمسك فلاحنا بالدين ، وتعلقه بكل ما يشرح له دينه ، ويوقفه على حقائقه ، فالفلاح لا يمل سماع الحديث عن الدين، حتى لو كان هذا الحديث معادا ، ومكررا وسبق أن سمعه عشرات المرات.

انتهينا اذن الى أنه لكى تنجح كل من التوعية السياسية ، والتوعية الثقافية وتؤدى دورها فلابد لكل منهما أن ترتبط بالدين وتعتبره أساسا هاما وقويا فى دعوتها وعنصرا فعالا يضيف الى هـذه الدعوة جدية ، وتشويقا عند جمهور كبير من المستمعين فى الريف ...

وبعد ذلك ..

أعود الى موضوع آخر هام ..

انه اذا كانت هذه الحملات التى تقام للتوعية يجب أن تستعين بالدين، فانه من الاولى أن تقوم حملات، وقوافل خاصة للتوعية الدينية .. ولا مانع أن ترتبط هـذه الحملات بتوعية الناس اجتماعيا وسياسيا ، ومحو أميتهم الثقافية ، بل ان ذلك سيكون من أول واجباتها..

ان التوعية الدينية أصبحت أساسية فى حياتنا اليوم، وأصبح من واجب الجهات المعنية بالشئون الاسلامية أن تعمل من جانبها على محو الأمية الدينية التى مازالت تعيش فى عقول الناس فى بلادنا حتى اليوم ..

لا يكفى أن تصدر الصحف الدينية فى القاهرة ليقرأها الناس ..

ولا يكفى أن تصدر المطبوعات الدينية وتوزع مع باعة الصحف ..

ولا يكفى أن يخصص وعاظ ليطوفوا – أو لا يطوفوا – بالقرى تبعا لضمائرهم ، وليقولوا للناس ما عندهم وفقا لمعلوماتهم ، مجددة أو بالية ..

ولا يكفى أن نحاول اقامة مساجد نظيفة ولامعة فى القرى .. فقط ..

ولا يكفى أن نترك الفلاح فى القرية ينتظر سماع القرآن الكريم من الراديو كل صباح ، ويتلهف على موعد الحديث الدينى ..

ان كل هذه العوامل قد تكون مفيدة ، وقد تحقق ما نريده ، ولكنها لا تحقق كل ما نريده ..

انها عوامل مساعدة ، ولكنها تتطلب دفعات قوية حتى يمكن أن تحقق النتائج التى نريدها ..

والى جوار هذه العوامل ، يجب أن تكون هناك أشياء رئيسية وبارزة وهامة أخرى .. يجب أن تكون « قوافل للثقافة الدينية » تكون مهمتها زيارة المدن والمحافظات ، والعمل على محو الأمية الدينية بالاسلوب الحديث ، والمنطق الذى يسود بلادنا اليوم ، منطق الاقناع المبنى على الأسس العلمية السليمة ، والمبادىء المستمدة من واقع حياتنا ، ومن بيئتنا ومن الاحداث التى نمر بها كل يوم .

انه لا يكفى أن تحتكر المدينة كبار المقرئين مثلا ، وألا ينتقل هؤلاء المقرئون الى القرى الا فى الحفلات والمناسبات التى يقيمها الموسرون .. ويتركون للايين المواطنين من أبناء الشعب فرصة واحدة ، هى أن يسمعوا صوت هؤلاء المقرئين فى المذياع لو توفر لهم المذياع ..

فاحتكار المدينة للمقرىء الجيد يجب أن يتفتت ، بانتقال هذا المقرىء الى الاقاليم فى زيارات بعيدة عن احتفالات الموسرين ، وفى ظروف عادلة تبيح للناس ، كل الناس أن يروا هؤلاء المقرئين الذين يسمعون عنهم وأن يسمعوهم مباشرة .. بلا وسيط ..

ولم يعد يكفى أن نترك المدينة تحتكر كبار علماء الدين الواعين ، ونتيح لبعضهم فرصة التحدث الى الناس من وراء « ميكروفون » الاذاعة .. فان ذلك لا يتيح لكل الناس ، أن يسمعوهم .. ولكن يجب ان ينتقل هؤلاء العلماء الاجلاء الى الريف .. الى الاقاليم .. والمدن فى المحافظات المختلفة فى حملات مدروسة ويجلسوا مع المواطنين ليتولوا الوعظ والشرح ، والرد على أسئلة الناس واستفساراتهم ..

ان قافلة مكونة من مقرىء جيد ، وعالم فاضل شهير، يمكن أن تحدث أثرا كبيرا فى القرية، انها يمكن أن تضاف الى تاريخ القرية ، وتكون مادة لأحاديث الناس لشهور طويلة ..

واذا كان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يتولى الآن الشئون الاسلامية ويحمل لواء نشر الدعوة فى بلادنا اليوم ، وبين لجانه – فيما أعرف – لجانا للتعريف بالاسلام والدعوة له ، فان مفهوم التعريف بالاسلام – فى رأيى – لا يقتصر على نشر حقائق الاسلام فى الخارج وحدها ، بل انه – وفى الدرجة الاولى – لابد أن يعمل على نشر هذه الحقائق فى الداخل أيضا ، ولابد أن تتحمل عبء محو الامية الدينية التى تعيش فى عقول الكثيرين ، وتخيم عليهما ..

المجلس يصدر عددا من المطبوعات .. ويصدر مجلة .. ويقوم بنشاط كبير .. كل هذا النشاط يستفيد منه الذين يجيدون القراءة والكتابة .. ويبقى عليه واجب كبير ازاء الذين فرضت عليهم ظروف المجتمع الرأسمالى القاسية التى ورثنا بها الجهل بقانون .. يبقى عليه واجب ازاء هؤلاء الناس هو أن يعمل على تكوين جهاز للانتقال الى هؤلاء فى الريف بواسطة قوافل منظمة يعدلها بحيث يتوفر فيها المقرىء الجيد، والواعظ الجيد ، ورجل الدين المستنير الفاهم الواعى ... ويجب أن يمنح المجلس من الامكانيات ما يعاونه على أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة .. المهمة التى تتضمن بالضرورة واجبا سياسيا واجتماعيا ..

فلقد اصبح كل شىء حقا للفلاح اليوم .. حتى حقه فى أن ينتقل اليه المقرىء الشهير ، والعالم الفاهم الواعى ..

ان قوافل التوعية الدينية يجب أن تبدأ مهمتها فى محو الامية الدينية .. ولا تعارض بينها وبين قوافل الثقافة .. لا تعارض على الاطلاق .. فاى قافلة للثقافة تنزل القرية دون أن تتعرض لشرح مفاهيم الدين ، ستكون ناقصة ، وأى توعية تنزل الى القرية دون أن تتعرض الى شرح الدين .. ستكون توعية ناقصة ..

ونحن اليوم نريد أن نرسى مجتمعنا على أسس من العقيدة الصادقة التى يجب أن تثبت فى أذهان الناس بقيمها ومفاهيمها الحقيقية ...

لقد فات الزمن الذى تحتكر فيه المدينة كل شىء .. حتى المقرىء .. حتى رجل الدين الواعى .. والمطلوب الآن .. هو بداية الانطلاق لتحطيم هذا الاحتكار .. والحل – كما أراه – هو أن تبدأ حملات ، وقوافل لمحو الأمية الدينية ... وأن تكون مهمتها دائمة ، وتوضع لها الامكانيات بحيث تتحقق وفق برنامج مدروس لتصل الى كل مواطن ومعها اشراقة جديدة ناصعة .. تحمل الى الناس دعوة الحرية والرخاء والسلام .. دعوة العدالة والمحبة .. دعوة العمل الجاد .. دعوة الحياة بكل ما فيها من خيرات .. دعوة الانسانية السمحة .. دعوة الاسلام ..

أسس المدنية في الرسالة المحمدية

٣

التسامح وعدم التعصب

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

من الأسس التى جاءت بها الرسالة المحمدية التسامح وعدم التعصب على المخالفين فى الدين والعقيدة ، والاسلام دين قام على الطواعية والاختيار ، ولم يرغم النبى — صلوات الله وسلامه عليه — ولا خلفاؤه الراشدون أحدا على الدخول فى الاسلام ولم يضاروا أحدا من أهل الكتاب وأشباههم لأنه لم يدخل فى الاسلام وكيف يكرهون أحدا على الاسلام ؟ وهذا الوحى يصدع بقول الله سبحانه « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » البقرة الآية (٢٥٦) .

واليك ما ذكره ثقات المفسرين فى سبب نزول هذه الآية روى أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما ، فاختصموا الى النبى — صلى الله عليه وسلم — وقال : يارسول الله .. أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى « لا اكراه فى الدين .. » فخلى سبيلهما وقال الزهرى : سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى « لا اكراه فى الدين » قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة عشر سنين لا يكره أحدا فى الدين فأبى المشركون الا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى « **لا اكراه فى الدين** » أى دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه .

وقال سبحانه : « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » . « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » وهى نصوص صريحة فى عدم الاكراه على الاسلام .

وقد كانت سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تأييدا لهذا المبدأ الخالد ولهذه السماحة الفائقة ، ذكر الثقات من كتاب السيرة أن المسلمين أسروا فى سرية من السرايا سيد بنى حنيفة وهو ثمامة بن أثال الحنفى وهم لا يعرفونه فأتوا به الى رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — فعرفه وأكرمه وأبقاه عنده ثلاثة أيام ، وكان فى كل يوم يعرض عليه الاسلام عرضا كريما فيأبى ويقول : ان تسأل مالا تعطه ، وان تقتل تقتل ذا دم ، وان تنعم تنعم على شاكر ، فما كان من النبى الا أن أطلق سراحه ، ولقد استرقت قلب ثمامة هذه السماحة الفائقة ، وهذه المعاملة الكريمة فذهب واغتسل ، ثم عاد الى النبى مسلما مختارا وقال له : يا محمد والله ما كان على الأرض من وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله الى ، والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح أحب البلاد الى . وقد سر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — باسلامه سرورا عظيما فقد أسلم باسلامه قوم كثير .

ولم يقف أثر هذا التسامح فى المعاملة عند اسلام ثمامة بل كان له آثار بعيدة المدى فى تاريخ الدعوة الاسلامية فقد ذهب الى مكة معتمرا فهم أهلها أن يؤذوه ولكنهم ذكروا حاجتهم الى حبوب اليمامة فآلى على نفسه أن لا

يرسل لقريش شيئا من حبوب اليمامة حتى يؤمنوا فجهدوا جهدا شديدا فلم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترى ماذا كان من أمر رسول الله معهم ؟ أيدع ثمامة حتى يلجئهم ـ بسبب منع الحبوب عنهم ـ الى الايمان ؟ لا . لقد عاملهم بما عرف عنه من التسامح ، والرحمة بالخلق ، فكتب الى ثمامة أن يخلى بينهم وبين حبوب اليمامة ففعل ، فأى سماحة تدانى هذه السماحة ؟ بل امتد أثر دخوله فى الاسلام على أساس من الاختيار والرغبة الى ما بعد حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك أنه لما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة ومن اتبعه من قومه على الاسلام ، وصار يحذر المرتدين من أتباع مسيلمة ويقول لهم : اياكم وأمرامظلما لا نور فيه ، وانه لشقاء كتبه الله ـ عز وجل ـ على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم ، ولما لم يجد معهم النصح خرج هو ومن معه من المسلمين وانضموا للعلاء بن الحضرمى مددا له فكان ذلك مما فت فى عضد المرتدين وألحق بهم الهزيمة (الاصابة فى تاريخ الصحابة ، والاستيعاب على هامش الاصابة ج ١ ص ٢٠٣) .

ولما فتح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ودخلها ظافرا منتصرا كان صفوان ابن أمية ممن أهدرت دماؤهم لشدة عداوتهم للاسلام والتأليب عليه فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى وقال : يا نبى الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والأسود . فقال عليه الصلاة والسلام : أدرك ابن عمك فهو آمن . فقال : أعطنى علامة فأعطاه عمامته ، فأخذها عمير حتى اذا لقى صفوان قال له : فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، وهو ابن عمك ، وعزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال صفوان : انى أخافه على نفسى . قال عمير : هو أحلم من ذلك وأكرم من ذلك وأراه علامة الأمان وهى العمامة ، وقيل بردة ، فرجع الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ان هذا يزعم أنك أمنتنى ، قال : صدق . قال صفوان : أمهلنى بالخيار شهرين . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل أربعة أشهر وحضر مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنينا وذلك قبل أن يسلم واستعاره رسول الله سلاحا ، فقال : طوعا أو كرها . فقال بل طوعا عارية مضمونة فأعاره وأعطاه رسول الله من الغنائم يوم حنين فأكثر . فقال صفوان : أشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبى ، فأسلم وحسن اسلامه .

فهل بعد هذه الحجج البينات من القرآن والسنة يتقول متقول على الاسلام فيزعم أنه قام على السيف والجاء الناس واكراههم عليه ، لقد كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ، لو أن الاسلام قام على الاكراه كما يزعمون فكيف ترك رسول الله ثمامة بن أثال الحنفى ولم يكرهه على الاسلام وكان أسيرا عنده وفى قبضته ، بل كيف يطلب منه صفوان بن أمية مهلة شهرين فيعطيه أربعا ، ألا انها سماحة الاسلام وسماحة رسوله مكنت لهذا الدين فى قلوب الناس فدخلوه عن طواعية واختيار ، وأشرب حبه فى قلوبهم فضحوا فى سبيله بالنفس والأهل والمال والوطن .

وقصة أخرى تدل على غاية التسامح والنبل فى معاملة المخالفين فى الدين واحترام مقدساتهم ، وعدم ايذاء شعورهم ذلك أن المسلمين قد غنموا فى غزوة خيبر عدة صحائف من التوراة فطلب اليهود ردها فأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتسليمها اليهم . فأين من هذه السماحة الفائقة ، والسمو الانسانى الأصيل ما صنعه الرومان حينما فتحوا « أورشليم » وأحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وما صنعه النصارى فى اضطهاد اليهود فى الأندلس حينما حرقوا صحف التوراة وما فعله ويفعله المستعمرون فى أقطار الاسلام من اضطهاد دينى ممقوت ، ومن استهانة بشعور المسلمين ، ومحاولاتهم النيل من كتابهم ومقدسات دينهم ، بل وما تفعله اسرائيل اليوم من محاولات فاشلة لتحريف القرآن الكريم ، كتاب الاسلام وكتاب العربية الأكبر ؟!

« البقية ص ١٢٤ »

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الخطوط الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية العربية تعبير عن كل مبادئها الوطنية هى :

الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى جميع أقنعته ومحاربته فى كل أوكاره ، والعمل من أجل السلام لأن جو السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء ، فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره »

« الباب العاشر من الميثاق »

تعكس هذه السطور من الميثاق الوطنى - دليل عملنا الثورى - الخط السياسى الذى تسير فيه الجمهورية العربية المتحدة تجاه العالم الخارجى • وقد أكد رئيسنا جمال عبد الناصر سياسة السلام هذه وأرسى دعائمها منذ الايام الأولى لقيام الثورة ، ولم يتزعزع ايمانه بالسلام - حتى فى أحلك اللحظات التى اضطررنا فيها لخوض غمار حرب السويس ، دفاعا عن وطننا وكياننا **فقال فى نداء بور سعيد المشهور عام ١٩٥٧**

« اننا نطلب من العالم كله أن يعمل بكل طاقته من أجل دفع شبح الحرب ، لقد رأينا الحرب فى بور سعيد ، أما الحرب التى ستقوم اذا كانت حربا عالمية فستكون حربا شاملة فيها الاسلحة الذرية والهيدروجينية ، ستفنى الملايين وتقضى على الحضارة • وباعتبارنا جزءا من الانسانية وجزءا من البشرية ابتلى بالعدوان من الدول الاستعمارية نطالب بمنع التجارب الذرية ونطالب بتحريم الأسلحة الذرية ونطالب بالعمل من أجل السلام ونطالب بنزع السلاح »

وجاء الميثاق أخيرا يرسم فى وضوح هذه السياسة ويؤكد هذه الدعوة وهذا النداء

وقد استطعنا ايصال دعوتنا وندائناللسلام الى العالم كله ويتبلور هذا فى أول مؤتمر للسلام عقد فى باندونج **فى ١٨ أبريل سنة** ١٩٥٥ وحضره تسع وعشرون رئيسا من رؤساء الحكومات الآسيوية والأفريقية ، وقد أعرب هذا المؤتمر عن ارادة غالبية سكان العالم ، الممثلة فى الدول المشتركة فى المؤتمر ، فى صيانة السلام والحفاظ عليه •

وفى هذا المؤتمر جدد عبد الناصر ، رسول السلام ، دعوته الى السلام وطالب بتصفية الاستعمار ونزع السلاح وتحريم استعمال أسلحة الدمار والاعتراف بحق كل بلد فى اختيار نظمه السياسية

والاقتصادية واحترام سلامة الدول وسيادتها وعدم التدخل فى شئون أية دولة كدعائم قوية تصون السلام وركائز ثابتة تحمى العالم من ويلات الحروب • وكان لتوجيهات عبد الناصر ودعوته الأثر البالغ فى اقرار المبادىء العشرة التى أصدرهاالمؤتمر والتى سادت العلاقات الدولية بعد ذلك باسم « روح مؤتمر باندونج »

ولأهمية هذه القرارات ، حيث أصبحت أساسا لسياسة دول الحياد بعد ذلك ، ولتأكيدها بقرارات المؤتمرات المختلفة التى عقدت بعدها نوردها هنا :

١ - احترام حقوق الانسان الاساسية ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة •

٢ - احترام سيادة جميع الدول وسلامة أراضيها

٣ - الامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر

٤ - الاعتراف بالمساواة بين جميع أجناس العالم

٥ - احترام كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديا وجماعيا وفقا لميثاق الأمم المتحدة •

٦ - الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى والكف عن استخدام وسائل الضغط على أى بلد •

٧ - تجنب استخدام العنف ضد السلامة الاقليمية أو الاستقلال السياسى لأى بلد أو التهديد بالعدوان

٨ - تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية

٩ - تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل

١٠ - احترام العدالة والالتزامات الدولية

وكذلك قرر المؤتمر وضع نهاية عاجلة للاستعمار ونزع السلاح والاستخدام السلمى للطاقة الذرية

ولم تكن هذه القرارات مجرد كلمات وشعارات تردد ، بل أثبت التاريخ وأثبتت الأحداث أنها كانت حقيقة واقعة ودافعا حيا خلف حركات التحرر فى آسيا وأفريقيا ، كما كانت تجربة العدوان الثلاثى ووقوف شعوب باندونج الى جانب مصر فى ذلك الوقت قلبا وروحا داخل وخارج أروقة الأمم المتحدة أبلغ دليل على ايمان شعوب المؤتمر بروح باندونج وتضامنها فى الدفاع عن المبادىء التى أقروها واتفقوا عليها •

نعود بعد ذلك فنواصل الحديث عن سياستنا التى وضع مخططها رسول السلام فى العالم (جمال عبد الناصر) فنجد أنها ترتكز على دعائم تأتى فى مقدمتها ـ كما جاء فى الميثاق ـ الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ومحاربة هذا الاستعمار فى كل أو كاره ، وهذا يعنى أننا نسمو بواقعنا الوطنى على الاعتبارات القومية فنرمى من وراء سياستنا خير الانسانية عامة الذى يتمثل فى تصفية الاستعمار وتحرير شعوب العالم المستعمرة ومساندة كل الشعوب المغلوبة على أمرها فى حروبها ضد الاستعمار ٠٠ ولو كلفنا هذا الكثير من المال والسلاح والأرواح ٠

واذا فلسفنا محاربتنا للاستعمار لوجدنا أن ارتباط الاستعمار بالحرب واضح ظاهر ، فان الموجة الاستعمارية التى سيطرت على الغرب خلال مطلع هذا القرن كانت خلف الصراع الدولى الذى انتهى بالحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبذلك نستطيع القول أن دوافع هاتين الحربين العالميتين كانت دوافع استعمارية وكذلك كانت أهدافهما ٠٠ ومن هنا نستطيع الوصول الى الحقيقة التى لا تقبل جدالا ٠٠ وهى أن القضاء على الاستعمار وتصفيته فى جميع أنحاء العالم يكفل تحقيق السلام والحفاظ عليه وهذا هو مخطط رسول السلام وفلسفته فى محاربة الاستعمار ٠

واليوم يقترن اسم عبد الناصر فى المحيط الدولى بالسلام لأنه ـ فى سبيل العمل من أجل السلام ـ نادى بمبدأ الحياد الايجابى وسياسة عدم الانحياز التى تشمل ضمن ما تشمل نبذ الاحلاف العسكرية ونبذ التكتلات كهدف كبير نحو تحقيق السلام فى جميع انحاء العالم ٠ وسياسة عدم الانحياز التى أشاعها رسول السلام بين دول العالم المتحررة تعنى تأييد الحق وتأكيد مبادىء العدالة الدولية بما يفرضه سلطان الضمير العالمى ، وكذلك تهدف هذه السياسة الى عدم الانحياز العسكرى والمذهبى والاقتصادى لأى من الكتلتين المتصارعين فى العالم ٠٠ وفى ذلك المعنى يقول عبد الناصر ٠

« ان انقسام العالم اليوم الى تكتلات قوية من شأنه زيادة المخاوف ، وان البحث عن السلام لايتأتى عن طريق الانقسامات وانما يكون بالسعى نحو الأمن الجماعى على اساس عالمى وبواسطة توسيع نطاق الحريات ووضع حد لسيطرة أية دولة على أخرى »

بهذه الروح يتحدث عبد الناصر عن السلام ويشرح استحالة وجود السلام الى جانب التكتلات والانقسامات والاستعمار والسيطرة ثم يتحدث عبد الناصر مرة أخرى عن سياسة عدم الانحياز ليوضح كيف انها تؤكد السلام فيقول :

« اذا انقسم العالم الى معسكرين وأصبحت دول العالم منقسمة ، جزء منها مع هذا المعسكر وجزء مع المعسكر الآخر فلابد أن تقوم الحرب ٠٠٠ واليوم ونحن ننادى بالحياد الايجابى وسياسة عدم الانحياز انما نعمل على كسر حدة التوتر ٠٠ وعلى دعم السلام »

من هذا كله نخلص الى أن سياستنا الخارجية والعالمية التى رسمها صانع السلام فى العالم تتضمن مبادىء ثلاثة هامة وهى : **التعايش السلمى وتحريم الاسلحة الذرية ونزع السلاح** وعن امكانية تعايش الدول المختلفة المتباينة فى عقائدها ونظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى سلام ، وتبادلها المصالح على قدم المساواة مع بعضها دون محاولات للتدخل الواحدة فى شئون الأخرى ٠٠ ودون ضغط أو تهديد ٠٠ يقول عبد الناصر فى حديث أدلى به الى صحيفة بوربا اليوغوسلافية :

« اذا اعترفت دول العالم بالحقيقة الواقعة وهى أن نظم الحكومات انما هى مسألة داخلية بحتة وليست بأية حال موضوعا للتعليمات الخارجية والمنازعات خف التوتر الى حد بعيد وأمكن العيش جنبا الى جنب فى سلام وتحقق التعاون بين الجميع »

ونستطيع أن نضيف الى ذلك أن من دعائم سياسة السلام والدعوة له ، التى سار فيها صانع السلام فى العالم ، حق تحرير المصير فيقول السيد الرئيس : « من أجل السلام نؤمن بنهاية مناطق النفوذ وتقرير المصير وأن يكون كل شعب حرا فى تقرير مصيره وحرا فى تطوير بلاده حتى يحصل على حقه من ثروات هذه البلاد »

واذا قارنا سياسة الأمم المتحدة لاقرار

السلام العالمى ومحاولاتها العديدة التى لم يكتب لها النجاح الكامل فى سبيل اقرار هذا السلام ، بسياسة عبد الناصر ، رسول السلام فى العصر الحديث والذى أخذ على عاتقه الدعوة للسلام ، لوجدنا أن زعيم الشعوب الأفريقية الآسيوية المتحررة قد قام بخطوات ايجابية فعلية نحو دعم هذا السلام وكسب العديد من الأمم الى جانب دول السلام فى العالم والتى تمثلها الشعوب الآفروآسيوية ، آخذين فى الاعتبار ضخامة هيئة الأمم المتحدة وأجهزتها الهائلة وامكانياتها العظيمة لتحقيق مبدأ السلام ، بالنسبة الى الجمهورية العربية المتحدة ، الدولة الأولى الداعية للسلام .

نخلص من هذا كله الى المبادىء والشعارات التى اقرتها وأطلقتها دول السلام .. الدول الآفروآسيوية وهى :

الحياد الايجابى ونزع السلاح والتعايش السلمى وتحريم استخدام الذرة فى الحروب وحق تقرير المصير ..

وهكذا أصبحت دعوة ناصر للسلام رمزا للسياسة العربية فى المحيط الدولى ، ومن خلالها استطاع عبد الناصر أن يوقف صراع الكتلتين - الشرقية والغربية - المتصارعتين فى سبيل السيطرة على العالم ، وذلك بجهوده المثمرة خلق كتلة ثالثة تقف حائلا بينهما وبين تحقيق أطماعهما - اذا جاز لنا تسميتها كتلة فنحن لانؤمن بالتكتلات - وبذلك وضع عبد الناصر - بطريقة غير مباشرة - حدا للحرب الباردة التى كانت تهدد بنشوب حرب ساخنة .. واذا لم تكن سياسة عبد الناصر رسول السلام فى العالم - قدوضعت حدا نهائيا للحرب الباردة ، فانه - مما لاشك فيه - أن جهوده فى انشاء هذه الكتلة الداعية الى السلام ، غير المنحازة ، قد قللت من حدة التوتر الدولى بشكل ظاهر يلمسه العالم

كما أن المؤتمرات المختلفة التى عقدت بين دول السلام قد اكدت مبادىء السلام وأعلنتها على العالم منذ المؤتمر الأول الذى عقد فى باندونج عام سنة ١٩٥٥ بين الدول الأفريقية والآسيوية حتى مؤتمر القمة الذى عقد مؤخرا فى أديس أبابا فى الأيام الأخيرة هذا العام.. هذه المؤتمرات كلها تدعو الى السلام فتناصر سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى والتعايش السلمى بين دول العالم المختلفة

ومما لاشك فيه ان شخصية عبد الناصر كرسول السلام فى العالم قد تحددت عن طريق السياسة التى رسمها للجمهورية العربية المتحدة - احدى دول عدم الانحياز - وبذلك استطاعت جمهوريتنا أن تحتل مكانتها فى العالم وأن تكون رائدة لدعوة السلام فى العالم كله ، فكسبت الاحترام والمكانة اللائقة بها فى المحيط الدولى ، كما أن الجمهورية العربية المتحدة وشعوب العالم العربى ، بل وشعوب آسيا وأفريقيا لتفخر اليوم بأن عبد الناصر - داعية السلام وصانعه فى العالم قد أنجبته أرضها .

بقية مقال « أسس المدنية .. »

ثم ماذا يقول المغرضون الأفاكون فى وصاة الاسلام بأهل الذمة والمعاهدين وكل من يعيش فى بلاد الاسلام من غير المسلمين ؟

فهذا هو نبى الاسلام - صلوات الله وسلامه عليه - يقول فيما صح عنه : « **انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القراط - يريد اقليم مصر - فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما أو قال : ذمة وصهرا** » **رواه مسلم فى صحيحه.**

ويقول : « من قتل معاهدا - يعنى بغير حق - لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » رواه البخارى فى صحيحه ، ويقول : « **ألا من ظلم معاهدا ، أو تنقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة** » رواه أبو داود والبيهقى فى سننهما .

فهذه النصوص تدل دلالة صريحة على وصاة الاسلام بأهل الذمة والمعاهدين وأن الاسلام كفل لكل من يستظل بظله وينطوى تحت لوائه أمانا فى نفسه وفى عرضه وفى ماله وأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا وهذا غاية البر والعدل والاحسان .

ويسوقنا هذا الحديث الى أن نعرض لتزييف الفرية الكبرى وهى أن الاسلام قام على السيف والاكراه بأوسع مما ذكرنا وأوفى مما أشرنا .. فالى المقال الآتى ان شاء الله .

من تراثنا فى حرية النقد البناء

الأستاذ حسن فتح الباب

فى مرحلة التوعية التى يخوضها قادتنا الآن لتحريك طاقات الشعب الى العمل الايجابى المثمر لتحقيق الكفاية والعدل فى ظل مجتمع اشتراكى متكامل .

فى هذه المرحلة الوطنية الخطيرة ، ومن خلال المناقشات الجادة والمجادلات الحرة ، يرتفع شعار النقد البناء ، كضمانة ضرورية لسلامة البناء الوطنى ، ودعامة قوية يرتكز عليها تنظيم الاتحاد الاشتراكى .

ذلك أن حرية النقد البناء ـ كما نص عليها الميثاق ـ ليست لازمة فقط لحماية العمل الوطنى ، ولكنها لازمة لتوسيع قاعدته ، وتوفير الضمان للذين يتصدون له ، بل انها صمام الأمن له . كذلك فان ممارسة هذه الحرية نخلق القيادات المتجددة للعمل الثورى ، وتدفعها دائما الى الامام ، كما تخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى .

ولا شك أن حرية النقد البناء فرع من شجرة الديمقراطية السياسية التى جاءت بها الثورة بوصفها عملا شعبيا وتقدميا لتعويضه ما فات والوصول الى الآمال الكبرى التى تبدو خلال المثل الأعلى لما نريده للأجيال القادمة .

فالانسان الحر هو أساس المجتمع الحر ، وهو بناؤه المتين والاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان . والايمان بغير الحرية هو الحاجز الذى يصد كل فكر جديد ويترك أصحابه بمنأى عن التطور المتلاحق الذى تدفعه جهود البشر فى كل مكان .

وفى سبيل تبصير الشعب بهذا المضمون الثورى الراسخ ، لا مناص من العودة الى تراثنا الاسلامى العريق نصل به حاضرنا بماضينا ، ونجتلى فى مرآته أصالة ميثاقنا التاريخى اذ ينبع من صميم عقيدتنا السمحة مستلهما مبادئها وغاياتها ، داعيا الى التمسك بتقاليدها الانسانية النبيلة .

فمن أحكام الكتاب والسنة ، ومن أقوال الصحابة وأفعالهم ، يتبين أن الاسلام لا يرى قيمة للحياة الانسانية بدون الحرية ، ومن ثم كان حق الحرية أحد الحقوق الأساسية فى الشريعة الاسلامية .

ولقد رفع الاسلام قدر الحرية فجعلها قيمة روحية خالدة نابعة من الايمان بالله ، ومن الضمير الدينى ، ولم يجعلها معنى مجردا منفصلا عن الواقع ، بل ربطها به ، ذلك أن الاسلام ليس عقيدة توحيد تصل بين المرء وربه فحسب ، ولكنه كذلك صلة بين الفرد وبين سائر أفراد المجتمع . فمناط ادراك المواطن للحرية وتقييمه لها هو سلوكه مع الآخرين . ومن خلال هذا السلوك نتبين مدى نظرة الفرد الى صالحه الذاتى ومصلحة الجماعة .

على أن الحرية التى شرعها الاسلام ورفعها الى المرتبة الأولى من قواعده التشريعية ، مقيدة بضوابط وحدود لا ينبغى تخطيها والا انتفت الحكمة منها . فلقد قصد بها تنظيم المجتمع على أساس من العدالة وتكافؤ الفرص ، فلا أخذ بها على الاطلاق ، وانما التزام فيها بأحكام الاسلام واجتناب نواهيه . والحكمة فى ذلك أن النفس أمارة بالسوء نزاعة الى

الأثرة ، ومن ثم شرعت الحرية مقيدة بصالح الجماعة وعدم الخروج على طاعتها ، لكى يمتنع الانحراف وتقمع الأطماع وتصلح النفوس ، وفى صلاحها يصلح المجتمع ويعم الخير الانسانية جمعاء ، وقد امتدت هذه الحرية بشروطها تلك حتى شملت الدين والسياسة والعلم والعمل والنقد الاجتماعى والنقد الذاتى .

الحرية الدينية :

وليس أدل على شمول مدلول الحرية فى الاسلام من مبدأ الحرية الدينية الذى جاء به ديننا الحنيف واستقر فى تاريخه السياسى عبر العصور المختلفة . فقد بعث الرسول الكريم ليطلق الفرد من اسار الشرك بالله ، وليبدل ظلمات الناس وجهالاتهم أمنا ونورا ، وسعى - بمشيئة من الله - لبث دعوته بالحسنى ونشرها بالاقناع . فلم يأخذ بأسلوب العدوان للقضاء على القيم الباطلة وعلى الذين يتمسكون بها ، ولكنه طالب المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ليصلوا الى هداية الذين يضلون عن سبيل الله وينشرون الباطل ، كما قال الله تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن** » .

ذلك أن الدين لله ، ونحن الفقراء اليه وهو الغنى الحميد . وانما شرع - سبحانه - الايمان لهداية الناس الى ما فيه نفعهم وصلاحهم . ولقد بين لهم طريق الخير وطريق الشر : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » . « **ولتجزى كل نفس بما كسبت** » .

وفى هذا المعنى جاءت الآيات بينات . « **لا اكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى** » . « **ان عليك الا البلاغ** » . « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » . « **فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** » . « **قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** » .

ومدلول هذه الآيات أن الدين الحق أعز عند الله من أن يدخل فيه الناس جبرا واذعانا ، فهو عقيدة تستقر فى القلب ، وينبغى أن يطمئن اليها العقل الذى ميز به الله الانسان دون سائر مخلوقاته . قال تعالى : « **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » .

ومثلما ينهى الاسلام عن القهر والعسف أسلوبا لنشر مبادئه ، كذلك لا يرتضى اعتناقها عن تقليد ، وانما يحث على استخدام الفكر ، والنظر فى خلق السموات والأرض ، والتأمل فى حقائق الوجود . فهو لا يكتفى بالدعوة الى الايمان بالله ورسوله ، بل يطلب الاستدلال على وجود الله ووحدانيته بالتفكير السليم والتدبر فى نبوة الرسول ومعجزة القرآن الناطقة بصدقه .

والاسلام هو الديانة السماوية الوحيدة التى استنت منهج النظر الى الدين من خلال الانسان ، فان من عرف نفسه عرف ربه . وكان القدماء يبدأون بتقرير وجود الله ووحدانيته بأدلة منطقية فلسفية تخلو من الحياة ولا تستجيب لها النفس ، ولا يسلم بها العقل . فجاء القرآن مقررا : « **وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » « **فلينظر الانسان مم خلق** » .

الحرية السياسية :

واذا كان الاسلام قد أرسى مبدأ الحرية الدينية وهى أجل مظهر من مظاهر حرية الانسان فى شتى مناحيها ، فلا غرو أن يدعو الى الحرية السياسية ، ويكفلها للأمة بطريقة تبقى على سلامتها حتى لا يستغلها المفرضون وينحرفوا بها الى غير مقاصدها وأهدافها .

وأهم الصور التى تتجلى فيها هذه الحرية ، هى حرية ابداء الرأى لمن هو أهل للشورى عملا بقوله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله** »

والشورى هى أساس الحكم فى النظام الاسلامى كما قال الله تعالى : « **وأمرهم شورى بينهم** » .

والقيادة الجماعية - كما وردت فى هذه الآية الكريمة - هى أسمى مراتب الديمقراطية التى انتهى اليها المشرعون فى العصر الحديث ، لما تحققه من حرية سياسية للأفراد وتقدم ورخاء للمجتمع .

ولقد قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم المثل فى هذا المضمار ليحتذى بها قادة المسلمين وأئمتهم من بعده ضمانا لسلامة الاسلام وسياجا لأمته يحميها من شر الانفراد بالسلطة والتحكم فى رقاب الرعية .

ومن ذلك أنه ـ عليه السلام ـ لم يأنف ـ على ما حباه الله من رجاحة الفكر ـ أن يأخذ برأى الحباب بن المنذر فى غزوة أحد حين أشار بالانتقال الى مكان غير الذى نزلوا فيه أول الأمر ، ثم بتعوير للآبار وبناء حوض للشرب لايصل اليه المشركون . فقد قبل الرسول هذه المشورة .

وكذلك الأمر حينما نصح سلمان الفارسى بحفر الخندق عند المنفذ الذى خيف أن يهجم منه الأعداء على المدينة ، فأمر النبى بحفر الخندق وشارك المسلمين فى ذلك .

والأخذ بمشورة الأتباع المخلصين من أسس القيادة الحكيمة ، مما يطلق عليه فى ميثاقنا الوطنى العودة الى « **القواعد الشعبية** » لاستطلاع رأيها . وبفضل هذا المبدأ تتحقق ديمقراطية الحكم وتنشأ قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى .

وتتواتر هذه المثل الجليلة فى عهد الصديقين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، اذ يوطدان هذا الركن الأساسى من أركان السياسة الاسلامية .

حرية النقد البناء :

ومن حرية العقيدة والحرية السياسية انبثقت حرية النقد ، وكان مجال التطبيق العملي لهذه الحرية في السياسة والاجتماع والعلم جميعا . فلا تتحقق الحرية في هذه الميادين بغير حرية الرأى ، ولا حرية فى الرأى دون حرية فى النقد .

وقد أرسى الاسلام أساس الحرية فى نقد الحاكم ، فجعل لكل مواطن الحق فى ابداء رأيه فى تصرفات الحاكم ، لا يرد على ذلك الا قيد واحد وهو الالتزام بحدود الشريعة والآداب الاسلامية وصالح الجماعة .

فلقد جعل الله رسوله القدوة الحسنة للمؤمنين « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** » . فخصه بمكارم الأخلاق وأوصاه بالصبر والتسامح مع الأتباع والخصوم على السواء .

ومن شيمة القائد الحكيم أن يحسن الاستماع الى ما يوجه اليه من حديث ، والا يضيق ذرعا بما يسدى اليه من رأى رائده الاخلاص وحسن النية .

ولقد أفسح رسول الله صدره للناس جميعا ، لم يستثن فى ذلك أحدا . وآية ذلك ما رواه مسلم من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية حين أتت النبى وهو بين أصحابه فطالبت بحقوق النساء . فالتفت الرسول الى الصحابة ثم قال : « **هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟ » فقالوا : « يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى الى مثل هذا » .. وخاطبها الرسول أحسن خطاب .**

فالاسلام يقدس حرية الرأى ، ويجعل العقل حكما فى كل شىء ، ومن ثم شرع الجدل في سبيل الهداية والمعرفة .

والاسلام لا يعرف طاعة مطلقة وحكما مقدسا فلا تأليه لغير الله . وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « **السمع والطاعة حق على المسلم فيما أحب أوكره مالم يؤمر بمعصية ،فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . ويؤكد هذا المبدأ التشريعى بقوله : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »**

ولقد كان أبو بكر الصديق أول من كفل فى سياسة حرية النقد وطبق مبدأ النقد الذاتى ، فما ان تمت البيعة له بعد وفاة النبى وأصبح ولى أمر المسلمين حتى ألقى فى الناس خطبته المشهورة وفيها يقول :

« أما بعد ، أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم . فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله . فان عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم » .

كما تتجلى حرية النقد فى حوار عمر بن الخطاب مع أحد المواطنين عندما قال عمر حين

تولى الخلافة « انى وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فأعينونى ، وان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى » .

فقال له مواطن : ((والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ياعمر)) . فما كان من الخليفة العادل الا أن قال : ((الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه)) .

وليس بعد هذا دليل على حماية حق النقد وتأكيد مبدأ النقد الذاتى .

وقصته رضى الله عنه عندما قال : ((أصابت امرأة وأخطأ عمر)) أبلغ شاهد على رسوخ مبدأ ((النقد الذاتى)) فى الاسلام .

ومن هذه الشواهد نتبين مقومات النقد الذاتى فى الاسلام ، بوصفه أحد الضمانات الجوهرية لحماية الأمة ودفعها الى الأمام .

هذه المقومات هى تقدير المسئولية والقدرة على تحملها ، والشجاعة المعنوية ، والانفعال الصادق بالمجتمع ، والايمان بمبدأ القيادة الجماعية ، وتوافر القدرة الصالحة .

ولا يقام لهذه العناصر الا على أساس من التربية النفسية والاجتماعية ، ومن التدريب على النقد الذاتى وممارسته فى العمل .

ولقد تكفل الاسلام بتأديب أبنائه فأحسن التأديب والتهذيب ، وبث فى نفوسهم الايمان الحق والمناقب الانسانية ، وعلمهم التضحية فى سبيل المبدأ ، وجعل من الضمير وازعا على النفس ، فكانوا أمة واحدة متساندة متكافلة ، لا فضل لحاكم على محكوم الا بالتقوى .

وكان نبى الاسلام المثل الأعلى فى الفضائل ، والقدوة التى يتنافس المتنافسون فى الاحتذاء بها . ولقد أرشد المسلمين — بالقول والعمل — الى كيفية تطبيق مبادئه السامية بغير عوج **ولا انحراف** .

وجاء خلفاؤه الراشدون فواصلوا الكفاح لتثبيت تعاليمه الخالدة وارساء الحريات الأساسية التى جاءت بها رسالة الاسلام .

وبفضل التربية الاسلامية الصحيحة والممارسة الواعية المدركة للمضمون الحقيقى للنقد الذاتى ، تأكدت فاعلية هذا المبدأ وقوته من أجل تحقيق الديمقراطية السليمة .

فقد استقرت مبادىء الحق والعدل ، وعمت المساواة ، فازداد ترابط المواطنين فى تقدير الصالح العام ، ونشأ الشعور الجماعى بالمسئولية ، ووضع الحاكمون عزة الفرد وكرامته فى الاعتبار الأول واحترموا انسانيته .

وكانت النوايا الأصيلة تساند كل مبدأ . فالشعب هو القاعدة وهو القيادة ، وممارسته الأمينة الجادة لحقوقه وواجباته هى السبيل الوحيد للبناء ، ولتقويم الأخطاء ولا حرية بلا أحرار .

المنافقون

الأستاذ أحمد محمد بريرى

هذا ابن يوسف فاسمعوا وتفهموا
برح الخفاء ولات حين تناجى

من سد مطلع النفاق عليكموا
أو من يصول كصولة الحجاج

أو من يغار على النساء حفيظة
اذ لا يثقن بغيرة الأزواج

قل للجبان اذا تأخر سرجه
هل انت من شرك المنية ناجى

اسمعوا أيها الناس وعوا وافهموا .. فقد وضحت الأمور ولم يعد ثم مايدعو الى المسارة أو المشاورة .

انه ابن يوسف .. لاشىء قبله ولا شىء بعده .. قد الدنيا وان شئتم فضموا اليها الآخرة .. أفليس هو الذى سد أبواب النفاق أو مطالعه عليكم ..؟ والا فمن ذا الذى يصول ويجول صولاته وجولاته ، بل من ذا الذى يحفظ الحرمات ويغار على النساء ان تنتهك ستورهن اذا استخزى الرجال ففقد نساؤهم الثقة بهم على أن جبنهم هذا ماكان ليرد القدر فلماذا يتأخر سرج الجبان اذا كانت الموقعة فى حين أنه لن ينجو من شرك المنية

ولو كان فى برج مشيدة ؟ انها لحكمة لم يفقهها غير ابن يوسف الحجاج . انه هو - وحده - الرجل . واذا شئت فخذ من مادة « وحد » «افعل تفضيل» وصف بها هذا الزعيم الفريد فى نوعه .. فنحن على كل حال فى العراق .. وأحد عشر أو اثنا عشر أوثلاثة عشر قرنا ليست حقبة طويلة فى عمر الزمن .

كان ابن يوسف جالسا أو مضطجعا فلست أدرى فى دار الامارة يستمع الى شاعر آخر غير صاحبنا هذا الذى صدرنا بكلماته هذا المقال .. ينشده ويزجى وقته بما جرى العرف ان يزجى به أوقات الملوك والأمراء ومن اليهم ممن يملكون المال والسلطان . وهل أشهى الى هؤلاء من أن تحدثهم عن ذواتهم الكريمة ؟ وان تثنى عليهم بما تعلم ومالا تعلم من حسن الفعال وجميل الخصال وجلائل الأعمال التى قام بها الممدوح حقا وصدقا أو باطلا وزورا فليس ذلك بذى بال وانما المهم أن تكون خصب الخيال .. ولكن الفرزدق كان بدويا جلفا يعجبه ان يتحدث عن آبائه أكثر من أن يتحدث عن ابن يوسف وآلائه .. فأخذ يكيل القول أو يلقيه جزافا عن اجداده أولئك الكرام : غالب وابن غالب أو دارم وابن دارم فان الرواة يختلفون أكان ينشد البائية .

لو ان جميع الناس كانوا بربوة
وجئت بجدى غالب وابن غالب

أم الميمية : لو ان جميع الناس كانوا بربوة
وجئت بجدى دارم وابن دارم أو ظالم وابن
ظالم فى رواية أخرى .

ومهما يكن الأمر فان الحقيقة الواقعة فيما يرى الفرزدق انه لو جاء بآبائه من لدن غالب أو دارم أو ظالم ووقف واياهم على ربوة ... وجاء بنو آدم الآخرون كلهم عربهم وعجمهم أسودهم وأحمرهم ووقفوا على ربوة أخرى فهم لا بد مقرون ومعترفون خاضعة رقابهم بأن الفرزدق وأهله سادتهم وكبراؤهم فانظر ماذا ترى .. ان هذا الغر الأحمق لم يبق شيئا لابن يوسف ولا لغير ابن يوسف .. لم يعبأ بشىء لا بثقيف ولا بمروان وأمية عبد شمس وسائر السادة من الملوك والاتباع والاشياع .. لابد أن الحجاج كان حينئذ غاثى النفس وجدع الأنف لو واتته الفرصة فبطش بالفرزدق وبنى دارم وبنى غالب وبنى تميم أجمع ، لولا أن قيض الله لها شيطانا ظريفا لطيفا يقول فيحسن القول ، أو يداهن فيحسن المداهنة .. أجل ، فلقد كان الموقف يتطلب منافقا من الطراز الأول يقول لنا الرواة ان الفرزدق كان ينشد الحجاج وعمامته ـ عمامة الفرزدق ـ فوق رأسه كأنها المنسف ـ الغربال ـ وبالله لقد كان ابن يوسف قمينا ان ينسف المنسف ورأس صاحبه فتخسر تميم فحلها هذا العظيم الا ان ابن عمه جاء فى الوقت المناسب فنفع وانتفع وكفى تميما شرا وبلاء ماكان أغناها عنه ..

قالوا : ان الحجاج غلبه الطرب وأدنى جريرا وسأله عن غزل القصيدة أو نسيبها فكذلك كانت العادة ، يبدأ الشاعر متغزلا أو ناسبا بامرأة حقيقية أو مجازية بيد أن الشاعر أراد ان يستولى على عواطف الأمير قبل ان يقول فى عواطفه الذاتية . وهل فى الوجود اجمل من ان يستدرها الأمير نفسه أو يسأله اياها ..؟ أم هل ألذ من أن يستجيب فيقول :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج
فانظر بتوضح باكر الأحداج

انهن النسوة الباكرات هوادجهن راحلات.. فلينظر بتوضح حيث بكروا أو بكرن مرتحلات جميلات فآمنات ثيبات أو أبكارا . فليس ذلك من شأننا وانما هو شأنه وشأنهن . فأما نحن فحديثنا عن النفاق كيف دخل لغة القرآن..؟ فلقد قدمنا فى مقال سلف ان اللفظ اسلامى بمعنى أن العرب فى جاهليتها لم تستعمله الا فى معناه الأصيل الذى وضع من أجله ..وان ثم حيوانا صغيرا حقيرا هو المرجع والمآرب فى هذا الوضع فكذلك معظم النار من مستصغر الشرر .. واليربوع ـ على ضئولته كبير من حيث هو عمدة المنافقين .

وقديما قالت العرب : ضل دريص نفقه ، ودريص ـ عفا الله عنك ـ تصغير درص ـ هو ولد اليربوع أو القنفذ أو الارنب أو الهرة أو الفأرة أو ماشاء الله وأصحاب اللغة من ولد هذه الفصائل التى تعد العدة وتتخذ الأهبة لما عسى ان يأتى به حدثان الأيام فالدهر حول قلب ولكن الصغار لايفطنون دائما لما يعد الكبار فينسون العلة التى من أجلها شاد اليربوع النفق أو النافقاء ان أردت دقة التعبير فهذ الدريص يبعد عن الدار .. يلهو ويلعب غير آبه بعقبى اللهو واللعب ، فلا يلبث ان تدهمه « أم أدراص » وهى ـ على وجه التحديد اللغوى ـ الداهية فيضل دريص طريقه الى النفق .. لقد أخذ على غرة .

فالرجل البدوى يضرب هذا المثل « ضل دريص نفقه » يقوله لابنه محذرا اياه أن يقع فيما وقع فيه دريص .. ثم تتسع دائرة المثل ـ وكذلك شأنها أبدا ـ فيشمل كل من يعد للأمر عدته .. ثم ينسى عند الحاجة . اذا شاء الله أن ينسى والله لايظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ولاتحسبن أنى أنسيت مايجب أن أعالج مع اليربوع اذ يعد النافقاء والقاصعاء كيف ينافق أو ينتفق فيكون استاذا لنا نحن بنى آدم ولكنى لا أحب أن أثقل عليك فالى حديث قابل .

الصوفى المصرى الذى نادى بالمعرفة

الأستاذ عامر العقاد

لا حاجة بنـــا الى البحث الطويل فى أن التصوف الاســلامى من أهم مذاهب المعرفة والايمان .. بل هو ان شئنا نقول قوة روحية تكمن وراء كل حركة وخاطرة ... ولم يكن فى يوم من الأيام حركة زهد وعبادة فحسب كما يتبادر الى اذهان بعض المتعجلين من أصحاب الدراسات الاسلامية من أبنـاء الأمم الأوربية .. وانما كان دائما معرفة ويقينا ، وألحانا ومواجيد تصحبهما حركة بعث للقوى الروحية والعقلية والقلبية على أشد ما تكون الحركة والدفعة .

فلا جدال اذن من أن مواجيد الحب الالهى ثروة ترتفع بالقيم الانسانية وتسمو بها ... وأن تلك الألحان الربانية ما هى فى مضمونها الا مثاليات عالية تصـعد بالجنس البشرى درجات ودرجات .. وقد سـلكها الكثيرون ممن آمنوا بالتصوف الاسـلامى فى مختلف عصوره وبيئاته .

ونحن اليوم بكتابتنا هذا المقـال نتناول بالدراسة سيرة علم من أعـلام التصـوف الاسلامى لا يقل دوره عن غيره فى هذا الميدان ولا سيما ميدان « النيتوزوفيين » أو أصحاب مذهب المحبة الآليـــة ونعنى به « ذو النون المصرى » الذى ولد ببلدة اخميم بصعيد مصر حوالى سنة سبعمائة وست وأربعين ميلادية .

وينحدر نسب ذى النـون أو « ثوبان بن ابراهيم » كما تلقبه بعض كتب السـير والتاريخ من أنه يرجع الى الأصل النوبى ، بل روى بعضهم أنه كان عبدا ثم عتق .. وسواء أكانت تلك الروايات صحيحة أم غير صحيحة فالأمر لايعدو سؤالا واحدا لاتتعداه .. ففيه الكفاية لتناول سيرة ذلك الصوفى العـابد وهو هل كانت سيرة حياة « ذو النون » ذات أثر واضح عليه وعلى ما آمن به ؟

وجوابنا على هذا السؤال نلمسه دون شك فى سيرة حياته ابان نشأته بصفة خاصة وفى كلماته الخالدات على العموم .

كان ذو النون يطوف فى ابان حياته بـين أطلال الآثار المصرية القديمة يدرس رموزهـا ويحاول جاهدا حلها الى جانب الدراسـات الاخرى التى أخذ نفسـه بها كعلوم الطب والكيمياء والسحر .

سافر « ذو النون » بعـد ذلك الى مكة ودمشق وزار بعض النسـاك المقيمين فى الجنوب من انطاكية .. وفى أثناء هذه الأسفار توصل « ذو النون » الى التنسك وكبح جماح النفس فقال متحدثا ذات يوم عن أسفاره :

« لقد حصلت فى أول أسفارى علمـا يرضى الخاصة والعامة ، وحصلت فى ثانيها علمـا يرضى الخاصـة دون العـامة ، وفى ثالث أسفارى حصـلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة فغدوت شريدا طريدا .. لقد حصلت من العلم فى المرة الأولى التـوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حـد سواء .. وفى المرة الثانية وصلت الى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة ، وفى المرة الثالثة وصلت الى الحقيقة التى تسمو على العـلم والعقل فأعرضا عنها ولم يتفهماها ... »

وبدأ ذو النون عقب ذلك يدرس الصوفية لمن التفوا حوله ٠٠ بل بالغ في تدريسها حينما أخذ يدرسها علانية فقبض عليه نتيجة لذلك فى أخريات أيامه وأرسل الى بغداد حيث سجن مع السماح لأصدقائه الصوفيين بزيارته الى أن عفى عنه بأمر من الخليفة وعاد الى مصر ليواصل رسالته التى آمن بها وعاش من أجلها ، وبذلك استطاع أن يكون له تلاميذا كثيرين علمهم التوبة ولقنهم كبح جماح النفس والاقلاع عن الغواية ٠٠ وقد كان دائما يفرق بين توبة الانابة التى ترجع الى خشية العقاب السماوى والخوف منه ، وبين توبة الاستحياء التى تستند الى الاستحياء من رحمة الله العلى القدير ، وكان يقول دائما بأن التوبة ثلاث : توبة العوام وهى توبة عن المعاصى وتوبة الخواص وهى التوبة عن الاهمال ،وتوبة المعرفة وهى التوبة التى تعنى الاعراض عن كل شىء عدا الله سبحانه وتعالى ٠

ومن تعاليم « ذو النون » عن الله سبحانه أنه يعلو على خلقه فى كل شىء علوا مطلقا وان كان متصلا بهم اذ هو فى الوقت نفسه الرحمن يتجلى لخلقه عن طريق رحمته ، ويتجلى لأوليائه عن طريق موهبته المعرفة التى عن طريقها يصلون الى الأنس به وفى هذا المعنى يقول :

« اللهم آنس المؤنسين لأوليائك وأقربهم بالكفاية من المتوكلين عليك لمشاهدهم فضمائرهم تطلع على أسرارهم ٠٠ الهى سرى اليك مكشوف ٠٠ وأنا اليك ملهوف اذا أوحشنى الذنب آنسنى ذكرك عالما بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها من قضائك ٠٠ الهى من أولى بالذل والتقصير منى وقد خلقتنى ضعيفا ومن أولى بالعفو منك وعلمك بى سابق وأمرك بى محيط ٠٠ أطعتك باذنك والمنة لك على وعصيتك بعلمك والحجة لك على ٠٠ أسألك بوجوب رحمتك وانقطاع حجتى وتفقرى اليك وغناك عنى أن تغفر لى خطيتى الظاهرة والباطنة ٠ »

ودرس « ذو النون » فى وجده وتصوفه مسألة الروح والنفس ويظهر ذلك فى كثير من آرائه وكلماته وحسبنا قوله عن الروح أن النفس هى العقبة الرئيسية فى سبيل الكمال الروحى لأنها خاضعة لرغبات النفع الذاتى ٠ لذلك يجب على المتطلع الى الله أن يحارب نزواتها ويتغلب عليها ٠ »

وفوق هذا فقد نادى « ذو النون » بقدسية الروح فى منشئها وانه يمكن عن طريق كبح جماح النفس تخليص الروح من العقبات النفسية واعادتها الى أصلها الأول من الطهارة فتعود لاتصالها بالخالق - جل وعلا - فالعودة الى الله فى مقاييسه تعنى للمتطلع القيام بتطهير نفسه من شرور الرغبات ومن كل صلة أخرى عدا الصلة بالله ذاته ٠

وقد خلد تاريخ التصوف لذى النون حكما آبدات وكلمات خالدات فى هذا المضمار ومنها قوله :

« الخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن » ٠

وتدور فلسفة ذى النون الصوفية حول موضوع الحب الالهى فى غايته القصوى وذلك عن طريق الكشف لمطالعة جمال الربوبية ٠

واستطاع ذو النون أن يصل من خلال دراساته وهيماناته الى أن المعرفة تؤدى الى الاتحاد بالله وفى ذلك يقول :

« ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا ، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وحالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة ترك الدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحب النجاة وعروة السلامة حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة العطية وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة » ٠

وهكذا كان « ذو النون » أول من تكلم عن المعرفة ووصف المراحل المختلفة التى تجتازها الروح فى سبيلها الى الوصول الى الله والعثور عليه ٠

طارق بن زياد

في الشعر المعاصر

الأستاذ علي الجبلاطي

لقد حرص شعراؤنا المعاصرون فى فترة مابين الحربين العالميين على أن يزودوا الناشئة بسير أسلافنا الأبطال الذين صنعوا تاريخنا المجيد ، بل تاريخ الحضارة الانسانية ليبعثوا فيهم الحمية ويغذوهم بأفاويق العزة الاسلامية ، ففى هذه الفترة كان الاستعمار قد استشرى وجثم ظلمه ، وخيم ظلامه على الوطن العربى ، وافتقد الشعراء فى البطولات الحديثة مثلهم التى يتخذونها أزوادا لهذا الشباب الطامح . هذا الى ماكان وجدان الجيل الجديد فى هذه الفترة أشد ما يكون تعطشا لمثل هذا الوقود الروحى ، فعاد الشعراء الى زوايا التاريخ يعرضون على الناشئة البطولة الحقة للمسلمين الأوائل ، وعظمة الأجداد من خلفاء وقواد فاتحين أيام أن كانوا يفهمون عزة الاسلام ويستمسكون بعروته الوثقى فانتصروا على الدول الكبرى ورفرفت راياتهم على امبراطورية فسيحة الأرجاء لا تمطر سحابة حيث شاءت الا على أديمها .

راح الشعراء يستعيدون أمجاد أسلافنا من أبطال الاسلام ليتمثلها أبناؤنا فتعود لهم القوة والمنعة وتهون أمامهم قوى الأرض جميعا ..

وأخذوا يجلون الصور الحية لأقوى الشخصيات الاسلامية التى تصلح نبراسا يهتدون بهديه ، ومثلا عليا تقودهم فى نضالهم المر ضد الطغيان والاستعمار ، فجاءت قصائدهم متقاربة التواريخ متشابهة الروح الموحية ، معنية بابراز نواحى خاصة فى أولئك الأبطال لا تعتمد على سرد تاريخ حياتهم أو أنسابهم ، وانما تسلط الأضواء على بطولاتهم الفذة وشجاعتهم النادرة فى مواجهة الطغاة واستبسالهم فى نصرة الحق ومآثرهم فى اليقظة الاسلامية .. فظهرت هذه البطولات الرائعة وسط هامة كبرى من الجو الملحمى الذى يغذى النفوس بعظمة الآباء وروعة أعمالهم فنظم الشاعر حافظ ابراهيم قصيدته « **العمرية** » وأوحى ذلك للشاعر مصطفى صادق الرافعى بنظم قصيدته فى أمجاد «**عمر**» وكذلك الشاعر أحمد محرم فى قصيدته « **عدل الفاروق** » ثم نظم الشاعر عبد الحليم المصرى قصيدته « **البكرية** » ، ونظم الشاعر محمد عبد المطلب قصيدته « **العلوية الأولى والعلوية الكبرى**» ، وبرز شوقى أمير الشعراء فى هذا المضمار فنظم أرجوزته الكبرى « **دول العرب وعظماء الاسلام** » ، وقد تضمنت

حال الأمم الاسلامية منذ ظهور الاسلام الى نهاية دولة الفاطميين ، وحين عرض سيرة « **الزبير ابن العوام** » فى معرض البطولات التى شاد بها قام الشاعر مصطفى المنفلوطى بنظم قصيدته « **عبد الله بن الزبير** » مجاراة فى ابراز شخصية من المسلمين الأوائل الذين آثروا التضحية على حب الدنيا ، وعرض أمير الشعراء فى أرجوزته الموشحة الكبرى فى « **صقر قريش** » فجاراه فى هذه الحلبة الشاعر خير الدين الزركلى فنظم قصيدته « صقر قريش » كذلك .

وكانت فكرة احياء أمجاد الاسلام قد تملكت الشعراء المعاصرين فنشرت « **عمرية** » حافظ و « **علوية** » عبد المطلب و « **بكرية** » عبد الحليم المصرى فى عام ١٩١٩ ، ونشرت « **ارجوزة** » شوقى حوالى هذا التاريخ ، وتوالت بعدها الملاحم الاسلامية « **كالالياذة الاسلامية** » للشاعر محرم ، وهكذا استوحى الشعراء المعاصرون البطولات الخالدة من تاريخ العرب الحافل وأبرزوا من خلالها ملامح شخصياتهم الشامخة وخصالهم المجيدة ، وهكذا فعل الشاعر أنور العطار فى قصيدته « **اسامة بن زيد وجيشه المظفر** » ، ونظم الشاعر عمر أبو ريشة قصيدته « **خالد ابن الوليد** » ، **وأخيرا تأتى القصيدة العصماء التى هى موضوع مقالنا وهى قصيدة القائد « طارق بن زياد » للشاعر الموهوب على محمود طه الذى ولد فى أوائل هذا القرن ، وتخرج مهندسا فى مدرسة الفنون التطبيقية وظل يتنقل فى وظائف الحكومة حتى عين وكيلا لدار الكتب المصرية ولم يلبث أن توفى عام ١٩٤٩ .**

ولقد تفجر ينبوع الشعر على لسانه مبكرا فاتجه به وجهات متعددة ومجددة أحيانا ، ولم تكن ثقافته بالآداب الغربية واسعة ، ولكنه كان يعرف بعض مذاهب شعرائها الحديثة معرفة سطحية استطاع فى حدودها أن يجدد فى شعره ، وقد اتجه فى قصائده الى التعبير عن نفسه حتى بلغت به الذاتية عنده حد الحسية فجعل الشعر متصلا بعواطفه وشعوره ولكنه عنى عناية بالغة بألفاظه وجرسها الموسيقى ، وله دواوين شعر تضعه فى الرعيل الأول من شعرائنا المحدثين .

وقد سار شاعرنا فى هذه القصيدة على النهج التقليدى فى الوزن والقافية ، ولكنه مع هذا استطاع أن يخلع عليها جدة وطرافة وأن يجعلها فى بنائها المحكم ، وشعورها الصادق ذات أثر دفاع فى نفوسنا لصلتها بالأمجاد العربية الاسلامية وتصويرها للبطولة الخالدة فى شخص القائد البطل « طارق بن زياد » ، فكانت من شعر التحرر الذى يثير أبناء العروبة ضد الظلم والطغيان ويثير فى نفوسهم النخوة والعزة ..

ان « طارقا » كان خير قدوة فى البأس والشجاعة والتضحية فى سبيل الحرية والمثل الأعلى ، وان نظرة عجلى فى خطبته المشهورة فى تاريخ العرب لترينا كيف دعا القائد أجناده الى الصدق والصبر فى الجهاد ، وأنه القائد الذى سيقوم بنصيبه فى هذا الجهاد فى مقدمتهم ويدعوهم الى بذل النفس لأنه السبيل لاحراز النصر ، وأنه راح يبصرهم بالثواب العظيم كفاء اعلاء كلمة الله ، واظهار دينه ، وأخيرا يوصيهم باتمام رسالته لو ناله الردى خلال القتال ، ووضح لهم أهمية وجود القائد بين جنده مما جعل أجناده يعاهدونه على صدق الجهاد وارخاص الأرواح قائلين : « لقد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فهام اليه فنحن معك وبين يديك » .

واننا لنقرأ فى سيرة هذا البطل الظافر أنه حينما كان يجتاز البحر الابيض على ظهر سفينة فى طريقها الى الأندلس شاهد فى نومه رسول الله – عليه الصلاة والسلام – معه على ظهر السفينة وقد التف حوله المهاجرون والأنصار وهم يتقلدون سيوفهم وقد وضعوا القسى على مناكبهم ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – بينهم يقول لطارق « **يا طارق تقوم لشأنك** » ، ورأى طارق فى رؤياه أنه قد دخل الأندلس مع أصحابه والرسول الأمين يدخلها من خلفه ، وقد صدقت رؤياه فكان نصر الله بداية لخضوع بلاد الأندلس كلها للمسلمين الأبطال تحت قيادة « طارق بن زياد » .

وقد قسم شاعرنا قصيدته الى أربعة مشاهد عرضها عرضا فنيا رائعا :

أما المشهد الأول فهو يصور طارقا وجنده فى أسلوب استفهامى متكرر ويتساءل أهم جن يسرعون فوق الماء ، أم هم عقبان وثبن من أعلى الجبال فوق البحر المترامى ؟

انها سفن تحمل الجيش الفاتح ويعظم لواؤها وقائدها ولا يكاد يبرز شخصيته وملامحه اكبارا له واثارة لتعظيمه ، ثم يصف القائد الجبار منتظرا فى حذر يرقب أمواج البحر ويصوره ممسكا بسيفه يلوح به فى الفضاء وهو خفيف الملابس فى بزة عسكرية مما يشير الى استعداده للمعركة ، ثم يتجه الى القائد مرة أخرى فيصوره مرفوع الرأس لامع الجبين من أثر انعكاس ضوء النجم وفيه ملامح العربى السمراء الفاتنة وكأن لونه من أثر الصحراء ، فهو ينتسب الى افريقية ، ذوب الذهب فى اشراقة ندية فيقول :

أشباح جن فوق صدر الماء
تهفو بأجنحة من الظلماء

أم تلك عقبان السماء وثبن من
قنن الجبال على الخضم النائى ؟

لا .. بل سفين لحن تحت لواء
لمن السفين ترى وأى لواء ؟

ومن الفتى الجبار تحت شراعها
متربصا بالموج والأنواء ؟

يعلى بقبضته حمائل سيفه
ويضم تحت الليل فضل رداء

ويميل ضوء النجم عالى جبهة
من وسم افريقية السمراء

ذهب ببوتقة السنى من ذوبه
مسحت محياه يد الصحراء

لون جلت فيه الصحارى سحرها
تحت النجوم الغر والأنداء

أما المشهد الثانى فيشير فيه الشاعر الى ماضى البحر الأبيض قبل أن يعرف الانسان الحضارة ويخلع عليه صفات عجيبة غامضة فشواطئه جنة خضراء كالأساطير ، ومدنه تتمتع بالسحر والجمال ، ولم يخضع هذا البحر لعربى قبل « طارق » فيما مر عليه من السنين ، ثم يومىء الى ما صاحب شواطىء هذا البحر وقد شهد حضارة الرومان والاغريق وشهد ملك قرطاجنة ودولتها وهى تغيب عن الوجود ثم يعرض هذا المشهد حين طلع طارق وجنده يعبرون البحر الى الأندلس يمدون عز الشرق الى الغرب الغافى ليأخذوا بيده الى اليقظة والحياة ، فيقول :

وسماء بحر ما تطامن موجه
من قبل لابن الواحة العذراء

بحر أساطير الخيال شطوطه
ومسابح الالهام والايحاء

ومدائن سحرية شارفنه
بنخيلها وضفافها الخضراء

ما زال يرمى الروم وهو سليلهم
ويديل من قرطاجنة الغلباء

حتى طلعت به فكنت حديثه
عجبا وأى عجائب الأنباء

أما المشهد الثالث فيعود فيه الشاعر الى الأسلوب الاستفهامى حين يتحدث عن طارق وصحبه ، فالناس يسألون البرق عنه ففيه ومضة من نور جبينه ، ويسألون الموج الثائر عنه ففيه قبس من نشاطه وفورته ، ويدور التساؤل حول أعمال البطولة التى أظهرها طارق من الماهه بفنون الحرب البحرية وهو الناشىء فى البادية ، ولعل الجواب قريب فان الايمان يسلط العزائم على كل شىء فتطوع لصاحبها السهل والجبل والبحر والقفر ، وهو الذى رسى بالقائد فى هذه اللجة الزرقاء ، انه الايمان الخلاق وحب العمارة والغيرة على الانسانية أن تظل متأخرة ، ثم صور القائد يتطلع الى الفضاء ومعه رصيد من الايمان القوى لا يتزعزع من وحشة الطريق ، وثورة الموج ، وظلام الغيب ، ثم راح شاعرنا يصور الجزر وفيها الثغور تبدو للقائد منورة كأنها قطرات الضوء على جوانب الاناء ، وأخيرا يوازن بين الشرق والغرب ، فالشرق فى خيال القائد علم ويقين ، والغرب فى خلده خيال وأحلام هنا

العلم والقوة والايمـان ، وهناك الضـعف والاستسلام ، فيقول :

ويسائلون بك البروق لوامعا
والموج فى الازباد والارغـاء

من علم البدوى نشر شراعهـا
وهـداه للابحار والارسـاء

أين القفار من البحار وأين من
جن البحار عـرائس الدأماء

يا ابن القباب الحمر ويحك من رمى
بك فوق هذى اللجة الزرقاء

تغزو بعينيك الفضاء وخلفـه
أفق من الأحلام والأضـواء

جزر منـورة الثغور كأنهـا
قطرات ضوء فى حفاف اناء

والشرق من بعد حقيقة عالم
والغرب من قرب خيالة رائى

أما المشهد الأخير فيصور فيه الشاعر أمل القائد فى الفتـح وكأن أرض الأندلس تغريه بالفتح وتشجعه عليه ، ولقـد كانت الأندلس **كما قال : يوليان لموسى بن نصير « انها جنة خلقها الله على الأرض حتى يمكن أن يقال ان فى الأرض جنات » .**

وها هو ذا القائد يثب فوق الصخور خفيفا فى قوة ويثب قلبه من مكانه شوقا الى اتمام الفتح ، ثم يهون من شأن هذا الفتح على القائد ويبين ضعف المقاومة وكأنه على موعـد مع حسناء أندلسية ويصورها فى صـورة ماكرة فنية ، ثم يشير الى صيحة طارق فى جنـده يحذرهم غرور النصر وخور العزيمة، ويذكرهم أنهم رهط غرباء لا عون لهم الا بالله ، ويتراءى البحر كأن سحابة حمراء تغطيه بعد أن أحرق القائد سفنه ففقد كل شىء الا ايمانه باللـه ورجاءه فيه ، ثم طلع الفجر على القائد وأسلمه للنهار وقد انتصر طارق نصرا مبينـا وأتاح لحضارة الاسلام أن تجد طريقها الى الأندلس، وراح يكتب فيها طارق تاريخا جديدا يسلكه الخالدون فقال :

ضحكت بصفحته المنى وتراقصت
اطياف هذى الجنـة الخضراء

ووثبت فوق صخورها وتلمست
كفاك قلبـا ثائر الأهـواء

فكأنما لك فى ذراها موعـد
ضربتـه أندلسية للقـاء

ووقفت والفتيان حولك وانبرت
لك صيحة مرهوبة الأصـداء

هذى الجزيرة ان جهلتم أمرهـا
أنتم بها رهط من الغـرباء

البحر خلفى والعـدو ازائى
ضاع الطريق الى السفين ورائى

وتلفتوا فاذا الخصم سـحابة
حمـراء مطبقة على الأرجـاء

قد أحرق الربان كل سـفينة
من خلفـه الا شراع رجاء

ألقى عليه الفجر خيط أشعة
بيضاء فوق الصخرة الشماء

وأتى النهار وسار فيه طـارق
يبنى لملك الشرق أى بنـاء

وهكذا كان القتال عنيفا انهزمت فيه ميمنة الجيش الاسبانى ثم ميسرته ، وقد كان جيش « الذريق » مائة ألف من الفرسان ومعهـم العجلات التى تحمل أمتعتهـم ، وكان جيش « طـارق » مشاة يضربـون أرض الأندلس بأقدامهم، وحين عرف طارق أن جيش الأندلس يفوق جيشه فى كثرة الرجال والفرسـان والسلاح والعتاد أمر بحرق الأسطول فلم يعد فى أيدى العرب الا الصبر فى القتال ، وانجلت المعركة عن كثيـر من قتـلى الأندلس وحاز المسلمون كثيرا من كنوز البلاد وخيراتها كما وعدهم قائدهم فى خطبته ، وكان هذا النصر هو بداية لخضوع بلاد الأندلس كلهـا لحكم العرب ، كما كانت انتصارات «بدر» هى بداية قيام الدولة الاسلامية ، وكما كانت انتصارات « اليرموك » بداية انتهـاء الدولة الرومانية فى فلسطين والشام ، ولقد استطاعت الجيوش الاسلامية أن تفتح قرطبة ومالقة وغرناطـة وقرطاجنة ، ودانت البلاد كلها لأبطال المسلمين فى ظل لواء القائد البطل « طارق بن زياد » .

رجـــــال ومـــــواقف

أبو موسى الأشعرى

فضيلة الشيخ منصور رجب

((لقد أوتى أبو موسى مزمارا))
((من مزامير آل داود))
((حديث شريف))

نسبه

اشتهر أبو موسى الأشعرى بكنيته أما اسمه فهو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن وائل ابن الأشعر - والأشعر نبت - بن ادر بن زيد ابن يشجب . وأمه طيبة بنت وهب ، امرأة من عك ، أسلمت وماتت بالمدينة .

اسلامه

قدم مكـة مـع اخـوته فى جمـاعة من الأشعريين ، ثم أسلم بعد أن حالف أبا أحيحة سعيد بن العاص بن أميـه ، وكان قد ركب سفينة مع الأشعريين ، وكانوا نحو خمسـين ، فألقتهم الريح الى النجـاشى فى الحبشة ، فرجعوا بسفينتهم مع سفينة جعفر على النبى - صلى الله عليه وسلم - حين فتح ((خيبر))

تعليمه الناس القرآن باليمن والبصرة

ارسله النبى - صلى الله عليه وسلم - هو ومعاذ بن جبل الى اليمـن ، ليعلما النـاس القرآن ، واستعمله عمر - رضى الله عنه - على البصرة ، فكان يطوف على مساجدها يعلم القرآن . ويروى أنه جمع قراء البصرة فكانوا زهاء ثلاثمائة فقال لهم : **ان هذا القرآن كائن لكم أجرا ، وكائن عليكم وزرا ، فاتبعوا القرآن ، ولا يتبعنكم القرآن ، فانه من اتبع القـرآن هبط به على رياض الجنة ، ومن تبعه القرآن زخ فى قفاه ، فقذفه فى النار .**

حسن صوته بالقرآن وموقعه

كان أبو موسى الأشعرى حسـن الصوت ، حسنا يجذب القلوب ، حين يتلو كتـاب الله - عز وجل - : فيروى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مر ذات ليلة وأبو موسى يقرأ القرآن فى بيته ، ومع - النبى صلى الله عليه وسلم - عائشة - رضى الله عنها - فقامـا فاستمعا لقراءته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ((لقد أوتى أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود)) .

ويروى عن عثمان النهدى قال : صلى بنا أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - صلاة الصبح ، فما سمعت صنج ولا بربط - آلـة تشبه العود وهو فارسى معرب - كان أحسن صوتا منه .

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول لأبى موسى : يا أبا موسى ذكرنا ربنا عز وجل . فيقرأ له من القرآن الكريم ما شاء الله أن يقرأ .

غزوة ذات الرقاع
واشتراكه فى الفتوحات

ويقول أبو موسى : خرجنـا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة ، ونحن ستة نفر نعتقب - أى نتبادل الركوب - فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وتساقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق . فسميت غزوة ((ذات الرقاع)) لما كنا نعصب على أرجلنا .

وفى سنة سبع عشرة لما ولى البصرة ، كتب اليه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن سر الى الأهواز ، فأتى الأهواز فافتتحها عنوة ، وقيل صلحا . وافتتح أبو موسى أحيهان سنة ثلاث وعشرين .

خطاب عمر الى ابى موسى

كتب اليه عمر يقول : « أما بعد »

فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك .. فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له .. آس بين الناس في مجلسك ، وفي وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .. البينة على المدعى ، واليمين على من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا . ومن ادعى حقا غائبا ، أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ، فان بينه أعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك هو أبلغ فى العذر ، وأجلى للعماء .. ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فان الحق قديم لا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .. والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور ، أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله تولى من الناس السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان . ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق . واياك والغضب والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر عند الخصومة . أو الخصوم ـ شك الراوى « أبو عبيد » ـ فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر . فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله ـ تعالى ـ لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا . فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله » .

وعلى هذا الكتاب بنى الفقهاء أصول الحكم والشهادة فما أحوجنا الى تأمله والتفقه فيه .

وممن عنى بهذا الكتاب شرحا وتبيانا ابن قيم الجوزيه ـ ٧٥١ هـ فشرحه ـ فى كتابه « أعلام الموقعين ـ أو فى شرح وبينه أجمل بيان . وكأنى اسمع الآن فى نفسك همسا يقول : مثلا ؟ . .

مثلا يقول فى قوله : « **فافهم اذا أدلى اليك » يقول : صحة الفهم ، وحسن القصد من أعظم نعم الله التى أنعم بها على عباده . بل ما أعطى عبد عطاء بعد الاسلام أفضل ولا أجل منهما . بل هما ساقا الاسلام . وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم . وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا ان نسأل الله أن يهدينا صراطهم فى كل صلاة . وصحة الفهم : نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد ، والحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغى والرشاد ، ويمده حسن القصد ، وتحرى الحق ، وتقوى الرب فى السر والعلانية . ويقطع مادته اتباع الهوى ، وايثار الدنيا ، وطلب محمدة الخلق ، وترك التقوى .**

ولا يتمكن المفتى ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق الا بنوعين من الفهم :

أحدهما : فهم الواقع والفقه فيه ، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما .

النوع الثانى : فهم الواجب فى الواقع ، وهو فهم حكم الله الذى حكم به فى كتابه ، أو على لسان رسوله فى هذا الواقع ، ثم يطبق أحدهما على الآخر . فمن بذل جهده واستفرغ وسعه فى ذلك لم يعدم أجرا او أجرين : فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه الى معرفة حكم الله ورسوله . كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر الى معرفة براءته وصدقه .

وكما توصل سليمان بقوله : « ايتونى بالسكين حتى أشق الولد بينكما » الى معرفة عين الأم .

وكما توصل امير المؤمنين على بقوله للمراة التى حملت كتاب حاطب لما انكرته : لتخرجن الكتاب او لنجردنك الى استخراج الكتاب منها .

وكما توصل الزبير بن العوام بتعذيب احد ابني أبي الحقيق بأمر رسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم - حتى دلهم على كنز خبىء لما ظهر له كذبه فى دعوى ذهابه بالانفاق .

وكما توصل النعمان بن بشير بضرب المتهمين بالسرقة الى ظهور المال المسروق عندهم .

فحسن الفهم وحسن القصد هما ساقا الاسلام وقيامه عليهما وبهما نامن طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين فنصبح من أهل الصراط المستقيم .

ركوبه البحر للغزو

عن ابى بردة عن ابى موسى الأشعرى يقول : « خرجنا غازين فى البحر فبينما نحن والريح لنا طيبة والشرع لنا مرفوع فسمعنا مناديا ينادى : يا أهل السفينة قفوا أخبركم ؟ .. فقمت على صدر السفينة فقلت : من انت ومن اين انت ؟ .. أو ما ترى أين نحن وهل نستطيع وقوفا ؟ .. قال : الا أخبركم بقضاء قضاه الله عز وجل على نفسه ؟ .. « من عطش نفسه لله عز وجل فى يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة » .. فكنت اتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحرارة التى يكاد ينسلخ فيه الانسان فأصومه .

صلاته فى كنيسة يوحنا بحمص

يروى الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهانى « ٤٣٠ هـ » فى كتابه - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - يقول : حدثنا ابراهيم بن عبد الله . حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبه بن سعيد . حدثنا الفرج بن فضاله . عن أزهر بن عبد الله قال : « صلى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه فى كنيسة يوحنا بحمص، ثم خرج محمدا لله تعالى وأثنى عليه ثم قال : يأيها الناس انكم اليوم فى زمان للعامل فيه لله تعالى أجر . وسيكون بعدكم زمان يكون للعامل فيه لله تعالى اجران »

لكن : كيف .. ومتى .. ولماذا يتضاعف أجر العامل ؟ .. أليس العمل هو العمل والثواب هو الثواب والجزاء هو الجزاء ؟ .. نعم : يزداد الأجر اذا كثرت المغريات حتى ضربت من حول الانسان نطاقا من هنا ومن هناك فقاوم الانسان نفسه وكبح جماح هواه وكفر بشيطانه واستعمل عقله فرد نفسه بنفسه الى الصراط المستقيم لا لشهوة ولا لغرض ولا لهوى الا حسبة لله الذى خلق الموت والحياة . انه فى هذه الحال أو مثلها يضاعف الله له الأجر فضلا منه ورحمة ف « الثواب على قدر المشقه » وهل من يمنع نفسه والسابحات الفاتنات أمامه فى البحر . والمغريات المناديات وراءه فى « السينما » وفى غير السينما . هل يكون هذا كمن لا مغريات حوله ولا فتنة من ورائه ؟ ..

نعم : الطبيعة هى الطبيعة فى مياه البحر الجارية وفوق رمال الصحراء المحرقة . لكن الانسان بين المثيرات ليس كهو فى عدمها . والنفس فى المغريات ليست كهى فى غيرها ، ولم يقل أحد حتى الحيوان بأن وجوده بجانب المثيرات كوجودها فى غيرها .

واذا كان عمر بن الخطاب نفسه قد رفض أن يصلى فى الكنيسة حتى لا يتخذها الناس بعده عادة فان أبا موس الأشعرى لم ير مانعا من أن يصلى فى الكنيسة وهو فى هذه الناحية كعمر فكل صحابى جليل ومشرع عظيم .

موقفه فى التحكيم
بين على ومعاوية

هذه المسألة اخذت حيزا كبيرا فى التاريخ خاصة بين الشيعة وأهل السنة .

وكان من رأى **الأحنف بن قيس . وابن** عباس رضى الله عنهما الا توكل لأبى موسى هذه المسألة : مسألة التحكيم . اما الأحنف فكان من رأيه أن يختار ابن عباس لهذه المهمة فانه ند لعمرو بن العاص فى مثل هذه . وكان من راى ابن عباس أن يختار الأحنف لها فانه قرن لعمرو . وأبو موسى ليس بصاحب ذلك حتى قال - ابن عباس - لعلى رضى الله عنه وكرم الله وجهه : علام تحكم أبا موسى ؟ .. لقد عرفت رأيه فينا . فكيف تدخله الآن فى معاقد الأمر ؟ ..

ويظهر من كلام ابن الأثير - فى كتابه أسد الغابة - أن عليا رضى الله عنه كان لا يميل الى أن يندب أبا موسى لهذه المهمة غير ان اليمانية ومنهم الأشعث بن قيس وغيره قالت : « لا يكون فيها الايمان ويكون أبا موسى » فحسم على اتساع هوة الخلاف بالنزول على رأى اليمانية . ومما يذكر فى هذا الباب أن ابن عباس قال لعلي : « أنت رجل شجاع ولست

بصاحب رأى فى السياسة » وحقا للشجاعة رجلها . وللسياسة رجلها . وللوظيفة رجلها . فيوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب حتى قال ابن تيميه - فى كتابه السياسة الشرعية - اذا كانت وظيفة تحتاج الى شجاعة وقوة وأمامنا اثنان : أمين ضعيف ، وقوى غير أمين . فيختار لها القوى الفاجر ويؤخر الأمين الضعيف .

وعلى كل حال فمسألة التحكيم هذه كانت لها ظروفها وملابستها ووقائعها وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم لهم مكانة فى نفوسنا أجمعين فهم أبعد الناس عن الحكم بالهوى والشهوة . فاذا كان عمر رضى الله عنه قد اختار للبصرة أبا موسى وأرسل اليه كتابا هو أصل ودستور فى القضاء فهذا رأيه وله قدره واحترامه . واذا كان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد عزل أبا موسى الأشعرى عن البصرة فهذا رأيه وله قدره واحترامه . والاسلام يعلمنا احترام الرأى وتقدير الحرية : هذا مبدأ من مبادئه . وأصل من أصوله . وهدف من اهدافه .

وظيفة أبى موسى فى البصرة

ووظيفة أبى موسى فى البصرة أعلنها هو نفسه فى كلمة له حين قدمها . قال : « ان امير المؤمنين عمر بعثنى اليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل . وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وانظف لكم طرقكم » . ومن قبل استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على « زبيد » و « عدن » . وكانوا يشبهون كلام أبى موسى بالجزار الذى لا يخطىء المفصل . ولا ادرى ما هى هذه الطرق التى تنظف ؟ .. اهى طرق روحية معنوية ثقافية ؟ .. ام هى طرق مادية محسه ملموسه ؟ ..

الاسلام يعنى بالجانبين ويهتم بالناحيتين .

وفاته

توفى أبو موسى عن ثلاث وستين سنه فى العقد الخامس من هجرة سيد المرسلين - قيل سنة اثنتين واربعين وقيل اربع واربعين بل قيل تسع واربعين - وكانت وفاته بالكوفة .

ويروى انه دعا فتيانه حين حضرته الوفاة فقال : اذهبوا واحضروا . واوسعوا واعمقوا . فجاءوا فقالوا : قد حضرنا واوسعنا واعمقنا . فقال والله انها لاحدى المنزلتين .

ومن كلماته رضوان الله عليه : « انما سمى القلب من تقلبه ألا وان القلب مثل ريشة معلقة بشجرة فى فضاء من الأرض تفيؤها الريح ظهر البطن » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كنا مع أبى موسى فى مسير له فرأى الناس يتحدثون فسمع فصاحة فقال : ان هؤلاء يكاد أحدهم أن يفرى الأديم بلسانه . هلم بنا فلنذكر ربنا فسألنى :

ما أبطا بالناس عن الآخرة فقلت : الشهوات فقال : لا والله ولكن عجلت لهم الدنيا وأخرت الآخرة ولو عاينوا ما عدلوا .

وأعود فأقول: ليس التاريخ سردا للحوادث بقدر ماهو دفع للامة الى الامام ، ونحن اذا اخترنا أن نقدم لقراء « منبر الاسلام » تاريخ الرجال فانا لنرجو أن ننفعل بمبادئهم العظمية وسلوكهم الطيب وهذا هو الطريق : طريق دفع الأمة الى الأمام فلنتكاتف جميعا ، وليشد بعضنا بعضا برباط المحبة والاخاء والسلام وليعلم كل من تحدثه نفسه فى هذه الظروف الحاسمة الفاصلة من تاريخنا بأن يتوانى عن العمل الجاد المخلص فعليه وزران . ومن يشمر عن ساعد الجد ويخوض اللجج فى سبيل دفع الأمة بكلتا يديه الى الأمام فله أجران . وصدق أبوموسى حين قال : « سيكون بعدكم زمان يكون للعامل فيه لله تعالى أجران » .. فالأمة العربية الآن تطل عليها أحداث ما أحوجنا نحن العرب والمسلمين الى أن نقفل هذه الكوة التى تخرج منها راس التفرق والفتنة . وانى لعلى ثقة من أن العرب والمسلمين سيعيدون تاريخ أمجادهم الأبطال فيوقعون العالم فى دهشة مرة ثانية كما أوقعوه فيها من قبل حين حرروا العبيد ونشروا لواء الحضارة على العالم فى مدة وجيزة من الزمان ، فالعربى حين تتحرك نفسه الى الخير وتثور لا يعرف شيئا أمامه اسمه المستحيل . وهل عرفوه يوم أجبروا امبراطوريتين عظيمتين على أن يركعا على ركبهما أمام هيكل الحق المقدس ؟ .. فالى الأمام أيها العربى .

صفحات من التاريخ

جمال الدين الأفغانى

الأستاذ عبد المنعم حمادة

ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن العشرين بوادر حركة فكرية ونهضة دينية كان لها أثر كبير فى اتجاهات العالم الاسلامى عامة والعربى خاصة ، وكانت لها نتائج عظيمة فى تقدم الشعوب الاسلامية والعربية ، وقيام الحركات التحررية التى هزت قواعد الاستعمار وزلزلت أركانه ، وبعثت فى قلوب المسلمين الايمان العميق بماضيهم وما سطر فيه أسلافهم من عظمة وأقاموا من حضارة ، وملأت قلوب المسلمين بالثقة التامة فى مستقبلهم وما يمكن أن يحققوا فيه من فخار ومجد ٠٠ ويرجع الفضل فى ظهور هذه البادرة الى رجلين عظيمين لايزال العالم الاسلامى كله متأثرا بآرائهما وأفكارهما حتى اليوم ، وأعتقد أنه سيظل متأثرا بآراء هذين الرجلين وأفكارهما الى آماد بعيدة ، وحتى يبعث الله لهذه الأمة من المصلحين الاجتماعيين والدينيين من ينهج نهجهما ، ويسير على منوالهما ، ويقتفى آثارهما فيعيد للاسلام قوته وازدهاره ونضارته مصداقا لمعنى قول الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان الله يبعث على رأس هذه الأمة كل مائة عام من يصلح لها دينها ٠٠ أما هذان الرجلان فهما السيد جمال الدين الأفغانى موضوع هذا الحديث ، وأما الثانى فهو الامام محمد عبده الذى يعد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كتابا عنه فى هذه الأيام ٠

* * *

ولد السيد جمال الدين الأفغانى عام ١٢٥٤ هـ ـ الموافق ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩ م ، وكانت ولادته فى قرية « أسعد أباد » من قرى كنر ببلاد الأفغان ، ثم انتقل الى كابل بانتقال أبيه ٠٠ وعلى الرغم من علو شأنه ، وبعد صيته ، وعظمته البالغة التى كانت حديث الناس فى جميع الآفاق ، والتى لا تزال موضع فخار الدول الاسلامية على اختلاف أهوائها ونزعاتها ٠٠ على الرغم من هذا كله ، فقد اختلف الكتاب والمؤرخون فى تعيين مسقط رأسه والبلد الذى ينتمى اليه ٠

نشأ من أبوين فقيرين ، ولكنهما ينتميان الى أسرة عريقة يتصل نسبها « بالترمذى » المحدث المشهور ، ويرتقى الى « الحسين ابن على » ـ رضى الله عنهما ـ وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم فى اقليم كنر من أعمال كابل وتبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ٠٠ ولهذه العشيرة منزلة عالية فى قلوب الأفغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها

الشريف ، وكانت لها سيادة على جزء من الأراضي الأفغانية تستقل بالحكم فيه ٠

وبدأ جمال الدين يتلقى دروسه وهو فى الثامنة من عمره ، وقد أبان على الرغم من بكورة هذه السن عن ذكاء نادر ، وقريحة وقادة ، وقوة فى فطرته شجعت والده على زيادة العناية به ، والاهتمام بأمر تعليمه وتهذيبه ٠٠ وما أن أتم الثامنة عشرة من عمره حتى كان ملما بكثير من دقائق العلوم والفنون ، فبرع فى العلوم العربية ، كما برع فى علوم الشريعة ، وألم بكثير من دقائق العلوم العقلية ، كما ألم بالعلوم الرياضية ، وتعلم الى جانب هذا كله ـ كما يقول الاستاذ العقاد : « الفنون القديمة ، وأضاف اليها كل ما تسنى له الاطلاع عليه فى اللغات التى كان يعرفها وهى الفارسية ، والعربية ، والتركية ، والانجليزيه ، والفرنسية ، فاجتمع له حظ من العلم الغزير يزداد غزارة وأثمارا فى لب خصيب مثل لبه ، وبداهة مشرقة مثل بداهته » ٠

ولما رأى أن ما ناله من حظ وافر فى الدراسة ، وأن ماحصل عليه من علوم ومعارف يمكنانه من الطواف فى البلاد لتعرف أحوالها والوقوف على نواحى تفكيرها ، سافر الى الهند حيث أقام سنة وبضعة أشهر درس خلالها العلوم الرياضية على الطريقة الأوربية الحديثة ٠٠ وقد امتزجت فى نفسه الفلسفة العربية القديمة بالفلسفة الحديثة وتكون له من امتزاجهما رأى خاص فى العلوم العقلية ، وعلم النفس والأخلاق ، وعلم الوجود والتكوين ٠٠ وما أن نال من هذا المنهل الصافى ما فيه كفايته حتى انتقل الى الحجاز لأداء فريضة الحج ٠٠ وكان فى سفره الى هذه الأقطار المقدسة يطيل فى تنقله من بلد الى بلد ليستطلع أحوال الناس ٠٠ ووافى مكة عام ١٢٧٣ هـ ـ الموافق عام ١٨٥٧ م بعد أن نال من رحلته ما كان يبتغيه ويسعى اليه من اخراج فكرة الجامعة الاسلامية الى حيز الوجود ، وقد نجحت هذه الفكرة لأنه وجد بثاقب نظره أن المكان الذى اجتمعت فيه هذه الآلاف المؤلفة من مسلمى العالم كله ، ان هو الا أخصب البقاع لنشر فكرته ونجاحها ٠ ولم يترك جمال الدين بلاد الحجاز ، الا وكانت «جمعية أم القرى» ومجلتها قد شقتا طريقهما من تقدم ونجاح٠٠ ولما عاد الى بلاده التحق بخدمة الحكومة فى عهد الأمير « دوست محمد خان » الذى قامت فى أيامه حروب داخلية بين الأمراء وأصحاب النفوذ حبا فى السلطة ورغبة فى السيادة٠٠ واشترك السيد جمال الدين فى هذه الحروب بطبيعة ولائه للأمير وبحكم مركزه ٠ ووصل فى عهد الأمير « محمد أعظم خان » الى مركز الصدارة ، وارتفعت منزلته فى نفس الأمير حتى أصبح مستشاره وموضع ثقته ، وهزم محمد أعظم خان أمام الحروب المتوالية التى أثارتها السياسة الانجليزية بدسائس حاكت خيوطها فى حذر شديد وتكتم بالغ ، وأموال بذلتها فى سخاء عظيم واسراف لا حد له ٠٠ واضطر جمال الدين الى أن يخرج من بلاده مستأذنا فى الحج ، ودفعه الى ذلك خوفه من الدسائس التى دبرت ضده ، ورغبته فى البعد عن بيئة لا ترغب فى وجوده بل وتنتهز الفرص للوقيعة به والانتقام منه ، ودفعه الى ذلك تطلعه الى جو يشعر فيه بالحرية التى تمكنه من تنظيم صفوفه والدعوة ضد النفوذ الأجنبى الذى أصبح من أكبر المنادين له الراغبين فى هدمه والقضاء عليه ٠٠ ومر فى طريقه بالهند ، وهناك تلقته الحكومة الانجليزية بمظاهر الاجلال والاحترام ، غير أنها لم تسمح له بالاقامة طويلا ، كما حالت دون اتصاله بالعلماء ورجال السياسة خوفا من تأثير نفوذه فى الناس وانتشار آرائه بينهم٠

ووصل جمال الدين الى الهند على كره من الحكومة الانجليزية التى بثت حوله العيون والأرصاد لتحول بينه وبين رجال العلم والدين ، ولكنها لما عجزت أمام تأثيره الروحى وخافت من انتشار تعاليمه فى نفوس تواقة الى الحرية رحلته على باخرة ذاهبة الى السويس ولم يكن قد مضى على اقامته أكثر من شهر٠٠ ومر فى طريقه بمصر ولكنه لم يمكث بها أكثر من أربعين يوما تردد فيها على الجامع الأزهر ، وعلى الرغم من قصر هذه المدة فقد استطاع أن تعرف من أحوال المصريين الشىء الكثير ،

وأن يلم بكثير من عاداتهم وأخلاقهم ، وكانت هذه الفترة تمهيدا لصلات عقدت فيما بعد بينه وبين عدد كبير من طلاب العلم كانوا فيما بعد نواة للمدرسة التى أخذت على عاتقها انهاض الأمة من كبوتها وقيادتها فى طريق المجد والفخار المنشودين ٠

ولم تطل مدة اقامته فى ربوع النيل ، فقد برح البلاد الى الآستانة فى عام ١٨٧٠ م بدعوة من السلطان عبد الحميد الذى اكرم وفادته لما بلغه من علو شأنه ورغبته فى توحيد كلمة المسلمين تحت راية الخلافة ٠٠ وقد استقبله « **عالى باشا** » الصدر الأعظم ورجال الحكومة والعلماء استقبالا حافلا رائعا يليق بالمكانة التى ينزلها من سائر قلوب المسلمين ٠٠ وبدأ جمال الدين يمتزج كعادته فى حمية بالدوائر التى فتحت له صدرها ، منتهزا كل فرصة سانحة لاعلان آرائه ، ونشر تعاليمه ، ولم تمض ستة أشهر على وصوله الى الآستانة حتى عين عضوا بمجلس المعارف ، ولما كانت طبيعته طبيعة الرجل الطموح والوثاب الثائر على كل ما يراه باطلا غير موصل الى الغاية فقد بدأ بالدعوة الى اصلاح سريع أثارت حفيظة « **حسن افندى فهمى** » شيخ الاسلام فى ذلك الوقت ٠

ودعاه مدير دار الفنون فى أواخر نفس العام ليحاضر الطلاب فى الحث على الصناعات ، غير أنه احتاط للأمر بعرض خطابه قبل القائه على كثير من رجال السلطة والنفوذ ، وأشعلت الحفاوة البالغة التى قوبل بها جمال الدين ساعة القاء خطابه نار الحقد الكامنة فى قلب شيخ الاسلام الذى كان يتربص بكلامه الدوائر ٠٠ ويقول الامام محمد عبده فى ذلك : « وأرسل حسن افندى أشعة نظره فى تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقا » ٠٠ ولقد أشاع الحاقد الحسود أن الافغانى زعم أن النبوة فى صنعة ، مدللا على ذلك بأنه ذكر النبوة فى خطاب يتعلق بالصناعة ٠٠ وثار الجدل بين الرجلين انحاز فيه لكل منهما فريق من الناس ٠٠ **واشتدت الخصومة بينهما** حتى رأت الحكومة أن تطلب من الأفغانى أن يترك البلاد ولو لمدة من الزمن تسكينا للخواطر ، وتهدئة لثورة الأعصاب ٠

وما كان جمال الدين بالرجل الذى تضيق به الدنيا ٠٠ فهو أينما حل وجد الانصار والمريدين ، وهذا ما حدث له عند رجوعه الى مصر فى ٢٣ مارس عام ١٨٧١ م ، فقد رحب المصريون بمقدمه ، واشتركت الحكومة فى هذا الترحيب معبرة عنه بصرف عشرة جنيهات راتبا شهريا ينالها من خزانة الدولة ترغيبا له فى البقاء ، واعترافا بمكانته العالية وفضله العظيم ٠

وصل جمال الدين الى مصر ، وما هى الا أيام على اقامته حتى ذاع خبر وجوده ، وما هى الا أيام حتى التف حوله رجال العلم والدين الذين نزعت نفوسهم الى الاصلاح والوقوف على العلوم والمعارف الجديدة ٠٠ وما هى الا أيام حتى لهجت الألسن بذكر معارفه وعلومه ، وسرت بين الساسة رغبة ملحة دفعتهم الى تفهم آرائه ومراميه ٠٠ وعكف جمال الدين بعد أن استقر به المقام على دراسة السياسه المصرية دراسة وافية شاملة ليتمكن على ضوئها من تنفيذ ما يرغب فيه ، ويحاول جهده الوصول اليه ٠٠ ومضى الزمن تنصرم أيامه يوما بعد يوم ، وكانت مصر قد بدأت تعانى الشدة والعسر من جراء الأزمات المالية والاقتصادية التى جرتها اليها رغبة الخديوى « اسماعيل باشا » فى أن تكون البلاد قطعة من أوربا طفرة واحدة ٠٠ وابتدأ التدخل الأوربى لحفظ التوازن المالى يثقل كاهل البلاد ويضيق عليها الخناق ٠

ورأى جمال الدين أن خير ما يقوم به لخير هذه الأمة الاسلامية حمل تلاميذه على الكتابة وانشاء الفصول فى الصحف ليكونوا نواة طيبة صالحة وليكونوا قادة الرأى يوجهون المصريين الوجهة الصحيحة ، ويرسمون لهم الطريق السوى، ويغرسون فيهم بذور الاصلاح المنشود ٠٠ وما زال بالمتصلين به حتى أخرجهم من عزلتهم التامة واعتكافهم ، وحتى رغبهم فى دراسة السياسة المصرية ٠٠ وما زال بهم حتى نبههم الى **مضار التدخل الأوربى** ومقدار ما تعانيه البلاد من زيادته أو بقائه ٠

وشاءت الظروف السياسية أن يخلع اسماعيل وأن يولى مكانه « توفيق باشا » فى ٢٥ يونيو من عام ١٨٧٩ م ٠٠ وكان توفيق صديقا لجمال الدين ، محبا له ، راغبا فى دروسه ، وظن رجال الاصلاح أن الخير سوف يأتيهم على يدى الخديوى الجديد ٠٠ غير أنهم صدموا بصعاب كثيرة متشعبة أولها العلماء الذين نقموا على جمال الدين قراءته بعض كتب الفلسفة على أنصاره ومريديه ، والذين نقموا عليه لخروجه عن التقيد ببعض العادات الدينية ، والذين وجهوا اليه اللوم لعدم تدين كثير من تلاميذه ٠٠ وثانيها الحكومة التى أقلقتها دعوته الى ايجاد نظام دستورى وحكومة مسئولة ومجلس نيابى ينقذ البلاد مما تعانيه ٠٠ وثالثها الدولة المستعمرة التى ناصبها جمال الدين العداء والتى لم يهمل الطعن فى تدخلها ، ويستعرض المصائب التى تعود على البلاد من استعمارها ٠

تكاتفت هذه الصعاب كلها أمام جمال الدين ورجاله ، مصوبة حرابها نحو ظهورهم ٠٠ وأوعزت انجلترا بتخليص البلاد من السيد ، ووافق على هذا الايعاز هوى فى نفس توفيق باشا الذى وجد أن التخلص من المشاغب الخطر أيسر من انجاز الوعود التى كان قد وعده بها قبل اعتلائه أريكة البلاد ٠٠ ونفى جمال الدين فى سبتمبر عام ١٨٧٩ م ،واذاعت الوزارة بلاغا رسميا من ادارة المطبوعات بتاريخ ٢٦ أغسطس سوغت فيه نفى السيد بعبارات جارحة مليئة بالكذب والافتراء ٠

***

نفى جمال الدين من مصر فولى وجهه شطر حيدر أباد الدكن ، وفيها ألف كتابه « رسالة الرد على الدهريين » ، وهو المؤلف الوحيد الذى كتب له الخلود دون سائر مؤلفاته ٠٠ ولما قامت الثورة العرابية عام ١٨٨٢ م دعته الحكومة الانجليزية الى الاقامة فى كلكتا ، فلما انتهت الثورة واطمأنت انجلترا على مركزها فى مصر تركت له حرية اختيار الجهة التى يقصدها فتوجه الى لندن ، ثم بارحها الى باريس حيث أقام ثلاث سنوات كان خلالها كتلة من النشاط ، وعاملا من عوامل الدعاية مما وجه اليه انتباه الحكومات الأوربية ذات المصالح فى البلاد الاسلامية ٠٠ وفى عام ١٨٨٣م قامت بينه وبين « ارنست رينان » مناقشات فى جريدة « اليربيا » الفرنسية فى موضوع الاسلام والعلم ٠

ووافاه فى باريس صديقه وتلميذه الامام الشيخ محمد عبده وأصدرا معا جريدة « العروة الوثقى » لتحرير الشرق مما يعانيه من ظلم واضطهاد ٠٠ وشاء الحظ العاثر ، أو شاءت سياسة القوة التى ينغصها انتشار الدعوة الى الحرية أن تضيق الخناق على الجريدة حتى عطلت ولما يصدر منها غير ثمانية عشر عددا ٠٠ وسافر جمال الدين بعد تعطيلها الى لندن لمبادلة الساسة البريطانيين الرأى فى الثورة القائمة فى السودان ٠٠ وجمع المستر « بلنت » بينه وبين اللورد « سالسبورى » واللورد « تشرشل » لعرض وجهات النظر ٠٠ ولما فشلت المفاوضات لموت « المهدى » زعيم الثورة ، ولانفراج الأزمة أمام انجلترا ، سافر جمال الدين الى ايران بدعوة من الشاه ناصر الدين ٠٠ ولما أحس تنكر الشاه له غادر البلاد الى بطرسبرج حيث مكث أربع سنوات أقنع خلالها القيصر بحسن معاملة المسلمين والسماح لهم بطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية ٠

وسافر فى عام ١٨٨٩ م الى باريس وهناك التقى بالشاه « ناصر الدين » الذى حبب اليه العودة الى ايران مرة ثانية ٠٠ وسارع الشعب الايرانى الى الالتفاف حول السيد من جديد على وجه أبعث للمهابة وأدل على الحب والثقة٠٠ وقد أثارت الأفكار الحرة التى بعثها فى الملتفين حوله عوامل الغيرة والخوف ٠٠ وأحس جمال الدين بتغير قلب الشاه عليه ، وظهرت العداوة جلية واضحة فى غير خفاء أو تكتم ، وأرغم السيد على الاحتماء بمقام « الشاه عبد العظيم » ، غير أن احتماءه لم

يحل دون وصول أعوان الشاه اليه وأخذه عنوة على الحدود فى اواخر عام ١٨٩٠ ، وقيل فى أوائل عام ١٨٩١ م ، وكان يعانى فى ذلك الوقت آلام المرض ٠٠ ويصف السيد جمال الدين هذه الحادثة فيقول : « سحبونى على الثلج الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة لايمكن أن يتصور دونها فى الشناعة ٠ ثم حملنى زبانية الشاه ـ وأنا مريض ـ على برذون (دابة) مسلسلا فى فصل الشتاء ، وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية ، وساقنى جحفله من الفرسان الى خانقين » ٠٠ وأثرت هذه الحادثة فى نفس جمال الدين أثرا بالغا جعله يتجه فى قوة وعنف الى محاولة القضاء على الشاه ٠٠ يقول الأستاذ أحمد أمين فى ذلك : « لقد آلى أن ينتقم منه شر انتقام ، وألا تهدأ نفسه حتى ينزله عن عرشه ، وقد بر فيما أقسم ٠٠ فأخذ يكتب الى علماء الدين المسموعى الكلمة يهيجهم على الشاه ، ولا يتورع أن يصفه بأقبح الصفات ، ويبين ضرره على الأمة ، ويثير عاطفتهم الدينية ليشغبوا عليه حتى يخلع » ٠

واغتيل الشاه ناصر الدين بعد عودة جمال الدين الى لندن لمحاربته بقلمه ولسانه ، وللسعى لتخليص الشعب الفارسى من ظلم الحكم الاستبدادى ، واتهم السيد بالايعاز الى « ميرزا رضا الكرمانى » بقتل الشاه ، غير أن الأستاذ العقاد يقول : « كان ميرزا رضا الكرمانى من البابيين ، ولم يعرف عن البابيين أنهم كانوا يحبون جمال الدين ذلك الحب الذى يدفع بالمرء الى المجازفة بالحياة ٠٠ فلعل الرجل لم يقدم على قتل الشاه الا انتقاما لابناء مذهبه ، ولعله لم يذكر اسم جمال الدين وهو يباغت الشاه الا ليلقى الشبهة عليه ٠٠ أو لعله لم يذكره قط فى ذلك الموقف وانما افترى المفترون تلك الكلمة على القاتل ليقنعوا حكومة الآستانة بتسليم جمال الدين الى الحكومة الفارسية وذلك غير بعيد » ٠

وفى عام ١٨٩٣ م دعاه السلطان الى الآستانة وأكرم وفادته وشمله برعايته وعطفه خمس سنوات ، غير أن سائحا ألمانيا يقول فى وصف هذه المرحلة من حياة الأفغانى ٠٠ « كان يعيش بين مظاهر خداعة من عطف السلطان ، ودسائس لا تحصى يبيتها له رجال القصر ، وقد تضرع اليهم أن يسمحوا له بالسفر فأمسكوه بقية عمره فى اسار مموه بالذهب ٠

ومرض الافغانى بالسرطان الذى أصابه فى فمه ، وأخذ المرض يتزايد عليه ويشتد يوما بعد يوم ، وأمر السلطان بان يقوم كبير جراحى القصر باجراء عملية جراحية كانت فى الظاهر اظهارا لعطف السلطان ، وهى فى الحقيقة سعيا للتخلص منه ٠٠ يقول الاستاذ محمد سلام مدكور : « ولقد تحدث « لاون استرورج » الى الأمير شكيب أرسلان بأن السيد جمال دعاه بعد اجراء العملية الجراحية الخاصة ، وانه رأى حاله أزداد شدة بعد العملية فرجا منه أن يرسل اليه جراحا فرنسيا مستقل الفكر ، طاهر الذمة ليراه عقب العملية ، فارسل اليه الدكتور « لاردى » فوجد أن العملية لم تجر على وجهها الصحيح ، ولم تعقبها التطهيرات اللازمة ، وان المريض قد هلك بسبب ذلك ، وعاد الى ستسبرغ وأنبأه بهذا الأمر المحزن ، وما مضت أيام حتى فارقت روح جمال الدين جسده » ٠

وقد وافته المنية فى ٩ مارس من عام ١٨٩٧ م ولما يبلغ الستين من عمره ، ودفن فى مقبرة على مقربة من جامع التشويقة فى « نشان طاش » ، وأصبح جمال الدين غريبا حتى بعد مماته ، ولكن يكفيه فخرا أنه عاش للعالم الاسلامى ولعزته ، واننا بعد ستة وستين عاما لا زلنا نكتب عنه وكأنه بيننا بآرائه وتعاليمه ، وكأننا نستمع اليه وهو يتحدث عن وجوه الاصلاح ، وأسباب العزة والقوة ٠٠ ووسائل النهوض بالشرق واعادة المجد القديم للأمة العربية ، وتنقية الاسلام مما طرأ عليه من الشوائب والافتراءات ٠٠

رحم الله جمال الدين فقد أشعل الثورة فى كل بلد حل فيه ٠٠ الثورة التى تستهدف التخلص من الظلم والفساد ، والقضاء على المستعمر المغتصب وارساء قواعد الاستقلال ونشر مبادىء العدل والمساواة ٠

نظرية الاسلام في التسعير والاحتكار

الاستاذ سليمان حسن عبد الوهاب

ينظر الاسلام الى الاعمال التجارية نظرة تقدير ويعتبر التجارة عملا جليلا نافعا ، ويسمو بالتجار الى درجة الصديقين والشهداء ، وذلك لانها مقياس رقى الامم وميزان تقدمها ، وميدان انتاجها ، ومعراج نهضتها ، والامم اليوم تتنافس فى التجارة تنافسا غريبا وتحشد لها الايدى المنتجة وتسير لهاالجوارى والمنشآت فى المحيطات كالاعلام ، وتشق البحار ، لتغزو بتجارتها أمما أخرى ، وتتحكم فى الاسواق بوفرة انتاجها وتسيطر على العالم بثروتها والاسلام لم يقف أمام الاعمال التجارية مكتوف الايدى بل رغب فيها ونهض بها .

روى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **يحشر التاجر الصدوق يوم القيامة مع الصديقين والشهداء** »

وروى ابراهيم الحربى عن نعيم بن عبد الرحمن : « **عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق** » .

ونظرا لان العمل التجارى حياة الامم ، ولا يمكن لشعب أن يستغنى عنه ، وأنه ضرورة للعالم ضرورة الشمس والهواء نتيجة لتبادل المنافع وتصريفا للانتاج وضعت الشريعة الاسلامية للتجارة موازين مستقيمة من صنع الله لا من صنع البشر ، لو اتبعها التجار واستقاموا عليها لما كسدت تجارة ، وما بارت صناعة وما شل انتاج ، وما غبن مستهلك . وهاته الموازين تتلخص فيما يلى :

أولا : على التاجر ألا يغش ولا يدلس ولا يكتم من معايب البيع شيئا ، ولا يتخذ الحلف سبيلا لترويج بضاعته وطريقا لانفاق سلعته .

روى الترمذى عن رفاعة بن رافع ، قال : خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المصلى فرأى الناس يتبايعون ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« **يا معشر التجار** » فرفعوا أعناقهم وأبصارهم اليه فقال : « **ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من من اتقى الله وبر وصدق** » .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « سمعت رسول الله صله وسلم يقول : « **الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب** » .

وروى مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر على صبرة طعام وأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : **ماهذا يا صاحب الطعام** . قال : أصابته السماء يارسول الله ، قال : « **أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس .. من غشنا فليس منا** »

وروى البيهقى والحاكم عن ابن سباع قال : اشتريت ناقة من دار وائلة بن الاسقع فلما خرجت بها أدركنى يجر ازاره فقال : اشتريت .

قلت : نعم .

قال : أبين لك ما فيها .

قلت : ما فيها ؟ انها سمينة ظاهرة الصحة .

قال : أردت بها سفرا أو أردت بها لحما ؟

قلت : أردت بها الحج .

قال : فارتجعها .

فقال صاحبها : ما أردت الى هذا أصلحك الله تفسد على .

فقال : انى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « **لا يحل لاحد يبيع شيئا الابين مافيه ولا يحل لمن علم ذلك الا يبينه** » .

والاحاديث فى هذا الشرط مستفيضة :

ثانيا : على التاجر توفية الكيل والميزان ، والبعد عن البخس والخسران . قال الله تعالى : « **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين** » .

وقال عز وجل : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون. واذاكالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » .

ثالثا : على التاجر أن يصدق فى سعر يومه ولا يخفى منه شيئا ، وأن يتباعد عن التغرير بالمشترى بل يحب له ما يحب لنفسه وأن يكون له ناصحا أمينا . لذا تجد الدين نهى عن بعض صور المبايعات التى يقصد منها استغلال أحد طرفى العقد : فنهى عن بيع الغرر - بيع المجهول كبيع السمك فى الماء - وتلقى الركبان ، وعن البخس وبيع حاضر لباد .

روى الستة عن ابن مسعود ، نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تلقى البيوع .

ورووا أيضا عن ابن عمر ، نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن **النجش** - وهو يزيد فى الثمن ليوقع غيره لا ليشترى - .

ورووا عن أبى هريرة أن النبى نهى أن يبيع حاضر لباد وأن يتناجشوا .

وقصد الاسلام من هذه المعايير أن يسد ابواب التغرير بالناس واستغلال غفلتهم واستلاب أموالهم بغير حق وأن يراقب كل ربه فيما يعمل ، ولا يغرب عن الفهم أن الدين قد وضع قاعدة عامة للمعاملات أيا كانت يريد بها نصب العدل وتحقيق المساواة وتجنب الضر ورعاية المصلحة العامة ، قال تعالى :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » .

وقال تعالى : **« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما »** .

وروى مسلم عن تميم الدارى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« الدين النصيحة » ثلاثا .. قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم »** .

وروى البخارى ومسلم عن ابن جرير رضى الله عنه: **بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم** .

يتبين من هذا كله أن الاسلام أفاض على المعاملات أشعة من روحه وسبغها بسماحة وألبسها لباس التقوى ومزجها بالعقيدة الطاهرة وجعلها جزءا من الدين . فالدين المعاملة حتى تجرى المعاملات على صراط سوى فلا استغلال ولا استضعاف ولا استنزاف ، وانما المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ، وهذا هو الفارق بين المعاملات الاسلامية والمعاملات المدنية . فالمعاملات المدنية لا قلب لها ولا ضمير ، همها جمع المال ،واقتناء الثروة من أى طريق وبشتى الوسائل ، وان كان فى ذلك فساد البلاد وهلاك العباد . فأباحت الربا وجوزت رفع الاسعار ، وأباحت الاحتكار ، وتحكمت فى الاسواق وأذلت رقاب الناس .

أما الاسلام فمن فطرته أن جعل أساس المعاملة الرفق وسيطر عليها بهدايته ، وأقام لها طريقا معبدا يسلكه المتعاملون فلا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، فلا يضل ولا يضل ، ولا يظلم ولا يظلم ، ولا ضرر ولا ضرار .

بصر الاسلام بطبيعة الحياة وعلم أنها تقلبات وأن الدنيا مفاجآت وأن العالم مملوء بالازمات ، فأعد لذلك عدة تحفظ التوازن وتمنع الطغيان .

علم الاسلام أن الانسان فى طبيعته حب المال وفى غريزته حب التكاثر ، وأنه جبل على الشره والطمع فأقام له حرسا شديدا من قانونه يقطع على ذوى الاطماع أطماعهم ويفسد على عصابة الجشع أمرهم ، ويهيب بهم أن كفوا ولا تغلوا ولا تظلموا ، وكونوا عباد الله اخوانا .

آمن الاسلام بأن العالم لا يستغنى عن حرب وأن النزاع الدولى لا يقف عند حد ، نتيجة لتنازع حب البقاء . فينجم من جراء ذلك المجاعات وتحل الازمات، وتقل الاقوات والكساء ويحتكر الغذاء ويتحكم الغلاء وتنهض السوق السوداء .

هنا تجد يد الاسلام الرحيمة على الناس ، وتشهد له موقفا مشرفا ، يحمى البرية من نار التجار الجشعين ويحفظها من شر المحتكرين لتعلم أن الاسلام قد تغلغل فى نظام المعاملة فوضع لها أسسا ثابتة كما تغلغل فى نظم الاخلاق وأسسها على تقوى من الله ورضوان .

ألا قارنوا بأبصاركم وأصيخوا بأسماعكم واستمعوا لصوت الدين مدويا بين التجار ناهيا عن الاحتكار وضاربا بيده على غلاء الاسعار وقولوا للناس : ان دين الاسلام ما فرط من شىء فى أمور الدين والدنيا .

وروى أحمد ومسلم وأبو داود عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبد الله أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : **« لا يحتكر الا خاطىء »** .

وروى احمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء »** .

وعن فروخ مولى عثمان بن عفان : أن طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا طعام جلب الينا - أو علينا - فقال : **بارك الله فيه وفيمن جلبه الينا أو علينا . فقال بعض الذين معه يا أمير المؤمنين قد احتكر . قال : من احتكره ؟. قالوا : احتكره فروخ ومولى عمر بن الخطاب . فارسل اليهما فاتياه ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس » . فقال فروخ : يا أمير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك ألا أعود الى احتكار طعام أبدا .**

الاحتكار ادخار الطعام بقصد الاغلاء او اخفاؤه طلبا لارتفاع الاثمان أو تهريبه تحكما فى السوق ، وهذا فى شرعة الانصاف ظلم ماحق وعمل بائق وفعل دنىء وقصد وبىء يراد به ايقاع الضرر بالبشر وانزال المسغبة والمجاعة بهم ، وفاعله مجرم أثيم جان على الانسانية وقاتل للناس ، حكم الدين عليه بأنه خاطىء ملعون وانه يدخل نارا وقودها الناس والحجارة وأن ذمة الله قد برئت منه وتوعده الله بأخبث الامراض ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

والاحاديث السابقة تنهض بمجموعها ونصوصها على أن الاحتكار محرم وكبيرة من الكبائر .

لذلك وجه العلماء والائمة أنظارهم الى هذه النصوص وفقهوها واختلفت أنظارهم تبعا لاختلاف وسائل البحث. فيرى حجة الاسلام الغزالى أن النهى متجه الى القوت وما يعين ويدخل فى القوت كالزيت والسكر واللحم والفواكه ، دون ما لا دخل له فى القوت كالادوية والملابس والمتاع والعطور .

ويرى الامام الغزالى أن التحريم عام فى جميع الاوقات : سواء فى ذلك وقت الغلاء والرخاء ، وذلك لان حبس الطعام وقت الرخاء يؤدى الى مبادىء الضرر ومبادىء الضرر تؤدى الى عين الضرر وان كانت دونه فى الاثم .

ويرى جمهور الشافعية واحمد بن حنبل أن النهى متجه للقوت فقط دون غيره ، وذلك بخصوص وقت القحط والغلاء .

أما اذا كثرت الاقوات وتتابعت وحدث رخاء عام ووجد الناس كفايتهم بلا أدنى مشقة فلا باس عندهم من حبس الطعام لوقت الحاجة .

ويرى الامام السبكى أنه اذا كان الزمان زمان قحط كان ادخار السمن والجبن والزيت « **مما يعين على الاقوات** » اضرارا بالناس فينبغى أن يقضى بتحريمه واذا لم يكن اضرارا ولا غلاء فلا يخلوا الاحتكار من كراهة على أى حال .

ويرى القاضى حسين أن الناس اذا احتاجوا الى الثياب لستر عورتهم ودفع البرد عنهم يحرم امساكها وحكرها .

وقال الامام الشوكانى : يحرم الاحتكار اذا أدى الى الضرر لان العلة هى الاضرار ، ويستوى فى ذلك القوت وغيره لحصول الضرر من الجميع .

والقول الوسط : هو القضاء بالتحريم اذا قصد الضرر ولو مالا وتمنى التاجر الغلاء وحبس الطعام تربصا لذلك ويعم التحريم كل ما يحتاجه الانسان من غذاء وكساء وفاكهة ودواء وما يعين عليها ويتداخل فيها . لان ذلك تتوقف عليه صحة الانفس ، ومن ضرورات العيش لسلامة المجتمع .

ولقد أنشئت وزارة التموين لمراقبة التجار وتحديد الاسعار وتيسير المؤونة للناس والحد من سطوة الغلاء . فكان ذلك عملا نبيلا .

قد يقول قائل : ان الاحتكار محرم حقا ولا يرضى به ذو مروءة وانه خيانة للمواطنين ولكن تحديدالسعر وتثمين الاشياء بأمر الحاكم لم يرد به نص او بالتالى قد ورد النهى عن التسعيرة .

فقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة عن أنس رضى الله عنه قال : غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله وسلم فقالوا : يارسول الله لو سعرت . فقال : « **ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، وانى لارجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطالبنى أحد بمظلمة ظلمتها اياه فى دم أو مال** » .

فالحديث دل على تحريم التسعير وجعله الرسول مظلمة ، فما الجواب ؟. والجواب عن ذلك من أربعة أوجه :

الاول : أن الحديث محجوج بأحاديث الاحتكارالواردة آنفا والتى تدل بنصها على أن من تدخل فى أسعار المسلمين لاغلائها فهو خاطىء يستحق أن يقذف فى النار، ومفهومها أن من تدخل للرخاء ورخص الاقوات وأوقف الاسعار بلا عدوان فهو الكريم الموفق ويستحق المثوبة من الله .

الثانى : يمكن حمل الحديث على منع التسعيرة بالنسبة للغلاء الطبيعى الذى اقتضته ضرورة رفع مستوى المعيشة وتكاليف الحاجيات ولم يفحش الغلاء وعندئذ يحرم التسعير حتى يسير العمل على قانونه الطبيعى .

الثالث : أن الشريعة الاسلامية ما جاءت الا لحفظ المصالح ودرء المفاسد ، فاذا رجحت المصلحة وجب طلبها واذا رجحت المفسدة وجب ردها والعمل على سدها . وهذه قاعدة مهمة دارت حولها أحكام اسلامية كثيرة لسلامة بنيانها . فالغلاء اذا فحش وأخذ يتزايد ، وفغر التجار أفواههم للطمع وجب على الحاكم أن يجمع وجوه التجار ويناقشهم فى الاسعار وحالة الاسواق ثم يحدد السعر على ضوء هذه الحالة مراعاة للصالح وسدا للذرائع .

الرابع : يحتمل أن يكون الحديث واردا لحالةمعينه هبطت فيها الاسعار وتدهورت الاثمان وكادت حركة التجار أن تشل . من كثرة العرض وقلة الطلب .

وفى هذه الحالة ، ينتفع المستهلك ويهلك التاجر والبائع ، فلما أذن الله بارتفاع السعر ، اقره رسول الله . نهوضا للاسعار ودفعا للضرر الذى لحق بالبائعين واعانة على الكسب المعقول .

أما اذا تبدل الوضع وتغير حال الواقعة وزالت الاسباب المانعة تبدل الحكم تبعا لذلك . وعلى هذا اذا اصطنع الغلاء وفحش وتزايد ، وأن من وطأته المستهلكين كان القول بالتسعير جائزا بل امرا واجبا . ولهذا ورد عن الامام مالك القول بالتسعير ، وكذا عن الشافعية رضى الله عنهم .

وقول الامام الشوكانى بتحريم التسعير اخذا من اطلاق الحديث وقوله أن الناس مسلطون على أموالهم والتسعير حجر عليهم وقوله رعاية مصلحة المشترى فى الرخص ليست باولى من رعاية مصلحة البائع بتوفير الثمن والحاكم مامور برعاية مصلحة المسلمين على السواء كل هذا لا يتجه ولا يستقيم .

لاننا لو أخذنا بظاهر الحديث لفتح باب الفساد ووضع التجار أغلالهم فى أعناق العباد .

والحاكم مأمور بالحرص على السلامة العامة وتوفير المصلحة للكافة وأيضا يرد عليه حديث عمر بن الخطاب السابق المروى عن أبى يحيى المكى : وفيه أن مولى عمر بن الخطاب قال يا أمير المؤمنين هذه أموالنا نبيع فيها ونشترى . وهذا يضاهى قول الشوكانى « ان المسلمين مسلطون على أموالهم ولا حجر عليهم » فرد عمر على مولاه بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر طعاما للمسلمين ضربه الله بالجذام او الافلاس .

وكان عمر بن الخطاب يقول : ان الناس لم يسلطوا على أموالهم بدون معيار ولم يمكنهم من الحرية المطلقة وانما قيدهم فى تصرفاتهم ومعاملاتهم بأحكام خاصة رعاية للصالح العام .

ولذا حرم الاحتكار ، لانه مؤد حتما الى غلاءالاسعار وارتفاع أثمان الحاجيات ، وفى هذا ضرر لو تعلمون عظيم .

بقى أن نقول : ان اختزان الطعام وادخاره لكفاية عام لقوت الاهل والعيال ، ليس احتكارا . فقد ثبت ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يدخر قوت عام من تمر وغيره لاهله ، وثبت أنه كان يعطى كل واحدة من زوجاته مائة وسق من خيبر .

وما رواه معمر عن سعيد بن المسيب أنه كان يحتكر الزيت ، محمول على احتكار كفاية أهله فى العام وبهذا فسر أبو حنيفة والشافعى قول معمر ، رضى الله عنهم.

وبعد فان الشريعة الاسلامية شريعة الخلود والبقاء لما فيها من مرونة الاحكام التى تساير البيئات وتتفق ومصالح العالم . ومما رفع قدرها وجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ندوة الشهر

نحو مجتمع أفضل

يقدمها :

عبد الرحمن الشربيني

منذ أيام .. وبدعوة من جماعة سيدات مصر .. وفى قاعة المحاضرات بكلية المعلمين .. التقت ((منبر الاسلام)) بلفيف من كبار المفكرين فى ندوة عنوانها ((نحو مجتمع أفضل)) ..

تحدث فى الندوة السادة :

* **الشيخ منصور رجب الأستاذ بكلية أصول الدين عن الدين وأثره فى بناء المجتمع .**

* **الدكتورة فتحية سليمان عميدة كلية البنات عن تربية النشء وأثرها فى بناء المجتمع .**

* **الأستاذ على الجندى عميد كلية دارالعلوم سابقا عن الأدب ونهضة المجتمع .**

* **الدكتور عبد الشافى غنيم الأستاذ بكلية المعلمين عن أثر الأخلاق فى بناء المجتمع .**

اثر الدين

بدا راى الدين فى حديث الاستاذ الشيخ منصور رجب :

ـ الدين فى اصله واحد .. لا فرق بين يهودية او مسيحية أو اسلام .. **((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه))** .

فالدين الذى أوصى به محمدا .. هو الدين الذى اوصى به عيسى وموسى .. وانما الخلاف فى الشرائع **((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا))** .. فشريعة موسى ليست شريعة عيسى ... وشريعة محمد ليست شريعة عيسى أو موسى ...

واذا كان الدين فى اصله واحدا .. فما هو اذن هذا الاصل الذى نزل من السماء الى الارض على السنة الرسل ؟

الاصل هو الايمان بالله .. **((الله الذى رفع السموات بغير عمد))** .. **((الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر))** .. **((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو))** .. هذا هو الاصل الاول الذى ينبغى أن يقوم عليه المجتمع الافضل ..

أما الاصل الثانى الذى يجب ان يقوم عليه هذا المجتمع فهو الايمان باليوم الآخر وما أعد فيه للمحسنين من ثواب .. وللمذنبين من عقاب .. **((يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم))** ..

أما الاصل الثالث لبناء المجتمع الافضل فهو العمل الصالح .. العمل الصالح لبناء الوطن .. العمل الصالح لبناء النفس .. العمل الصالح لكل ما ينفعنا فى دنيانا وفى ديننا .. العمل الصالح لكل شيء ..

وتساءل : هل هناك فى القرآن الكريم ما يدل على تلك الاصول التى أوردها القرآن ؟

واجاب على هذا التساؤل بذكر الآية الكريمة : **((ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون))** .

واستطرد يقول ان الذين يقولون ان الدين ليس من مقومات القومية العربية بدعوى أن من بيننا من ليسوا مسلمين ، عليهم أن يرجعوا لكتاب الله تعالى .. وهل نطمع فى أن تقوم القومية العربية على غير الايمان بالله والايمان باليوم الآخر .. وأن نعمل عملا صالحا !

ان الايمان والعمل الصالح يضمنان للانسان فى المجتمع حياة طيبة .. **((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة))** ..

فالايمان والعمل الصالح لابد منهما فى المجتمع الافضل .. والدين له فضل كبير فى تكوين هذا المجتمع ..

هذه هى الامة العربية ، كانت قبل الاسلام قوافل متفرقة متنابذة فوحدها الاسلام وجمعها على كلمة واحدة .. « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وحدها الاسلام توحيدا على أوسع نطاق جعل حاكمها عمر بن الخطاب يخاطب سحابة عابرة فيقول لها « امطرى حيث شئت .. فحيث تكونى سيأتينى خراجك » ..

يقولون : « لو أبطأ الاسلام قليلا لأكلت بنو تغلب الناس » ..

اذن كان الامر قبل الاسلام فوضى يجور قويهم على ضعيفهم .. فجاء الاسلام فسوى بينهم ، وصفى قلوبهم ، وانتقل بالناس من حال الى حال ..

وهكذا كان للدين الفضل الاول فى تكوين الامم والشعوب لانه كان يدعو للاخاء واحترام شخصية الفرد والمساواة ..

مساواة فى الانسانية : فلا فرق بين أسود وابيض.. واحترام لحق الحياة .. « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

ومساواة فى القانون : فلا فرق بين واحد وآخر .. الكل أمام القانون سواء .. وهذه قولة أمير المؤمنين عمر لأبى موسى الاشعرى .. « آمن بين الناس فى مجلسك وفى قضائك .. حتى لا يطمع شريف فى حقك .. ولا ضعيف فى عدلك » .

ومساواة فى التكاليف : تكليف مطلق .. كلف الله به النساء تماما مثلما كلف الرجال ..

اذن فالمجتمع الافضل هو الذى يقوم على المساواة .. على الايمان بالله .. على الايمان باليوم الآخر .. على العمل الصالح ..

التربية فى المجتمع

ثم أعقبه دور النشء فى المجتمع فتحدثت عنه الدكتورة فتحية سليمان ..

ـ كانت التربية منذ نشأة الخليقة وسيلة للمجتمع الافضل ، والدارس للتربية على مر العصور يدله التاريخ أن ليس هناك نهضة اجتماعية الا وسبقها اصلاح فى نظم التربية والتعليم ..

فهذه نهضة اليونان مثلا .. لقد قامت عقب تحسين فى النظم التربوية للدولة بين قوانينها المتعددة .. وهذا عصر النهضة الزاهر فى أوربا كلها .. لقد جاء اثر نهضة حركات تربوية ، حركة الافكار ، كتلك الحركة التى قويت ابتداء من القرن العاشر .. وماتلك النهضة الحالية التى ظهرت واضحة الا وليدة للحركات التعليمية فى القرن الثامن عشر .. والتى استمرت حتى الآن .

والتعليم كان دائما أداة اصلاح المجتمع ، ولم يفت الفلاسفة ذلك .. فأفلاطون كتب كثيرا عن التربية والتعليم فى مؤلفه « الجمهورية » وهو مؤلف ضخم فى الاصلاح الاجتماعى .. يقول فيه ان اصلاح المجتمع لا يأتى الا على أساس تعليم تربوى سليم .. يضمن للمجتمع أن يصير كامل العدالة .. وفيه يقول أيضا ان التربوى المحكم ينهض بالمجتمع نهوضا مثاليا .

وجان جاك روسو ، دفعته حالة البؤس والانهيار الخلقى فى المجتمع الفرنسى الى أن يفكر فى وسيلة لاصلاح الشعب وأفراده .. فهداه تفكيره الى أن يعمل أول ما يعمل على تربية النشء تربية سليمة .

واذا قلنا ان تربية النشء هى من وسائل المجتمع الافضل فانه يمكن القول أيضا انه لا وسيلة أقوى من ذلك فى تربية المجتمع ..

ان السنوات التى تقضى فى دور العلم تشكل الشباب .. والشباب عماد المجتمع .. المجتمع كلما تماسك .. كلما كان مجتمعا أفضل .. فوحدة المجتمع هى دلالة على سلامة تكوينه وابعاده عن عوامل التفكك، ودور التربية هو ايجاد قيم موحدة تكفل ضم أجزائه وتوحيد كلمته ، فيصبح مجتمعا قويا آمنا من عوامل التفرقة .. ولطالما كانت سياسة فرق تسد التى انتهجها معنا العدو هى من أسباب تأخر مجتمعنا فى الماضى ..

وكلما كانت الوسائل هادفة نحو البناء ، كلما كانت قوى المجتمع جبارة وهائلة وزادت مناعته ضد الانحرافات الاجتماعية .

ثم لخصت واجب القائمين على نظم التربية فى النقاط التالية :

* تربية النشء تربية صحيحة سليمة ، لان العقل السليم فى الجسم السليم ولان صحة الابدان هى من دعائم تقوية المجتمع .
* وتوحيد المبادىء والاهداف الاجتماعية ، ببث روح الوعى القومى من الصغر حتى يتعرفوا على مجتمعهم الذى يعيشون فيه وعلى تقاليده وآماله وآلامه ، وما به من مشاكل ونهضة مستقبله
* وتكوين شخصياتهم تكوينا سليما فلا يعتمدون الا على أنفسهم .
* وتكوين عقولهم وطريقة تفكيرهم بحيث يشبون على التفكير السليم .
* وتكوين علاقات سليمة بينهم على أساس البقاء لاكثر الناس قدرة على التعاون لا على القوة وحدها .. خصوصا وقد ثبت أن الانسان اجتماعى بطبعه .
* دفع النشء لان يحيا مع العصر الذى يعيش فيه لا يتخلف عنه فيصبح مطمئنا على مستقبله .

أثر الادب

وتلا ذلك دور الادب ، وكان فى حديث الاستاذ على الجندى :

ـ كان مفهوم الادب عند العرب أنه دعوة الى محاسن الشيم ، ومكارم الاخلاق ، وجمع الناس على ذلك ، ونداء الى الفضائل وزجر من الرذائل ، كما كان يقوم مقام الشرائع والقوانين .. ففى ظله نشأ العرب على الاباء ، والواجب وحماية الذمار ، والوفاء بالعهود والاعتراف بالجميل وتعشق الحرية ..

قال أحد الشعراء :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما

ولسنا على الاعقاب حين زايتنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقال شاعر آخر :

انا لمـــن معشر افنى أوائلـــهم
قيـــل الـكماة الا اين المحامونا

اذا الكمـاة تنحـوا أن يصـيبهمو
حد الرماة وصلنـــــاها بايدينا

وقال اعرابى فى اخ قتل ابنا له فآثر الصفح :

اقـول للنفس تأســـــاة وتعزية
احدى يدى أصـابتنى ولم ترد

كلتاهمـــــا خلتـــا من نقد صـاحبه
هذا أخى حين أدعوه ، وذا ولدى

وحتى فى الهجاء كان العرب يتهاجون ولكن لايسيئون لانهم كانوا سادة أشرافا ..

فالشريف الــكريم ينقص قـــدرا
بالتعـــدى على الشريف الكريم

ولما أشرقت أنوار الهداية برسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعاون الادب الصادق مع القرآن والسنة فى بناء المجتمع .. كان الرسول يستمع الى الخطباء ويستشيرهم ويجعلهم أداة من أدوات الجهاد .. فنصب المنبر لحسان فى مسجده .. وعفا عن زهير ..

كتب الرسول - عليه الصلاة والسلام - مرة لابى موسى الاشعرى .. « **مر من معك تعلم الشعر فانه يدل على اصالة الحس** » .

ان المواهب الكلامية تستهوى النفوس وتسيطر على الارواح بلا عنف .. انها تخاطب الوجدان .. وكانت أنجع الوسائل فى تربية الجماهير وصقل الاذواق من مختلف الطبقات .. فالاسماع اليها أسرع .. والنفوس اليها أميل .

انما تفعـل المقالة فى المـــر
ء اذا صادفت هوى فى فؤاده

ان الادب القومى المهذب يمكن أن يكون تراثا روحيا يجعلنا نأتى بالمعجزات ويسوقنا الى أنبل المقاصد ..

والآن ونحن فى مفترق الطرق وعلى عتبات بعث جديد .. نريد أدبا يملأ نفوسنا بأنواع العبارة وقدسية الجمال .. نريد أدبا يدفعنا الى الطموح والخـــلق والابداع ويسمو بنا فوق المادة ..

نريد أدبا يعتقنا من أصفاد الغرائز الوضيعة ويحلق بنا فوق شوائب الحياة .. ويعلو بنا حتى نرى جوهر الحق ونسمع النغمات اللدنية الخالدة ..

نريد أدبا يبصرنا بالمثل العليا ، ويرسم الحيـاة فى جميع صورها وأشكالها ويخلصنا من رواسب الظـلم والحواجز التى أقامها الاستعمار ويبشر بالوحدة الكاملة من المحيط الى الخليج .

نريد أدبا يكون شعار الاديب فيه :

وما من كاتب الا سيبلى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

اثر الاخـــلاق

وكان ختام الحديث فى الندوة عن دور الاخلاق وتحدث عنه الدكتور عبد الشافى غنيم :

- نحن فى حاجة ماسة الى مجتمع فاضل ..

وما أظن أن ثورة من الثورات كتب لها النجاح الا اذا اعتمدت على الاخلاق الى حد كبير .. ومهما كان أمر القائمين على الثورة من اللباقة فلن يحققوا لهـــا ما يشاءون الا اذا استطاعوا أن يقيموا المجتمع الذى يؤمن بها وبمبادئها ..

والتاريخ يحدثنا عن ثورات قامت وفشلت لان المجتمع لم يكن أهلا لهذه الثورة ..

فالثورة الفرنسية لم تستطع أن تحقق أهدافها ابان قيامها ..

فقد تخبط المجتمع وأكل كثيرا من زعماء الثـورة مبادئها ولم يحققوا مفاهيمها الا بعد قرن من الزمـان حينما قامت الجمهورية ..

اذن فالثورة لا تقوم على قدميها الا اذا استنـدت الى المجتمع الفاضل الذى يؤمن بمبادئها ..

والتاريخ يحدثنا كثيرا كذلك عن الكثير من المجتمعات السليمة التى لو اردنا السر فى تقدمها لما رجــع الا الى الدعائم القويمة ، ومن أخصها الدعامة الخلقية ..

فالمجتمع الاسلامى مثلا لم يحقق شريعته الغاليـة الا لانه قام على أسس خلقية قويمة .. وما محمد - صلى الله عليه وسلم - الا مثل طيب للانســان صاحب الخلق الكريم « **وانك لعلى خلق عظيم** » .. « **انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق** » .

بدأ دعوته على أسس خلقية .. فكان المشركون يشتدون فى ايذائه فلا يغضب ولا يتألم وانما كان جوابه على هذا الايذاء : « **اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون** »

وكذلك أيقظ محمد - صلى الله عليه وسلم - المبادىء الخلقية فى صحابته ومن أحاطوا به ..

فهذا أبو بكر خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول : ! **أيها الناس : انى قد وليت عليكم ولست بخيركم** »

أليس هذا هو منطق الخلق الذى رباه عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الوقت الذى كان منطق الحكم عند الملوك هو اعتبار الشعب كالسائمة لا حق له فى أن يتكلم وانما عليه أن يطيع .

وبعد أن ضرب هذه الامثلة استطرد يقول :

- يجب أن تكون المبادىء الخلقية أساسا لعلاقاتنا مع بعضنا لنحقق الامة الفاضلة فنلزم أنفسنا الزاما خلقيا سواء فى البيت أو المدرسة أو الدولة .

واختتم حديثه قائلا :

- ان حياة الفرد تختلف عن حياة المجتمع .. لان حياة الفرد قصيرة .. ومن السهل عليه أن يحصد ويجنى ثمرة ما غرس فى حياته .. أما المجتمـــع فحياته طويلة .. قد يقوم جيل بعمله ولكنه لايستطيع أن يرى نتيجة مجهوده .. وهكذا فقد نريد المجتمع المثالى ولكننا لا نراه .. والمهم هو أن نسهم فيه حتى نضمن أن المجتمع المثالى سيتحقق فى يوم من الايام ..

وبعد ..

فهذه هى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع الافضل .. الدين .. العلم .. الادب .. التربية والاخلاق .

ولن تنهض الامم الا اذا عرفت بهذه الدعائم كيف تبنى المجتمعات بين الشعوب .

عبد الرحمن الناصر

٢٧٧ - ٣٥٠هـ

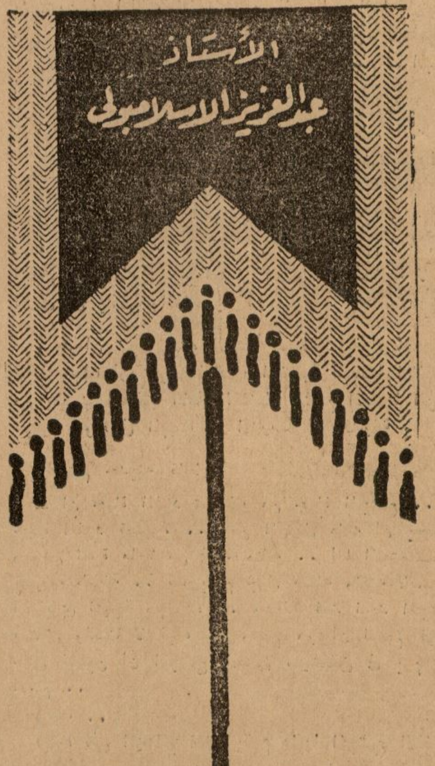

- ١ -

لم يعرف المسلمون فى مشـــارق الأرض ومغاربها ، خليفة من خلفاء الاسلام ، امتـــد حكمه ، وطالت امامته خمسين ســـنة ، بل أكثر قليلا ، غير الخليفـــة الأموى الأندلسى عبد الرحمـــن الناصر لدين الله ، اللهـــم الا المستنصر بالله الفاطمى ، حفيد الحاكم بأمر الله ، فقد امتدت خلافته بمصر حوالى ستين سنة .

ويكاد اجماع المؤرخين ينعقد على تفرد عبد الرحمن الناصر ، بأنه أجل بنى أمية فى المغرب شأنا ، ويسفر عن ذلك ، ويترجمـه فى ابانة قول ابن شقدة فى وصفه :

« عبد الرحمن الناصر أعظم بنى أميـــة فى الاندلس ، كان كبير القدر كبير المحـــاسن محبا للعمـــران ، مولعا بالفتح وتخليـــد الآثار ... »

ويزيد ابن الآبار الوصف توكيدا ، فيقول:

« أعظم بنى أميـة فى المغرب سلطـــانا ، وأفخمهم فى القديم والحديث شانا ، وأطولهم فى الخلافة ، بل أطول ملوك الاسلام قبله مدة وزمانا » .

ولا خلاف بين المؤرخين ، فى أنه كان أحد الرجال النوادر ، والقواد الخوالد ، وأنه كان عبقرى الفكر ، واسع الحيلة ، عظيم الدهاء ، جمع بين شدة العزم ، ورقة الشعور ، محبا للاصلاح ، متفانيا فى سبيل تحقيـــق النصر لأمته ، والذود عن حياض ملته ، ومن ثم كان جهاده منصرفا لرفع راية الاسلام ، فى ربوع أوروبا ، والقضاء على عناصر الفتنة التى مشت بها ثعالب الفرنج بين صفوف المســلمين فى الأندلس والمغرب الأقصى والمشرق .

- ٢ -

ولد عبد الرحمن فى رمضان من ســـنة ٢٧٧ للهجرة ، قبيل مقتل أبيه بأسابيع معدودة

.. فنشأ فى كفالة جده عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن ، أمير الأندلس المتوفى فى ربيع الأول من سنة ٣٠٠ هـ ، وقد عنى الجد بتربية حفيده ، وتخريجه فى صنوف الحرب وفنون الفروسية ، وندبه للجلوس مكانه فى بعض المواسم ، وتمثيله فى شهود الاحتفالات ، والنيابة عنه فى تصدر مواكب الأعياد ، ومحافل الشعب ، وعرض الجيش ، وقد بلغ من ذلك مبلغا بز فيه النظراء والأنداد ، فضلا عن تفوقه المرموق فى مضمار الدين والعلوم والآداب ، ومختلف الرياضات والأساليب والعادات .

لذلك لم يكن عجبا أن ينادى به أميرا للاندلس ، وأن يبادر الى مبايعته أعمامه وأعمام أبيه ، فى اللحظة التى سلم فيها جده أنفاسه الأخيرة ، واتجهت اليه جموع الشعب متوسمة فيه الخير واليمن ، معلقة عليه الرجاء .. ويترجم هذه الآمال ، قول امام من أئمة الأدب العربى ، بل أحد شيوخه الأربعة ، العلامة الأندلسى ، ابن عبد ربه ، صاحب « العقد الفريد » ، حيث يقول فى شعر له ، موجها الكلام الى عبد الرحمن الناصر ، فى يوم ولايته الحكم ، فى أول ربيع الأول من سنة ٣٠٠ للهجرة :

بدا الهلال جديدا
والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدى
ان كان فيك مزيد

ان كان للصوم فطر
فانت للدهر عيد

- ٣ -

كانت الأندلس وقتئذ تغلى بنيران الحروب والفتن والدسائس ، وتعج بألوان شتى من تعدد الامارات ، وكثرة الزعماء ، وتباين الطوائف ، وقد انقسم فيها المسلمون أمشاجا شتى ، وأخلاطا عجبا ، وكل فريق بما لديهم فرحون ، يصرفون همهم الى مناوأة أبناء ملتهم ، ويمالئون نصارى اسبانيا الشمالية ، على خلفاء جلدتهم ، ويحالفون ملوك أوربا وأمراءها على خلفاء أمتهم ، وقد ضاعت هيبة الخلافة فى المشرق ، وباءت بالانتكاس فى المغرب .

وجاء عبد الرحمن يتقد حمية لدينه ، ويفور شبابه بالثأر لبنى جنسه ، فتقوم سياسته على الصراحة والجرأة ، والثبات والعزم ، فلا وفاق ولا نفاق ، ولا تردد ولا احجام ، وانما استقامة وأقدام ، فانذر الخارجين من حكام الأقاليم على حكم قرطبة ، وطالبهم بتسليم حصونهم وأعلان خضوعهم ، ووعد من أسرع الى الطاعة بالعفو ، وتوعد من يتردد بالانتقام .

وقد صدق فى وعده ، صدقه فى توعده ، فقد عفا عن المستسلمين ، وكان أشد رفقا بالمسيحيين منهم ، حتى ان المؤرخين ، سواء أكانوا مسيحيين أسبانيين ، أم مسيحيين أوربيين ، قد أقروا بهذه الحقيقة ، وسجلوها فى مفاخر عبد الرحمن الناصر ، وجعلوها سمة من سمات عدل المسلمين ، ونبالة شريعتهم .

أما الذين تخلفوا عن دعوته ، أو عالنوه بالعداء ، فقد أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وقاد المعركة بنفسه ، متقدما جنده ، ونازلهم فى كل موقعة وجدهم فيها . وأمسك بتلابيبهم فى كل حصن فروا اليه ، أو جبل اعتصموا فيه ، وما زال يستولى على حصون الأندلس حصنا بعد حصن ، وقلعة تلو قلعة ، وجبلا وراء جبل ، حتى لقد أربى عدد الحصون وحدها على مائتى حصن ، دانت لأمره فى مدى سنتين ، وتوالت بعد ذلك الانتصارات المؤزرة ، مدينة تستسلم بعد مدينة ، وأميرا يجثو بعد أمير ، وحاكما يلوذ بالعفو بعد حاكم ، حتى تم الأمر جميعه لعبد الرحمن ، بعد حرب طاحنة ، كادت تأتى على الأخضر واليابس .

- ٤ -

وأخذ عبد الرحمن ، يعالج مساوىء الماضى ويسوى بين المسلمين والمسيحيين ، ويعمل على نشر العدل والانصاف ، وتغليب سلطان القانون ، ومزج الحقوق والواجبات ، بين

المسلمين والمسيحيين دون نظر الى الفوارق الدينية أو الجنسية لتكوين شعب واحد ، يتساوى فيه الحكام والمحكومون • وقد فعلت هذه السياسة فعل السحر فى قلوب الاسبانيين •• اذ أنهم لم يثوروا مدفوعين بكراهية لعبد الرحمن وانما كراهية للامراء من العرب ، الذين احتقروهم وأذلوهم •

فلما اطمأن عبد الرحمن الى نتائج سياسته ، اتجه الى اعدائه فى الخارج ، وهم ملوك أوروبا وأمراؤها ، الذين كانوا يبيتون أمرهم بليل ، للانقضاض على العرب فى الأندلس ، والثأر لهزائمهم المتوالية ، واسترداد الأقاليم التى فتحها المسلمون ودانت لهم طواعية واختيارا ، أو حربا واضطرارا •

ولا نطيل فى هذا ، وحسبنا أن نشير الى أن عبد الرحمن قاد معارك عدة ضد مسيحيى أوروبا ، فهزم جيوشهم ، وتقهقروا معتصمين بالجبال ، حتى انتهى الأمر الى أن بعض الأمراء والملوك طلبوا عقد صلح مع الامير الاموى ، فأجابهم الى طلبهم ، بل لقد بلغ الأمر ببعض أولئك الملوك أن يستنجدوا به لتوطيد سلطانهم وببعض الملكات أن يلذن به لحماية عروشهن ، وتولية أبنائهن أو حفدتهن أولياء عهد لهن •

ويدلك على عظمة هذا الأمير الأموى ، أنه ظل سبعا وعشرين سنة فى جهاد وكفاح ، ينتقل من حرب الى حرب ، استتب له الأمر ، ودان الجميع لشريعة الحق ، بعد أن جاء والبلاد تمزقها الفوضى ، وتترجح بين غارات نصارى الشمال ، ومؤامرات الفرنجة ، فخلصها من التهلكة وأنقذها من الدمار ، وأعلى فيها كلمة الله ، فلما اطمأن الى ذلك أعلن نفسه أميرا للمؤمنين على المسلمين ، فكان بذلك أول خليفة للمسلمين فى الاندلس ، واتخذ لنفسه لقب : « الناصر لدين الله » فكان بذلك أيضا أول من اتخذ لنفسه لقبا من بين أمراء المسلمين وملوكهم فى الأندلس •

- ٥ -

وبلغت الأندلس فى عهده من القوة والمنعة والازدهار ، ما جعلها متجه أنظار العالم كله ، من مشرقه الى مغربه ، وضرب بهيبتها وجلال شأنها ، المثل فى سلطان القانون ، وتغليب العدالة ، ونشر الحضارة •

وأصبحت جامعة قرطبة منارة العالم فى اعلاء الفكر والعلم والآداب ، وأصبح بلاط عبد الرحمن ، وآداب السلوك والمراسم فيه ، مثلا يحتذى فى قصور الملوك ، بل قانونا ساريا يقتدى به فى جميع أوروبا ، حتى ليعده المؤرخون الأوروبيون ، ملكا عصريا بكل معانى الكلمة ، على الرغم من أنه عاش فى العصور الوسطى • ولذلك سعى اليه بالسفارة ملوك فرنسا وسويسرا وروما وامبراطور ألمانيا ، وأمبراطور القسطنطينية وغيرهم كثيرون •

ومما يرفع رأس المسلمين عاليا ، أن المستشرق الانجليزى لين بول ، وصف عاداتهم فى ذلك العهد ، فقال :

« كانت النظافة لدى المسلمين ، معدودة من الايمان ، بينما كان مسيحيو العصور الوسطى يحرمون الاغتسال ، لأنه فى زعمهم عادة وثنية •• وكان الرهبان والراهبات يتباهون بالقذارة حتى أن احدى القديسات افتخرت بأنها لم تغسل جسدها الى أن بلغت الستين من العمر ، فكانت القذارة من تعاليم الصلاح والتقوى لدى المسيحيين ، أما المسلمون فعلى العكس **من ذلك ، كانوا يراعون أدق شروط النظافة وكان دينهم يحتم عليهم أن لايقربوا الصلاة الا اذا توضأوا وتطهروا** » •

ويعجب « لين بول » من أمر هذا الرجل العظيم ، الذى انقذ الأندلس من نفسها ومن أعدائها ، بل خلق منها دولة عظيمة عزيزة الجانب ، لم يكن الحكم ولا القانون أعظم هيبة ولا أجل سلطانا فى العالم كله منه فى قرطبة ، وكانت قوته وثروة مملكته مضرب المثل فى أوروبا وأفريقية • وبلغت شهرته أقصى حدود المملكة الاسلامية بآسيا •

« وكان مصدر كل هذا الانقلاب العجيب رجلا واحدا ، عانده كل شىء فقهره ، ووقف فى طريقه كل شىء فحطمه •• بعث الأندلس

من حضيض البؤس الى قمة القوة والازدهار . ولم تصل البلاد الى كل هذا الا بذكاء الخليفة عبد الرحمن الناصر وصدق عزيمته » .

- ٦ -

ان عبقرية هذا الخليفة الذى امتد حكمه أكثر من خمسين سنة ، تزداد وضوحا ، حين تعرف أن البلاد فى عهده ، أثرت ثراء مدهشا ، وأن دخل الدولة تضاعف عشرين ضعفا عما كان عليه فى عصر عبد الرحمن الداخل ، فى الوقت الذى كانت القوة الشرائية للنقود تساوى خمسة أمثال ما تساويه فى عصر عبد الرحمن الناصر .

وقد لفتت هذه الظاهرة القوية ، المؤرخ « جوزيف ميكاب » فوصف الرخاء فى عهد عبد الرحمن الناصر بأنه كان شاملا ، وقال :

« ان الطعام كان رخيصا وكثيرا ومتنوعا ، وعاش ثلاثون مليونا من الأنفس فى رغد من العيش فى الأندلس منذ ألف سنة ، بفضل الادارة الحسنة التى تمتعت بها أسبانيا العربية فى عهد عبد الرحمن الناصر ، مع أن هذه البلاد لم تستطع تموين ستة ملايين من الأنفس ، وهو العدد الذى وصل اليه سكانها فى عهد حكامها من نصارى الاسبان ، بعد انتزاعها من الحكم الاسلامى عقب وفاة هذا الحاكم القدير ببضعة قرون »

وثمة ملاحظة جديرة بالتسجيل هى اختفاء حكم الاقطاع فى عهده ، وازدهار القرى وتوفر وسائل المدنية والنظافة بها ، وقد أربت على ١٢٠٠ قرية ، رتع أهلها فى بحبوحة من اليسر والهناءة ، فى الوقت الذى كان تسعون فى المائة من سكان أوروبا أرقاء أذلاء ، عبيدا أجراء .

لذلك يلخص العلامة دوزى حديثه عن عبد الرحمن الناصر فيختتمه بقوله :

« ان ذلك العهد الزاهر ، يثير الاعجاب والدهشة بالصانع أكثر مايثيرها المصنوع تثيرهما تلك العبقرية الشاملة التى لم يفلت شىء منها .. ان ذلك الرجل الحكيم النابه ، الذى استأثر بمقاليد الحكم وأسس وحدة الأمة ووحدة السلطة معا ، وشاد بواسطة معاهداته نوعا من التوازن السياسى ، والذى اتسع تسامحه الفياض لان يدعو الى نصحه رجالا من غير المسلمين ، لأجدر بأن يعتبر قرينا لأعظم ملوك العصر الحديث ، لا خليفة من خلفاء العصور الوسطى » .

- ٧ -

رحم الله أعظم أمراء الأندلس وخلفاءها ، فقد وصلت الدولة الاسلامية فى عهده ، من القوة والسؤدد والهيبة والنفوذ ، ما جعل العلماء والمؤرخين والشعراء يعجزون عن وصفه ، وهذا ابن الآبار يقول فى اقبال دولة وانقياد العصاة لطاعته ، ان ذلك مما تعجز عن تصوره الأوهام » .

ولعل خير ختام لهذا الحديث ، هو قول الامام المقرى صاحب « نفح الطيب » وأعظم من كتب فى الأندلس ، فقد أعلن رأيه فى عبد الرحمن الناصر ، بأنه :

« كان سلطانه أعظم ما كان ، وأعز ما كان الاسلام بملكه » .

ويحكى المقرى أيضا ، أن وجد بخط الناصر - رحمه الله - أيام السرور التى صفت له ، دون تكدير ، وقد بلغت أربعة عشر يوما ، ووجد مكتوبا على قبره ، هذه العبارة :

« هذا الخليفة الناصر ، حلف السعود ، والمضروب به المثل فى الصعود ، ملك الدنيا خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تصف له الا أربعة عشر يوما ، فسبحان ذى العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، لا اله الا هو » .

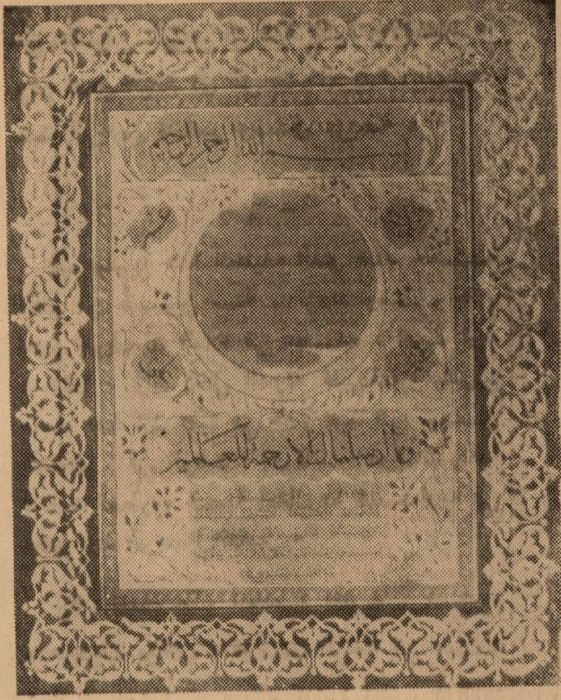

من أسرار الفن الإسلامى

الأستاذ أحمد ممدوح حمدى

مما يلفت النظر فى الفن الاسلامى بصفة عامة أنه فن زخرفى قبل كل شىء ، لذلك لا يعتبر غريبا أن يخلو متحف الفن الاسلامى بالقاهرة الذى يعد أعظم متحف للآثار الاسلامية فى العالم – من التماثيل الكثيرة واللوحات الفنية وثمت سؤال هام هو :

هل كانت هذه الظاهرة من وحى الفنان المسلم نفسه أم أن هناك أسبابا أخرى دفعت الى ذلك ؟

والواقع أن هذا السؤال يدور فى خلد كثير من الناس – ولهذا نرى من الواجب أن نفسر سبب ذلك بوضوح .

فى الواقع أن تصوير الكائنات الحية كان أمرا مكروها فى الاسلام وليس أساس ذلك القرآن الكريم وانما مرجعه بعض الأحاديث التى تروى عن النبى – عليه الصلاة والسلام – وعلى كل ، فان تلك الكراهية ليست جزءا من العقيدة الاسلامية . أما سببها ، فالخوف من أن تكون الصور والتماثيل سبيلا لرجوع العرب الى الوثنية ، التى كانوا حديثى عهد بتركها بعد أن كانت لها السيادة بينهم قبل الاسلام ، فضلا عن أن القوم فى فجر الاسلام كانوا يكرهون الترف ويعيشون عيشة بسيطة قوامها الايمان والجهاد فى سبيل الله . ويجب أن نذكر فى هذا الصدد أن الأساليب الفنية

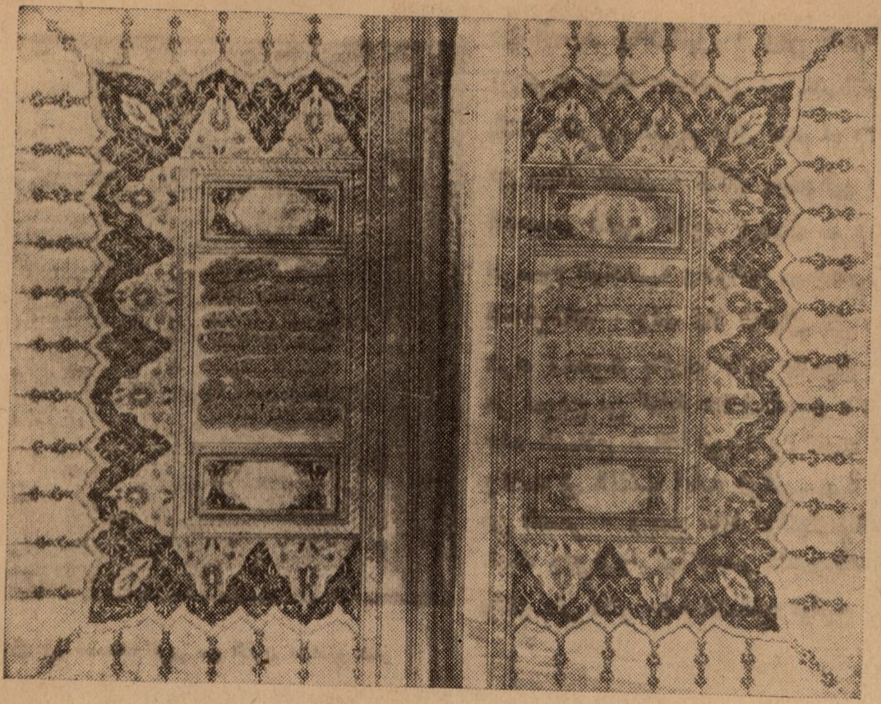

صفحتان من مصحف كريم من القرن التاسع عشر

التى قامت على أكتافها الفنون الاسلامية كانت قد بدأت قبل الاسلام فى هجر الرسوم الطبيعية وفى الاقبال على البادىء الزخرفية ، ومع أن الفنانين المسلمين لم يتقيدوا دائما بكراهية التصوير فى الاسلام ، فان هذه الكراهية من ناحية والبيئة التى ازدهرت فيها الفنون الاسلامية والأساليب الفنية التى ورثتها من ناحية أخرى ، كل ذلك حرم الفن الاسلامى من التماثيل المنحوتة ومن اللوحات الفنية المصورة وأصبح الفن الاسلامى فنا زخرفيا قبل كل شىء ، وأصبحت الرسوم النباتية والهندسية والرسوم الآدمية ورسوم الحيوانات المحورة عن الطبيعة تزين الجدران وصفحات المخطوطات والحاجيات التى نستعمل فى الحياة اليومية .

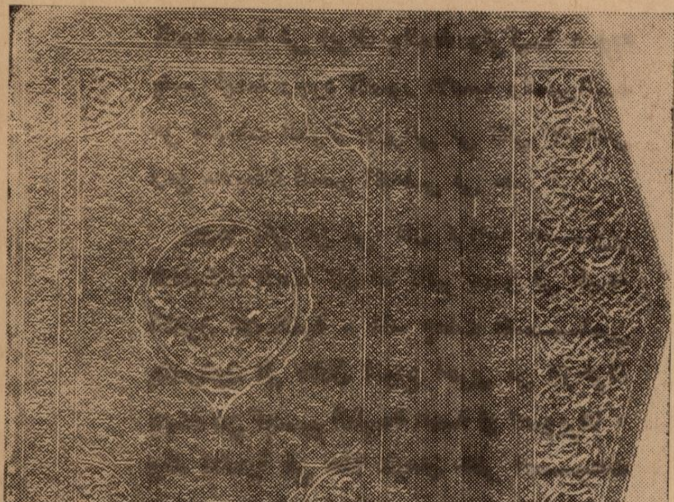

جلدة كتاب من صناعة مصر فى القرن الخامس عشر

وكانت كراهية التصوير وعمل التماثيل عامة بين رجال الدين فى الاسلام على اختلاف مذاهبهم من سنيين وشيعيين . ولكن هذا النهى عن تمثيل الكائنات الحية وتصويرها لم يكن يراعى بين المسلمين فى بعض الأحيان ،

من الصور والتماثيل • ومن ناحية أخرى أزدهرت مكانة الخطاطين فى الاسلام لعنايتهم بكتابة القرآن الكريم ولأن فنهم لم يكن مكروها من رجال الدين • وكان يليهم فى المكانة : المذهبون الذين كانوا يزينون - بجميل الرسوم الهندسية والنباتية - بعض صفحات المخطوطات • وقد زاد الاقبال على منتجات شراء مخطوط بأكمله كانوا يقنعون بالحصول على نموذج من كتابة خطاط مشهور ، وأصبحت هذه النماذج ضالة الهواة وارتفعت اثمانها وكانت فى الغالب آيات قرآنية أو أبيات من الشعر • وجمع منها الأغنياء والأمراء فى الهند وايران وتركيا ومصر المجموعات الفاخرة وكان على أكثر هذه النماذج توقيع الخطاطين

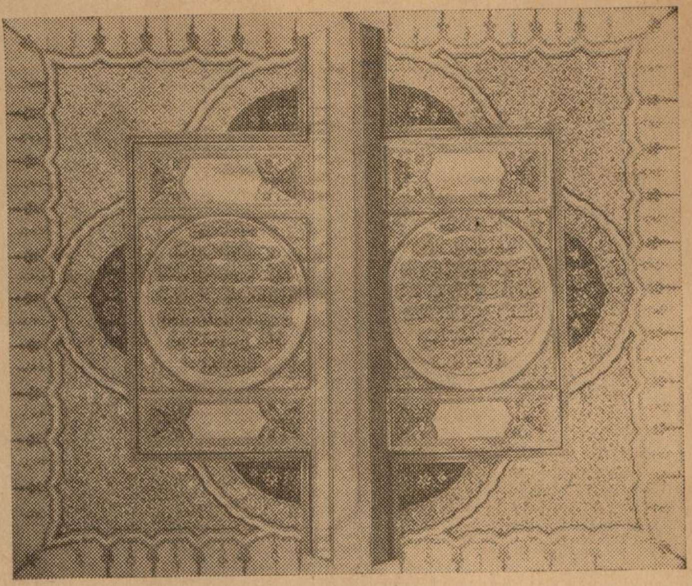

صفحتان من مصحف كريم من القرن التاسع عشر

بل كان لايلتفت اليه فى حالات كثيرة ولا سيما بين الأمم التى كان لها تراث فنى ومواهب فى التصوير تجعل اقلاعها عنه ليس هينا • وهذا هو السر فى ازدهار صناعة الصور والرسوم التوضيحية فى ايران والهند وتركيا • وبه يفسر أيضا وجود الصور الآدمية والحيوانية على منتجات الطراز الايرانى فى الفن الاسلامى وعلى منتجات العصر الفاطمى فى مصر •

ومهما يكن من شىء فان كراهية تصوير المخلوقات الحية كان لها تاثير عميق فى طبيعة الفنون الاسلامية ، فقد جعلت المسلمين ينصرفون الى اتقان أنواع أخرى من الزخرفة بعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية أو تصويرها • وقد أفلحوا فى هذا الميدان حتى أصبحت العناصر الزخرفية التى ابتدعوها طابعا على فنونهم وصارت تنسب اليهم كما يظهر من لفظ ((آرابسك)) كما ان المساجد وأثاثها والمصاحف روعى فى زخارفها استبعادرسوم الكائنات الحية فأصبحت فى الغالب خالية

ورقة من مصحف كريم مكتوبة بالخط الكوفى من صناعة مصر أو العراق فى القرن الحادى عشر الميلادى

الإسلام وعلم الاقتصاد

تقديم

الأستاذ أحمد بديع مصطفى

دين توافقه طبائع البشر فى كل زمان ومكان وهو موافق هذه الطبائع ما اتفقت مع الخير والسمو بالغرائز والوقوف الى جانب الحق بل هو الذى يهيئها لأن تقبل على الخير وتسمو بأحاسيسها وتقف فى وجه الباطل .

فهو لا يتعالى على قدرات البشر اذ يقول الله تعالى ((لا يكلف الله نفسا الا وسعها)) ويقول الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه)) انما بعثت رحمة للعالمين وهو لا يساير النفس اذا ما أرادت أن تهوى فى هاوية الاثم بل يقف أمامها حائلا ويمد يده ليمنعها من أن تدمر وتهوى

ففى القرآن الكريم ملاذ لمن خاف زيغ الشيطان ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)) .

ومادام الاسلام دين الفطرة وبه صلاح الدنيا والآخرة وما دام قد نزل لاصلاح حال البشر فانه لابد وان يتسع لكل علم يأتى به الأولون والآخرون ما دام هذا العلم يتم به صلاح أحوال العباد ..

والاقتصاد علم له مفاهيمه الحديثة الا أنه لايمكن أن ينشأ دون ان تكون له جذور ممتدة فى أعماق التاريخ ..

هو علم نشأ مع نشأة الانسان ومصداق ذلك حجتان أولاهما أنه علم ملاصق للعلاقات البشرية ـ ناتج عنها ومكون لها وما دامت هذه العلاقات قديمة قدم نشوء الانسان فان هذا العلم بأصوله وخطوطه الأساسية لا بد وقد نشأ من قديم والثانية أن كثيرا من النتائج التى أفاضها هذا العلم على الحياة ـ كوجود نقود يتعامل بها الناس وقيام نظم اقتصادية تحكم بعض المجتمعات . هذه المظاهر نقلت الينا من عصور قديمة ولا يمكن أن توجد هذه النتائج وتلك المظاهر دون أن توجد مسبباتها ومكوناتها ـ وتلك هى العلاقات التى يتكون من مجموعها علم الاقتصاد .

والاسلام قد أرسى لعلم الاقتصاد اصولا ومبادىء سار عليها وهيأها لأن تكون نواة مجتمع قوى ترفرف عليه الرفاهية ويسوده العدل والمساواة وقد حرص الاسلام على أن تكون لأمة المسلمين اكبر قوة واعدل حياة فالاسلام يكره السلبية ويحذر منها لأنها فتنة وضياع ..

وفى هذه العجالة لن نستطيع أن نكشف كل مبادىء الاسلام التى أقام على أساسها علم الاقتصاد الاسلامى ولكننا نرجو ان تكشف المباحث الاسلامية فى هذا الشأن وتعمق .

أما ما سنقصر عليه أمر هذا المقال فهو ايضاح بعض الأفكار الاساسية التى أخذ بها علم الاقتصاد الاسلامى خاصة فيما يتعلق بنظام الدولة الاقتصادى حتى يتبين كل مسلم وجه الحق ومسلكه .

وأول الاسئلة التى تدور - هل عرف الاسلام الاشتراكية ..؟

لا شك أن كلمة الاشتراكية بمعناها الاقتصادى حديثة نسبيا وهى بمفاهيمها من التكافل الاجتماعى والعدل ورعاية المدين تسير بخطى ثابتة لتنتشر فى اركان العالم .

ففى أوروبا لا يمر يوم الا ويظهر للاشتراكية فتح جديد ..

فكل دولها قد عرفتها ولكن الجديد انها قد بدأت تفسح لأفكارها الحقيقية المجال ولا تكتفى منها بقول معسول وعناوين براقة وانما يسير التطبيق الى جانب الفكرة ويفسح لرجالها سبيل القيادة والسلطة ..

ففى ايطاليا - قام رئيس للجمهورية هو من أحدث رؤساء الدول المنتخبين - اذ جاء فى أوائل مايو سنة ١٩٦٢ - وهذا الرجل هو الذى وضع ونفذ قانون الاصلاح الزراعى الايطالى الذى ملك للمعدمين فى جنوب ايطاليا أرضا زراعية كانت وقفا على كبار الملاك .

أما فى شرقنا العربى فقد أخذت الاشتراكية تدق بعنف كل الأبواب .

وهذا الانتشار ليس مرده الزحف العشوائى ولكنها النتائج المحتومة للمقدمات العلمية - فطبائع البشر ومقومات الحياة لا تتفق فى سيرها الطبيعى الا مع عدالة توزيع الدخول والثروات وتحت لواء الجزاء الأوفى لما يقدمه المجد والمخلص من بحث وجهود .

فالاقتصاد بحث منظم يعيش ليوافق ظروف الجماعة - الاقتصاد السياسى علم يدرس المشكلات التى تنشأ من وجود حاجات انسانية متعددة وموارد محدودة لاشباع تلك الحاجات طبقا للتعريف الذى يقول به الاستاذ الدكتور لبيب شقير .

وهو بذلك يبحث عن الوسيلة المثلى شان العلم الذى يسير فى ركب الحضارة ويحث عليها - ومن ثم كان ظهور الاشتراكية وتطورها ثمرة البحث المنظم الذى يقوم عليه علم الاقتصاد .

فهل عرف الاسلام تلك الفكرة ؟

ان الاشتراكية ولو أنها كلمة حديثة الا أن معناها فى العدل والكفاية قديم قدم تطلع الانسان نحو الأفضل .

والأديان جاءت لتعلم الانسان التطلع نحو الأفضل - والاسلام لم يجىء معلما فحسب ولكنه جاء مخططا للحياة الفضلى ..

والاسلام فى رسمه لأسلوب الحياة الذى يرتضيه قد أبرز على نحو علمى فريد وربما لأول مرة فى تاريخ البشرية معانى المساواة والعدالة وأنشأ النظم الكفيلة بتحقيقها وذلك الذى نقوله يؤيده الوجدان والعقل .

فالوجدان يشير اليه شعر شوقى الذى لم يكن باحثا عالما وانما كان شاعرا يرى بأحاسيسه ووجدانه .

الاشتراكيون انت امامهم

لولا دعاوى القوم والغلواء

داويت متئدا وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء

أما العقل فذلك دليله وحكمه - يقول الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل من تقوى الله .. والسعى على الرزق جهاد فى سبيل الله - فلا فضل لانسان على أخيه

الا بقدر عمله لدنياه فيما يرضى ربه كما هو بقدر عمله لاخراه فالله سبحانه وتعالى يقول فى محكم التنزيل وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ..

والرسول المصطفى يقول : « الناس شركاء فى ثلاثة « الماء والنار والكلأ » والكتاب الكريم يقول « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »

ثم تواترت أفعال الصحابة وأقوالهم — عثمان رضى الله عنه ينزل عن تجارته الكبيرة للمسلمين بغير مقابل آملا فى ثواب الله الذى يضاعف الحسنة الى عشرة أمثالها والأنصار يؤاخون المهاجرين ويشاركونهم أموالهم وينزلون لهم عن خير ما لديهم ..

والصحابى الجليل ابو ذر الغفارى يقول ملء فمه « لا يؤمن أحدكم يبيت شبعانا وجارة جائع »

والامام العظيم على بن ابى طالب ينادى « فى أموال الأغنياء ما يكفى الفقراء وما جاع فقير الا بما متع به غنى والله تعالى سائلهم عن ذلك » .

الا أن الاسلام دين العدالة الاجتماعية المطلقة — دين الحرية الحقة والمساواة الكريمة والعدل المطلق ..

ولكن الدين الحنيف يفضل بعض مذاهب الاشتراكية التى تطرفت .

فأولا — بعض الاتجاهات الاشتراكية تنكر الدين وترفضه وتترك الانسان للماديات وحدها حتى لتتصدع بين يديه العلاقات الأسرية والاجتماعية وهو لا يدرى .

ولما كانت الاخلاق كل لا يتجزأ فانها تكون قد خرجت من دائرة الاخلاقيات وتهاوت فى أحضان الالحاد .

أما الاسلام فيمكن أن نجمل نظرته فى عبارة واحدة : الاخلاق سيدة المادة — الاسلام توحيد وايمان ، فالعدالة عنده مقترنة بالتقوى والأخلاق مرتبطة بالسعى والعمل والجزاء والأخلاق كما يقول جورج ديهامل « روح العبقرية بل انها اندر من العبقرية — الأخلاق أثمن موهبة »

وقد حماها الدين الحنيف وحمى الانسان بذلك من هاوية مدمرة .

وثانيا : ترى بعض المذاهب المتطرفة أن سبيل اشتراكيتها هو اذكاء الصراع بين الطبقات حتى تثور الطبقة المستغلة فتقضى على الطبقات الأخرى وتسلبها كل مالها . أما الاسلام فهو دين السلام — دين الحب — دين الوفاء والاخاء ..

الاسلام هو الدين الذى بنى على الموعظة الحسنة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » « فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» لا زالت فكرة الاسلام هى الوسيلة المثلى التى يمكن أن تتفق والغاية المثلى ..

فالوسيلة والغاية عنده عمل يسأل عنه الانسان — لا غاية تبرر الوسيلة ولكن بقدر شرف الغاية يتحتم شرف الوسيلة — وتجاوب البشرية تؤيد هذا الالهام الالهى .

وثالثا : يعيش الاسلام مع الناس من حوله فى سلام « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

ولكن بعض المتطرفين من دعاة الاشتراكية لا يريدون أن يعيش العالم فى سلام وانما يعتقدون ان الحرب الشاملة هى جوهر مذهبهم المتطرف .

ورابعا — بعض المذاهب ترمى الى الفاء شخصية الفرد وجعله مجرد آلة وسط هذا المجتمع لا تحكمه ارادة ولا تعترف له تلك النظم بكيان انسانى ، أما الاسلام فقد اقر للانسان بحقوقه وحريته وجعل الفرد — ما دام قائما على اصلاح حاله وحال الجماعة من حوله — ركيزة بناء ولبنة فى المجتمع الاسلامى المتحرر .

قال تعالى فى سورة الاسراء ((ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) .

ومما تقدم نجد أمامنا السؤال الثانى : كيف رسم الاسلام الطريقة العملية لتحقيق العدالة الاجتماعية المطلقة ؟

لقد كثرت محاولات الشعوب لاكتشاف طريقتها فى الحياة وخاصة بالنسبة لسلوكها الاقتصادى .

وقد بدأت تلك المحاولات منذ أقدم العصور .

ففى مصر الفرعونية ساد النظام الاقطاعى القائم على ملكية النبلاء للأرض بينما ارتبط الشعب بهذه الأرض ارتباط التابع لسيدها وسيده .

وقد ظل هذا النظام وان تطور فى كثير من معالمه - سائدا لقرون طويلة وفى دول متعددة ..

ولا شك أن بعض الظروف قد أصابته بهزة وضعف ، **ولكنه قاوم واستمر حتى** العصور الوسطى بأوروبا ..

وقد وصل فى هذه العصور التى بدات بسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية فى يد القبائل الجرمانية فى القرن الخامس الميلادى واستمرت حتى سقوط القسطنطينية فى يد الاتراك فى القرن الخامس عشر - وصل النظام الاقطاعى حينئذ الى عنفوانه .

ويجمع الرأى على أن هذا النظام فاسد لأنه يسلب الانسان حرية التفكير والتفكير، يجعله الفيلسوف ديكارت سمة الوجود ((أنا أفكر فأنا اذن موجود))

ثم ظهر بعد ذلك الاسلام ينشر ألويته على البقاع العربية، واذا به يقوم على سمة اجتماعية متميزة هى الرحمة والمساواة والعدل والعطف على المستضعفين .

ولقد كان ذلك واضحا متميزا أمام طابع القسوة المميزة للنظام الاقطاعى ..

وقد سلك الاسلام فى تطبيقه لمبادئه طريقته المثلى .

لم يجعلها مبادىء بلا روح تصدر وتطبق على كل البشر كما لو كانت أفكارا صماء جامدة ..

لم يرد لها ذلك وانما أراد لها أن تكون المبادىء الأساسية والخطوط العريضة التى يستهدفها العقل الانسانى ثم يرسم فى داخلها مايتفق وواقعه فى غير خروج على مبادىء الدين ومستهديا بمبدئه ((لا ضرر ولا ضرار)) .

فالتطور سنة الكون والاسلام يفتح للتطور ذراعيه متجها لخير البشر والانسانية .

وقد ظهر ذلك فى أفعال الخلفاء والصحابة سواء فيما تعلق بالسلوك الاجتماعى أو نظام الحكم

فعمر . رضى الله تعالى عنه ابى ان يقيم الحد فى الظروف التى تتنافى وانتفاء الشبهات وتتعارض وكلمة اقامته

وهو ومن تبعه يقيمون الدواوين اذ لمسوا حاجة الدولة فى ظروفها الجديدة اليها ..

والقرآن الكريم فى كثير من مبادئه لم يضع حدودا جامدة وانما ترك الأمر للظروف السائدة . يقول : ((وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين)) ولم يبين حد الاسراف وانما ترك الأمر لهيمنة العقل السوى ..

والاسلام يأخذ بالمصالح المرسلة كمصدر من المصادر الاسلامية الفقهية مالم تتعارض مع نص من كتاب أو سنة أو اجماع وهذه المصالح ترتبط بالبيئات والظروف ذلك كله لأن الاسلام دين الناس كافة فى كل زمان ومكان .

والأمر فيه أن يكون أهله خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

أمة لا تعرف الزيغ والهوى والميل والتطرف القاتل ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) . صدق الله العظيم

قصة العدد

دقت الأجراس

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

لم أنهض من فراشى مبكرا هذا الصباح لأن أرقا غير مرغوب فيه صاحبنى حتى الفجر وعندما نهضت من فراشى كانت الساعة تشير الى الثامنة الا ربعا ، فرأيت أنه من الأوفق أن أرتدى ملابسى بسرعة وأهمل حلاقة ذقنى وبذلك أكون قد وفرت من الوقت ما يمكننى من أن أصل الى مكتبى فى الموعد المحدد وكنت أرتدى ملابسى والمرآة الصغيرة المثبتة فى الحائط تحدثنى عن الشحوب الذى كسا وجهى وعن ذبول العينين الذى خلفه الأرق فقد كانت الليلة الماضية من الليالى الثلاث التى بقيت لى فى هذه الشقة المكونة من حجرتين أسكنهما وحدى وبعد ليلتين أخريين سأنتقل الى شقة أخرى مكونة من ثلاث حجرات • كنت أفكر فى هذا طوال الليلة الماضية • وخيل الى عندئذ أننى أعبر قنطرة لا تنتهى •• أسير عليها وحدى وأعد مصابيح النور وأنا خائف• فأنا فى واقع الأمر أجتاز الليالى الأخيرة فى حياة العزوبة ومن أول الشهر القادم سأصبح رجلا آخر فى حياة أخرى •• سأصبح زوجا •

ولم يكن تفكيرى طوال الليلة منصبا على المستقبل بقدر ماكان منصب على الماضى فقد أخذت أفكر فى الأعوام العشرة التى قضيتها فى هذا المكان بحيث أصبح التفاهم شديدا بينى وبين كل شىء فيه كأنه الدار التى ولدت فيها • وانتقل تفكيرى الى امكان أن أعيش فيه أنا وزوجتى ولكنها عارضتنى معارضة شديدة فهى ستستصحب معها أثاثا لثلاث غرف وهى ترغب فى ان تعيش فى حى غير مزدحم • وهى لاتطيق أن ترى شباكا قريبا من شباك • وهى لاتتحمل ضجيج الصبيان فى الأحياء الوطنية •• وعندما وصل تفكيرى الى هذه النقطة كان الليل قد تقدم نحو الصباح وغلبنى النوم ولما استيقظت أخذت أرتدى ملابسى بسرعة مهملا أشياء كثيرة حتى أتمكن من الوصول الى عملى فى الوقت المحدد •

لكن جرس الباب فى هذه اللحظة دق دقات طويلة تدل على الأهمية فوضعت المشط الذى هممت أن أسرح به شعرى وجريت نحو الباب وكنت وأنا أعد هذه الأمتار التى لا تزيد على أربعة أفكر فى أشياء مثيرة ، منها أنه من المحتمل أن تكون خطيبتى عرجت على لأمر طارىء • لكن •• فى مثل هذا الوقت ؟!

اذن فهو شىء خطير • قلت فى نفسى وانا أبتهل الى الله أن يجعله خيرا وجرس الباب متصل الرنين • « ربما كان شيئا متعلقا بنقل الأثاث أو •••••• »

وانقطعت أفكارى لأن الرنين كان مزعجا وخطر لى خاطر سريع جاء فى الوقت المناسب له لا لى أنا • هو أن جد خطيبتى لابد وأنه قد مات ليلة امس فقد كان متاخر الصحة بعد ان هزمته الشيخوخة • وكان هذا داخلا فى اعتبارنا كلنا اذن فلابد ان يتاخر الزفاف •• وفتحت الباب • فاذا ضحكة عريضة طويلة من قلب خلى تنبعث من سيدة •• مصحوبة بتحية الصباح • فاستشطت غضبا واطمئنانا فى وقت واحد فقد كان الطارق صاحبة البيت ولم تكن وحدها •• كان معها « رجل » وامرأة يبدو انهما زوجان • على وجههما ملامح السير فى طريق العمر • وكانا كأنهما قادمان من سفر •

وعبرت صاحبة المنزل شقتى دون تردد والابتسامة المرحة لم تفارق وجهها وفهمت توا انها مع السكان الجدد وانهم جاءوا ليروا سعة المسكن ومدى صلاحيته بالنسبة لهم •

كان كل شىء فيه يدل على حياة العزوبة تماما ومشت صاحبة البيت وخلفها الزوجان وأنا وراء الجميع وكان كل شىء مشعثا مغبرا وبعض قطع الأثاث القليلة مرصوص بعضه فوق بعض ووقفت الزوجة تنظر من أحد الشبابيك الجانبية بعد أن فتحته لترى مدى قربها من الجيران ثم رجعت وعلى وجهها علامة تأفف خصوصا عندما وقع نظرها على الملابس المحتاجة الى الغسيل وهى مكدسة فى حقيبة سفر قديمة انفصل عنها غطاؤها منذ عهد بعيد • وتبادلت المرأتان النظر ثم الابتسام فى الوقت الذى كنت انظر فيه الى ساعة معصمى لأدلهم على عجلتى • ثم التفى وجهى بوجه الزوج فرأيت فيه علامات تودد وطيبة • وعندما ارتفع صوت صاحبة البيت تثنى على عشرتى وتبين أن السبب فى انتقالى هو الزواج شد الرجل على يدى مشجعا وكأنه يعرفنى وكان صوت زوجته يأتى من الحمام الخالى منفعلا مستعجلا طالبة من زوجها ابداء الرأى فيما اذا كان فى الامكان تحويل هذا المكان الى غرفة صغيرة مادام المسكن بهذا القدر الضيق ؟! ودار نقاش طويل شاركتهم فيه صاحبة البيت عن امكان تحويل الجزء الثانى من دورة المياه الى حمام ومكان لغسل الملابس وقالت صاحبة البيت فى اعتزاز سيدة عظيمة التجربة « ومن الممكن استغلال الركن المنزوى فى آخر الصالة للطبخ ما دمتما محتاجين لمكان من أجل الأولاد ورأت الساكنة الجديدة أن تعيد النظر على هذا الركن لأنها لم تلاحظه من النظرة الأولى • فعادت القافلة نحوه من جديد وكان صوتها يرن فى المكان وهى توزع الأطفال على الحجرات قائلة « سنية وعوض معنا فى هذه الحجرة • وعلى ووداد وزكى فى هذه الحجرة •• والباقون فى الحمام بعد ان يفرش • ممكن • ممكن • وكان الوقت قد تأخر وكانت الساعة تعدو

نحو الثامنة والربع وتذكرت ان اليوم يوم أحد ووجدت أنه يوم اجازة للزوج . كنت أنظر فى ساعتى قلقا والثلاثة يثرثرون بتنظيم الشقة حتى اذا ماوصلنا الى الركن المنزوى فى الصالة عادت الزوجة تنظر الى حقيبة السفر ومافيها من ملابس باشمئزاز كبير وابتسمت فى سرى وأنا أوازن بين مشكلة ملابسى ومشكلة أطفالها . فى الوقت الذى بدأوا فيه ينسحبون من الشقة تتبعهم تحيات صاحبة البيت .

نظرت فى الساعة فاذا بها قد بلغت الثامنة والثلث . ولسبب ما عدت ألقى نظرة على وجهى فى المرآة فبدا شعر ذقنى أكثر طولا .

وعلى الرغم من تأخر الوقت تملكنى خاطر بضرورة حلاقتها لكن شيئا أكثر أهمية استرعى نظرى فقد رأيت قطعا لم الاحظه من قبل تحت ياقة القميص على عظمة الترقوة . وكان على أن أغير قميصى لأننى أدخل على رئيسى باستمرار لامضاء أوراق هامة وكان هذا يستدعى تنظيف أسنانى وحلاقة ذقنى وهندمة ثيابى . وجريت أفتش عن قميص نظيف فاكتشفت أن آخر قميص هو ذلك المقطوع وأنه لامفر من الذهاب الى العمل . وبدت لى فكرة حسبتها رائعة هى ان أحاول رتق المزق بابرة رفيعة مثل التى يستعملونها فى رفى الملابس . وتذكرت أننى اشتريت عددا منها من بائع فى الترام فعدت أخلع ثيابى وجلست أحاول فرأيت الأمر سخيفا لأن الخياطة ستدل على القطع أكثر مما يدل القطع على نفسه فتحيرت الابرة فى يدى حتى فطنت الى جرس الباب يرن فقلت فى نفسى : انها ولا شك خطيبتى .

هرولت لأفتح وأنا البس جلبابى فى الطريق وأحس بالضيق لأشياء ضاعت منى هذا الصباح . ولما فتحت الباب وجدت المنظر السابق مع شىء من التبديل كانت صاحبة البيت ومعها ساكن جديد كان وحده فى هذه المرة رجل فى الخمسين من عمره تبدو عليه الصحة والأناقة وتتناقض بشاشة وجهه مع شعر رأسه الأشيب وأخذنا نجوس خلال المسكن والرجل صامت لاينبس بكلمة وصاحبة البيت تمشى أمامنا تقطقط بالحديث مثل طائر مرح . كانت تقول :

« ان مثل هذه الشقة أحسن سكن لأسرة صغيرة فمن الممكن أن تجعل هذه الغرفة للنوم انها هادئة وهذه الغرفة لاستقبال الضيوف . واذا كان عندك أولاد كثيرون فمن الممكن تحويل هذا الحمام الى غرفة » .

وضحكت . وفهمت من نظرتها أن الساكن الذى نزل منذ قليل قد عدل عن سكنه هنا ..

كان الرجل يحملق فى المكان كأنه يفتش فيه عن أثر شىء قديم وعندما وصل الى احدى النوافذ وقف يطل على الحارة . كان يبدو هادئا مما أكد لى أن أجازته الأسبوعية لابد أن تكون يوم الأحد مثل الرجل السابق . ونسيت مسئوليتى كما يتبلد المدين . ولم أعد أنظر فى ساعتى استعجالا للأمور . وعندما لحقت بالرجل عند النافذة رأيته ينظر الى كومة الغسيل وهو قلق وسألنى بمجرد أن وصلت عنده :

ـ لماذا ستترك هذا المسكن ؟ فقلت :

ـ لأننى سأتزوج .

فظهرت على وجهه فرحة حزينة ثم ابتسم عن أسنان فى بياض اللؤلؤ .

عرفت من نظامها أنها صناعية وهز رأسه وهو ينظر الى كومة الغسيل ويضحك فى رقة وسعادة .

ـ مبارك .. أسعدك الله .

وعندئذ رأيت أن أبادله رقة برقة .. فى الوقت الذى كانت صاحبة البيت فيه تحاول اصلاح احدى النوافذ بيديها قبل حلول الساكن الجديد . قلت للرجل ببساطة :

ـ هيه .. ومارأيك فى الحياة الزوجية ؟ فهتف بشاعرية :

ـ جميلة .. جميلة لمن يعرفها . فسألت :

- ماذا تعنى ؟

فأجاب بهدوء مهموم

- أعنى ماقلته تمـــاما .. أعنى أننى لم أعرفها قط . لذلك فان هذا المسكن يكفينى « واستطرد ضاحكا » نيخرج عازب وليدخل أعزب منه ، فيه حجرتان أنام فى كل حجرة شهرا . ماأجمل أن تمتد الحياة .. « وارتفع ضحكه » .

وقبل أن أنطق بكلمة كانت صاحبة البيت قد وصلت الينا وهممنا أن نتكلم لنتفق فاذا بجرس الباب يدق واذا بالزوجين اللذين كانا قد نزلا منذ وقت عادا يصخبان فقد اتفقا فى الطريق على صلاحية المسكن

كنت قد فتحت الباب . بمجـــرد ان دق الجرس وكانت صاحبة البيت على مقربة من العتبة . ودخل الزوجان عندما رآناها . وأخذت الزوجة تتكلم وفى يدها عقد ايجار جديد . ولما تبادلنا النظرات فهم الزوج حقيقة الموقف ، أما أنا فقد نظرت الى الساعة بقلق فوجدتها قد بلغت التاسعة والربع فأخذت أتصور كم مرة سأل عنى رئيسى ومدى غضبه عندما سأدخل عليه . جلست على أحد الكراسى ارقب تشنث الطرفين كل بموقفه وحيرة صاحبه المنزل التى لم تكن تعبرعنها الا بالضحكات فى الوقت الذى أخذت الزوجة فيه تعبر عن أحقيتها بالغضب والصوت المرتفع على حين كان الرجل الثانى يعبر بالحكمة والمنطق . غير أن المـــوقف كان محتاجا الى منطق أعلى . منطق كان من الضرورى أن يأتى لأنه من المحال أن يبقى الحال على ما كانت عليه . وفى اللحظة التى هممت فيهـا أن انفجر غاضبا فى وجه الجميع دق جـرس الباب دقة طويلة . فذهبت صاحبـة المنزل وفتحته وانطبعت على وجهها علامات جـديدة فقد اتسعت عيناها وغابت بشاشتها وهمست كأنها تحلم باسم أعرفه ونعرفه هى فقـــد رأتها عندى عدة مرات .

فدخلت خطيبتى من الباب الموارب وشقت طريقها وعيناها تتساءلان عن سر هذا الجمع وقبل أن تسألنى رأيت ملابسها الســـوداء ووجهها الخالى من الزينة عندئذ عرفت ان جدها قد مات وأن الزفاف قد تأخر .

نظرت الى الجميع وقلت لهم ببسمة آسفة ..

« متأسف .. لن أنتقل من هذا المسكن قبل مرور ثلاثة شهور » لكننى لا أستطيع أن أنسى نظرات كل منهم وهم يخرجون تباعا من الباب ونظرة الود الوديعة التى لاحت من عين الرجل الأشيب » .

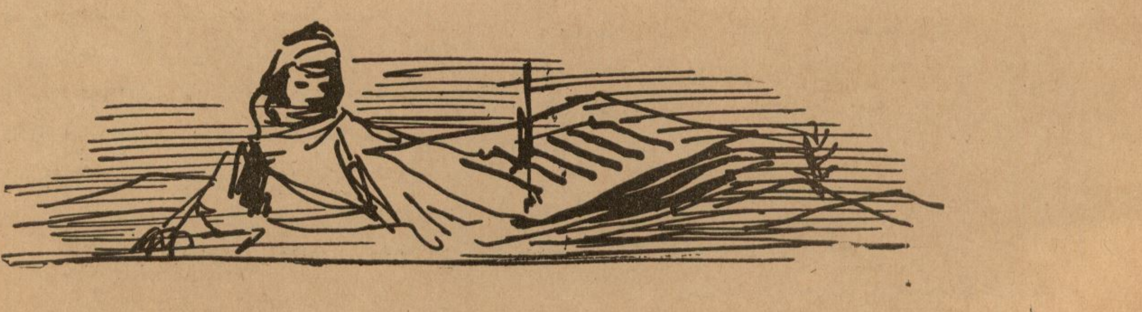

عاد الرجال

تحية الى أبطالنا العائدين من أرض اليمن ...

للشاعر عبد الله شمس الدين

رجعوا كما رَجَعَ الصباحْ للأُفقِ فى أَسنى وشاحْ
رجعوا . وقد ذبحوا ظلامَ الحقد فى شتَّى البطاح
رجعوا : وقد رفعوا اللواءَ على عزائم كالرِّماح
عَزَفَ الخلودُ لهُمْ نشيد النصر فى أَسمى كفاح

بالورد قد فرشوا الطريق وبانطلاقات الشعورْ
بغبار قافلة البطولة عطِّروا تلك الزهورْ
فلعلَّ فيه ذرَّة لحصاد معركة الضمير
فى ملتقى الهول المقيت بساحة الشرف الكبير

* * *

حيُّوا الفتُوَّة والرجولةَ والبطولة والنِّضالْ
حيُّوا عمالقةَ الوغى يومَ التَّناحر والنِّزالْ
يوم القتال المرِّ فى رَهَبِ السفوح وفى الجبالْ
وإلَى الحمى بالنصر عا دوا ... مرحبًا .. عاد الرجال

* * *

خرجوا على صوْت الأُخُوَّةِ وهى فى شَرفِ الصِّراعْ
تركوا وراءَهم الدِّيار مع الصغار ... بلا وداعْ
يتسابقون إلى الفداءِ على انطلاقِ واندفاعْ
جنبا إلى جنب مع الأَحرار فى أَسمى دفاعْ

ومع انْتلاق النصر عاد النور يشرق فى عُلَاهْ
وأَطاح صُبْحُ الثائرين بليْلِ أعداءِ الحياه
الناقمين على الشروق الحاقدين على سناه
الشاربين دم الشعوب وقد نسوا بطْشَ الإِلَهْ

* * *

وعلى الكرامة عاد «لليَمَنِ» الشَّقيق زِمَامُهُ
الحكْمُ عاد لشعبه وتَحَقَّقَتْ أحلامُهُ
ومضى بثورته .. تبارك خَطْوُهُ أَيَّامُهُ
وبمجده انتشرت ترفرف فى العلا أعلامُه

* * *

مَنْ قال إنَّ الشعبَ يُحْكَمُ بالسلاسل والحديد
مَنْ قال إن الحُكْمَ إرثٌ للوليدِ وللحفيدْ
وشريعةُ الدَّيَّان عدْلٌ . لا تميل ولا تحيد
كلٌ سواءٌ فى الحقوق فلا ملوك .. ولا عبيد

مواقيت الصلاة

الأيام	يونيو	صفر	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
السبت	٢٢	١	٨	٤	٥٥	٥	٥٧	١٢	٣٣	٤	٥٩	٧	٣٣	٩
الأحد	٢٣	٢	٨		٥٥		٥٧		٣٤		٥٩		٣٣	
الاثنين	٢٤	٣	٨		٥٥		٥٧		٣٣		٥٩		٣٣	
الثلاثاء	٢٥	٤	٩		٥٥		٥٧		٣٣		٥٩		٣٣	
الأربعاء	٢٦	٥	٩		٥٥		٥٧		٣٣		٥٩		٣٣	
الخميس	٢٧	٦	١٠		٥٦		٥٨		٣٤		٠٠	٨	٣٤	
الجمعة	٢٨	٧	١٠		٥٦		٥٨		٣٤		٠٠	٨	٣٤	
السبت	٢٩	٨	١٠		٥٦		٥٨		٣٤		٠٠	٨	٣٤	
الأحد	٣٠	٩	١١		٥٧		٥٨		٣٤		٠٠	٨	٣٤	
الاثنين	١	١٠	١١		٥٧		٥٩		٣٥		٠٠	٨	٣٤	
الثلاثاء	٢	١١	١٢		٥٨		٥٩		٣٥		٠٠	٨	٣٤	
الأربعاء	٣	١٢	١٢		٥٨		٥٩		٣٥		٠٠	٨	٣٣	
الخميس	٤	١٣	١٣		٥٩		٥٩		٣٥		٠٠	٨	٣٣	
الجمعة	٥	١٤	١٣		٥٩		٥٩		٣٥		٠٠	٨	٣٣	
السبت	٦	١٥	١٤		٠٠	٦	٠٠	١	٣٦		٠٠	٨	٣٣	
الأحد	٧	١٦	١٥		٠٠	٦	٠٠	١	٣٦		٠٠	٨	٣٢	
الاثنين	٨	١٧	١٦		١		٠٠	١	٣٦		٠٠	٨	٣٢	
الثلاثاء	٩	١٨	١٦		١		٠٠	١	٣٦		٥٩	٧	٣١	
الأربعاء	١٠	١٩	١٧		١		٠٠	١	٣٦		٥٩		٣١	
الخميس	١١	٢٠	١٧		٢		٠٠	١	٣٦		٥٩		٣١	
الجمعة	١٢	٢١	١٩		٣		٠٠	١	٣٦		٥٩		٣١	
السبت	١٣	٢٢	١٩		٣		٠٠	١	٣٦		٥٨		٣٠	
الأحد	١٤	٢٣	٢٠		٣		١	١	٣٧		٥٨		٣٠	
الاثنين	١٥	٢٤	٢١		٤		١		٣٧		٥٨		٢٩	
الثلاثاء	١٦	٢٥	٢١		٤		١		٣٧		٥٧		٢٨	
الأربعاء	١٧	٢٦	٢٢		٥		١		٣٧		٥٧		٢٨	
الخميس	١٨	٢٧	٢٢		٦		١		٣٧		٥٧		٢٨	
الجمعة	١٩	٢٨	٢٢		٦		١		٣٧		٥٦		٢٧	
السبت	٢٠	٢٩	٢٤		٧		١		٣٧		٥٦		٢٦	
الأحد	٢١	٣٠	٢٥		٧		١		٣٧		٥٥		٢٥	

في رحاب القرآن الكريم

معجزات العلم الحديث في سورة الرحمن

الأستاذ عبد العزيز العلمي

تحت هذا العنوان سجلت فى المجلس الأعلى لشئون الاسلامية ظواهر جديدة لاحت لى من سورة الرحمن المباركة ، وعرضتها فى فى منبره هذا فى أعداد متلاحقة ، أرجو أن أوفق الى استعراض بعض ما جاء فيها بايجاز .

أولا – الرد على من قال بخلق القرآن ، وحل هذه المشكلة ببيان أن القرآن العظيم علم ، والعلم لا يخلق ، بل يعلم ويعلم ، وأن العلم والخلق صفتان أزليتان من صفات الرحمن لا تخلق احداهما الاخرى ، العلم فى محله ، والخلق فى محله ، كما جاء فى مستهل هذه السورة الكريمة : « **الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان** » .

ثانيا – ان من البيان الذى علمنا اياه العلى القدير : « **أن جميع الخلق قائم على الحساب والوزن** » .

ثالثا – بيان مادتى الخلق للجنسين الارضيين المرئى وغير المرئى وهما الانس والجن .

رابعا – بيان التشابه فيما بين الاجواء المختلفة الكثافات – فى القواعد العامة – وهى الرسوب لكل ما هو أثقل من الجو الموجود فيه الى أسفل حتى يصل الى القاع أو الى جو مماثل له فى الكثافة أو أكثر منه كثافة كأن تصادف قطعة من حديد بركة من زئبق فى قاع البحر مثلا فتقف عندها طافية عليها ، والطفو الى أعلى لكل جرم أخف من الجو الذى وجد فيه حتى يصل الى جو مماثل له أو أكثر فراغا فيقف دونه ، مكررا العبارة التالية كقاعدة لذلك فى جميع الاجواء وهى :

« **ان بمقادير الفراغ معايير الوزن** » .

وللتكثيف والتبخير فى السوائل وشبه السوائل قواعد معروفة .

خامسا – بيان ان الأرض ذاتها لا تخرج على النظام العام فى الحساب والوزن .

سادسا – الاشارة الى ذكر القرآن العظيم « **أن للارض مشرقين ومغربين فى نصفيها** » وهذا دليل على كرويتها ، والاخبار بوجود النصف الثانى الذى هو أمريكا قبل اكتشافها وهذا من اعجاز القرآن العظيم .

سابعا – بيان أن الفضاء مفتوح أمام الطاقة الروحية للجن والعلمية للانسان وأنه سيلقى هذا الانسان عندما يستعمل طاقته العلمية ما لقيه الجن عندما سبقه فى استعمال طاقته الروحية شهبا تحول بينها وبين الانتصار فى غزو الفضاء .

ثامنا – أن الشهب هى بمثابة قوة دفاعية ضد كل معتد على الاجواء مشبها اياها بالكريات البيضاء فى الاجسام الحية .

تاسعا – بيان ما ظهر لى من جولات ذى القرنين الثلاث فى الغرب والشرق والشمال فى الفضاء ورجوع حوت موسى من الصخرة فى مجمع البحرين الى جوه وذلك عندما آلى موسى على نفسه الا يبرح حتى يبلغ مجمع البحرين ويلتقى بالعالم عنده أو يمضى حقبا .

فى كل ذلك قاعدة لخروج الانسان من من جوه الى الأجواء الاخرى وعودته الى

الأرض سالما كما عاد ذو القرنين الى جــوه ؟ وعادت السمكة الى جوها سالمة كذلك .

عاشرا ـ الاستنتاج من عدم اتبـــاع ذى القرنين الاسباب مرة رابعة الى الجنوب ، أن فى الجنوب منطقة مجهولة وخطـــرة وانـــه لا يمكن لأى جرم سماوى أن يدور فى محيط القطب الجنوبى أو أن يجعل دورته الارضية من الشمال الى الجنوب مجتازا منطقـــة الخطر التى اعتقد بوجودها ، وقياسا علـى ذلك قلت : ((**انه لا يمكن النزول على سطح القمر من الناحية المواجهة للارض لاعتقادى أن الجزء المواجه للارض هو بمثابة جنـوب القمـــر .**

حادى عشر ـ قلت ان الوزن موجـــود فى الاجواء جميعها وأن أسباب انعدامه الميـــلان والموارِبة والازورار فى الاجرام لوجود نقطـــة التقـــاء وسط بين الوزن واللا وزن تفقـــد الوزن ، وأن اتجاه الاثقال الى أسفل أو الى جهة الأرض الذى يطلق عليه جاذبية هو لجهة الثقل لا للارض وحدها أو القمر وحده ، وأن الموارِبة والازورار لكل جرم هـــو السبب فى تعلقه فى الفضاء وعدم اتجاهه الى جهـــة الأرض ، والأرض ذاتها مائلة عن محورهـــا وكذلك كل جرم فى الفضاء على ما أعتقد .

ثانى عشر ـ قلت ان قاعدة ارشميدس فى وزن الاجرام وطفوها فى الماء يمكن تطبيقهـــا على الأجواء الأخرى كالهواء وغيره ورأيت أنه طالما يمكن تطبيق قاعدة ارشميدس علـــى الأجواء الأخرى فانها تغنينا عن نظرية نيوتن فى الهواء .

ثالث عشر ـ قلت قياسا على الاجـــواء الخفيفة والثقيلة انه اذا كان الهواء أكثف من الأثير والماء أكثف من الهواء فليس ببعيد أن يكون هناك جو أثقل من الماء فى جهـــة الثقل أى فى الجنوب ولعل بعد كل جو ثقيل جـــو أثقل منه ، وفوق كل جو خفيف جـو أخف منـــه .

رابع عشر ـ قلت انه لا توجد نقطة التقاء وسط بين جاذبية فى الأرض وجاذبية فى القمر مثلا ليكون الجرم فيها صالحا لمحطة فى الفضاء كما كان يعتقد فى السابق .

خامس عشر ـ ومما قلناه أيضا ان ظموح الانسان الى اكتشاف خبايا المجهول ربما جره الى النهاية المحتومة للكون كله ، ولكنى اعود الآن فاقول أن الله جل سبحانه ســـــوف لا يمكنه من ذلك رغم سيره الحثيث الى الحفر عن حتفه بظلفه وسيحول الله جل سبحـــانه هذه الاختراعات العلمية الى اصلاح الأرض بدلا من اخرابها أما اليوم المحتوم لنهاية هذا الكون فلا بد آت بامر الله وحده ،ولا قضاء على هذا العالم بنواة يورانيوم أو هايدروجين أو كوبلت أو غيـــر ذلك ، انما جميـــع هذه القوى النووية ستتحول لاعمـــــار الأرض وزخرفتها لقوله جل سبحانه فى الآية ٢٤ من سورة يونس : ((**حتى اذا أخــذت الأرض زخرفتها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا .**

ولقد جاء فى الأثر عنه ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ نبأ زيادة عدد النساء على عـــدد الرجال فى آخر الزمان وهـــذا دليل علـــى استمرار الحروب بدون المهلكات الجوية التى لا تفرق بين الرجل والمراة، والحروب هى فيما بين الرجال من اقدم العصور ، واذكر بهـــذه المناسبة قولا لبرنارد شو فى حديثه عن المراة وحكمة بعدها عن الحروب وانفراد الرجال بها بما معناه (**لو أصابت العالم جائحة أفقدته ثلاثة أرباع الرجال لطبقنا النظام الاسلامى بتوزيع النساء على الرجال ولكن المشكلة لو حصل العكس**) للذكر والانثى على السواء .

ولعل هذه الأرض تقرب من نهايتها الآن والحرب العالمية الثانية لم تنتهى بعـــد بل تحولت الى حرب باردة ولعل الفضل فى ذلك يعود الى الخوف من الحروب النووية المدمرة بحكم تزايد السكان وما تحتاجه هذه الاعداد الضخمة من زراعة جميع الصحارى ـ للتنفس والغذاء ـ بما هو فوق احتمال طاقة الأرض، اذ سيبلغ مجموع سكان العالم فى سنة الالفين ميلادية حسب احصاء الأمم المتحـــدة ست بلايين واثنين من عشرة ، فماذا سيبلغ عدد سكان هذا العالم لو استمـــر التزايد قرنا واحدا بعد ذلك يا ترى ؟..

دروس من شهر صفر

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

كان شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة حافلا بالحوادث ذات العبر ، وذات الأثر فى حياة المسلمين .

ففى هذا الشهر قدم على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوم من عضل والقارة ، وزعموا له أنهم مسلمون ، وطلبوا منه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ، ويقرئهم القرآن ، فبعث معهم عشرة من أصحابه ، فلما كانوا بالرجيع ـ وهو ماء لهذيل ـ غدروا بهم ، فقتلوهم جميعا ، الا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة، فأسروهما وذهبوا بهما الى مكة ، وباعوهما لأهلها ، وكان مصيرهما ـ رضى الله عنهما ـ القتل، ، فأما خبيب فانهم قتلوه صلبا ، وقبل أن يصلبوه قال لهم : دعونى حتى أركع ركعتين ، فتركوه ، فصلاهما فلما انصرف من صلاته قال : والله لولا أن تقولوا : ان ما بى جزع لزدت ، ثم صاح وقال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم مددا ، ولاتبق منهم أحدا ، ثم أنشد أبياتا قال فى آخرها :

ولست أبالى حين اقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مضجعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

فقال أبو سفيان أيسرك ان محمدا عندنا تضرب عنقه وانك فى أهلك ؟ ـ أى أتحب ذلك فقال ، لا ، والله مايسرنى أنى فى أهلى ، وان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه .

ولو أنه أجاب أبا سفيان الى مايريد لنجا من القتل ، ولبقيت عقيدته - مع ذلك - سليمة ، فقد أباح الله له ذلك بقوله تعالى : « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** » ، ولكنه ضن بكلمة تخرج من بين شفتيه ، لاتدل على حقيقة شعوره ، وليس فيها خطر على حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وفضل أن يجعل مايجرى على لسانه مطابقا لما استقر فى قلبه من حب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو كان فى ذلك صلبه

وبعد أن صلبه المشركون تركوا جثته مصلوبة الى أن جاء عمرو بن أمية الضمرى ، واستطاع أن يخدع الحراس ويأخذ منهم جثة خبيب ليلا ويدفنها •

وأما زيد بن الدثنة فقد قتله صفوان بن أمية

وفى نفس هذا الشهر - وهو شهر صفر من السنة الرابعة - حدثت موقعة بئر معونة ، وذلك أن عامر بن مالك - من نجد - قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فدعاه الى الاسلام ، فأبى ، ولكنه لم يبعد ، بل قال يارسول الله ، لو بعثت أصحابك الى أهل نجد لرجوت أن يجيبوهم الى الاسلام ، فقال - صلى الله عليه وسلم - **انى أخاف عليهم أهل نجد**، فقال عامر : **أنا جار لهم** ، فبعث - صلى الله عليه وسلم - معه سبعين رجلا من خيار المسلمين وفضلائهم ، وكان فيهم كثير من القراء ، فساروا حتى بلغوا بئر معونة ، ثم أرسلوا أحدهم الى عامربن الطفيل بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن عدو الله الغادر سلط على الرسول من طعنه بالحربة من خلفه ، ولم يكتف بهذا ، بل حرض عليهم قبائل عصية ، ورعل وذكوان ، فأحاطوا بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقتلوهم جميعا ، ولم ينج منهم الا كعب بن زيد ابن النجار

وقد تصادف وقتذاك وجود عمرو بن أمية الضمرى قريبا من هذا المكان ، فرأى الطير تحوم فوق موضع الموقعة ، وأدرك أن هذه الجثث - التى يحوم الطير فوقها - انما هى جثث أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما كان فى طريقه الى المدينة نزل فى ظل شجرة بموضع يقال له القرقرة ، ونزل معه فى نفس المكان رجلان من بنى كلاب ، فلما ناما قتلهما ، وظن أنه قد أصاب ثأر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يدر أنه قتل رجلين معاهدين معصومى الدم •

وقد حدث كذلك فى نفس هذا الشهر - صفر من السنة الرابعة - أن نقض يهود بنى النضير عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن عمرو بن أمية الضمرى لما قتل الرجلين المعاهدين ، التزم عليه السلام بدفع ديتهما، فذهب فى نفر من أصحابه الى يهود بنى النضير ، يطلب منهم معاونته فى هذه الدية اعتمادا على المعاهدة التى بينه وبينهم •

ولكن الغدر الذى جبل عليه ذلك الجنس البغيض تحرك فى نفوسهم الشريرة ، فانتهزوها فرصة ، ورحبوا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وتظاهروا بأنهم سيجيبونه الى مايطلب ، فلما كاشفهم برغبته قالوا : نفعل ياأبا القاسم ، أجلس ههنا حتى نقضى حاجتك، ولما رسموا خطتهم قال بعضهم لبعض :

أيكم يأخذ هذه الرحا ، ويصعد بها الى أعلى السور فيلقيها على رأس محمد ؟ فقال اشقاهم - عمرو بن جحاش - أنا أفعل ، وكان سلام ابن مشكم حاضرا ، فحذرهم عاقبة ذلك وقال لهم : « **لا تفعلوا ، فوالله ليخبرن بما هممتم به ، وان ذلك نقض للعهد الذى بينكم وبينه** »

وقد هبط جبريل على النبى - صلى الله عليه وسلم - وأطلعه على ماهم به بنو النضير ، فنهض - صلى الله عليه وسلم - مسرعا ، متظاهرا بأنه قام لقضاء حاجته ، ولكنه عاد الى المدينة ، ولم يخبر أصحابه الذين كانوا معه ، حتى لايفطن اليهود الى سر انصرافه ، ولما استبطأه أصحابه لحقوا به ، وسألوه عن سبب عودته الى المدينة دون أن يخبرهم ، فأطلعهم على ماهم به اليهود

ولما كان هذا التصرف من اليهود نقضا لعهده - عليه الصلاة والسلام - فقد رأى نفسه فى حل من محاسبتهم على ماصنعوا ، فبعث اليهم : **أن اخرجوا من المدينة ، ولا تساكنونى**

بها ، وضرب لهم ـ لتنفيذ ذلك ـ أجلا عشرة أيام ، فمن وجد بعدها فى المدينة ضربت عنقه

وفيما هم يتجهزون للخروج اذا برأس المنافقين ، عبد الله بن أبى بن سلول يتصل بهم سرا ، ويغريهم بعدم الامتثال لما طلبه النبى عليه السلام ووعدهم بأنه سيبعث اليهم ألفين من رجاله يقاتلون معهم ، وأوهمهم بان غطفان ويهود بنى قريظة معهم ، فعدلوا عن الخروج وأرسل كبيرهم ـ حيى بن أخطب ـ الى النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم لن يخرجوا ، فذهب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ اليهم، وحاصرهم فى حصونهم أياما ، وانتظر اليهود النجدة التى وعدهم بها رأس المنافقين دون جدوى ، فقد تخلى الجميع عنهم ، فلما يئس اليهود ، وأيقنوا بعجزهم عن مقاومته عليه السلام ، أبلغوه باستعدادهم للخروج ، فقبل ، ولكنه اشترط عليهم أن يخرجوا بانفسهم وذراريهم وماحملت ابلهم فقط .

وقد أشار سبحانه الى كل ذلك فى سورة الحشر ، ومن آيات هذه السورة آيتان صور الله فيهما موقف رأس المنافقين من اليهود ، وموقفهم منه ، فقال جل ذكره : « **ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا ، وان قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لاينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون** » وقال أيضا : « **كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك ، انى أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين** »

ولعل القارىء يلاحظ وهو يستعرض هذه الحوادث ، أنها اتسمت جميعا بالغدر من جانب خصوم المسلمين

ولعله كذلك يلاحظ أن الخصوم فى هذه الحوادث من اليهود ، ومن أهل نجد

ولو أننا استعرضنا تاريخ الفريقين لما استغربنا هذا الخلق منهما ، فاليهود أهل غدر من نشأتهم ، ولقد كانت حياتهم الطويلة سلسلة من الغدر ، والخسة والشر ، وخبث الطوية ، وأن مايرزح العالم تحته الآن ، وقبل الآن ، انما هو من تدبير اليهود .

وكذلك شأن اهل نجد ، فهم الذين قال فيهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **من ها هنا يطلع قرن الشيطان** » وأشار الى جهة نجد ، ولقد توسم ـ عليه السلام ـ فيهم الخيانة حين قال لعامر بن مالك : « **انى اخاف عليهم أهل نجد** »

وها نحن نرى الآن ما أحدثوه من منكرات فى أرض الحرمين الشريفين ، وتنكرهم للدين ، وصدهم عن سبيل الله ، ومناصرتهم لأعداء الاسلام ، ومحاربتهم كل من يدعو الى جمع كلمة المسلمين

فعلى المسلمين أن يحذروا الفريقين . وأن ينظروا اليهما كما كان ينظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وان يكونوا فى يقظتهم عند قوله عليه الصلاة والسلام : « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين »

هدانا الله جميعا سواء السبيل

اعداد نجاة أحمد الزنتيري

للمرأة الليبية قصة كفاح بطولية طويلة فى تاريخ ليبيا المجيد .

كانت النساء يهددن أزواجهن بالهجر اذا ما تقاعسوا عن قتال الايطاليين الغزاه واليوم اصبحت دبلوماسية بدرجة سكرتيره اولى بوزارة الخارجية وأصبح لها حق الانتخاب لقاؤنا هذا الشهر مع الأخت الليبية . أخت فى العروبة . فى الدين . فى اللغة . أخت فى الكفاح ضد الاستعمار الغاشم .. وكيف استطاعت أن تشق طريقها رغم العثرات والعقبات التى وضعها الاستعمار فى طريقها لعرقلة تقدمها .. وكيف اصبحت الآن فى ظل العهد الحاضر المجيد .

دورها فى الكفاح البطولى : كان الاستعمار فى المملكة الليبية شانه فى كل بلد يحتلها يهتم بخنق حركة التعليم والحد من انشاء المدارس . وكان الليبيون فى صراع رهيب مع المستعمرين الايطاليين وكان هناك عدد قليل من المدارس انشأها الايطاليون خصيصا لابنائهم ولم يكن يسمح لليبيين بدخولها الافى أضيق الحدود .

اما الفتاة الليبية فكانت بمنأى عن المدارس وعن التعليم . ولكن الوعى بالحرية لم يقبل هذا الوضع فبالرغم من عدم تعليم المرأة الليبية فانها قامت بادوار عظيمة فى ساحات القتال حين كان المناضلون الليبيون يقذفون بأنفسهم بالالاف فى آتون معارك التحرير ضد الغزاة المعتدين ، فقد كانت المرأة تواسى المرضى وتداوى الجرحى وتمد المقاتلين بالزاد وبالماء وتشجعهم على الاستمرار فى القتال . بل انهن كن يهددن ازواجهن بالهجر اذا ماتقاعسوا عن قتال الايطاليين الغزاة . وكانت اكبرسبة للمناضل الليبى أن يشاع عنه انه انهزم أو تقاعس عن القتال ولم يكن لأى عذر شرعى كالمرض وغيره بمانع أو حائل له دون حضور المعركة فقد كان المقاتل المجاهد يفضل أن يقتل فى الميدان على ان يشاع عنه بين أفراد أسرته أنه تخلف عن المعركة لمرضه أو لسبب آخر .

ولهذا فان المرأة الليبية من ناحية الكفاح البطولى قد سجلت صفحات رائعة فى خدمة الوطن ببطولتها وتفانيها فى سبيل الذود عن الوطن . ولقد ترتب على هذا الموقف منهن أن تعرضن لبأس الايطاليين فكانوا يمعنون فى التنكيل بهن ويمثلون باجسادهن غير مبالين بالقوانين الدولية ولم يذهب هذا الدور البطولى سدى فقد ترتب على معرفتهن بواجبهن نحو الوطن أن تمكنت ليبيا من انتزاع استقلالها انتزاعا وبذلك اتيح لها فى عهد الاستقلال مالم يتح لها فى عهدالاستعمار

التعليم : وكان اول واجب على المسئولين فى ليبيا أن فتحوا الأبواب للمرأة لتنهل من معاهد التعليم ماشاءت كل ظروفها وان تشجع للقيام بالاعمال الاجتماعية فى شتى الميادين . وانطلقت الاخت الليبية تعدو فى طريق العلم لتعوض مافاتها بشغف بالغ وانشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومدارس المعلمات ولم تمض سنوات قلائل حتى انشئت الجامعة لتستقبل اكبر عدد من الفتيات ..

دورها الايجابى فى المجتمع : ولكى ينتظم دورها الايجابى فى المجتمع فقد أسست جمعيتان نسائيتان فى طرابلس وبنغازى هما الجمعية النسائية الاسلامية لخدمة المرأة والطفل ، وهى أول جمعية من نوعها فى ليبيا تم انشاؤها سنة ٥٢ وقد افتتح بها قسم لتعليم الامهات الاميات القراءة والكتابة . وجمعية أخرى لحماية الأطفال المشردين والايتام استطاعت ان تقضى على مشكلة الأحداث قضاءا تاما . وتبذل هاتان الجمعيتان جهودا جبارة لصقل المرأة الليبية ثقافيا وصحيا لتستطيع بعد فترة مران مؤقتة أن تبادر بتقديم جهودها لخدمة الوطن فى اوسع نطاق .

وقد ترتب على هذا الوعى بالنسبة للمرأة الليبية أن شقت طريقها فى المناصب والوظائف دون عائق .. وكمثال على ذلك فان السيدة (حزام قدارة) حرم السيد الدكتور محيى الدين فكينى رئيس الوزراء الحالى كانت هى عام ١٩٥٨ الى مطلع عام ١٩٦٣ تمثل ليبيا فى عديد من لجان هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك باذلة جهودا جبارة فى مختلف القضايا التى كانت تناقش فى تلك اللجان ومساهمة مساهمة كبيرة مع زوجها الدكتور محيى الدين فكينى حينما كان مندوبا لليبيا فى هيئة الأمم المتحدة .

وكمثال آخر . يوجد عدد كبير من الفتيات يقمن بعديد من المهام فى الاذاعة والمواصلات السلكية واللاسلكية وفى المستشفيات وقريبا جدا ستشهد المستشفيات الليبية طبيبات ليبيات بعضهن سيتخرجن من كليات طب الجمهورية العربية المتحدة والبعض الآخر من الخارج ولم يقتصر الأمر على ذلك فيوجد حاليا دبلوماسية بدرجة سكرتيره اولى بوزارة الخارجية الليبية وغيرها فى الطريق الى هذا المنصب الهام .

ولم تصل المرأة الى ماوصلت اليه الا بفضل تشجيعها واقبالها على التعليم بشتى انواعه .

تقاليد المرأة الليبية : لاتختلف كثيرا عن عن تقاليد المرأة المصرية الا فى حالات قليلة فهى اذا كانت متعلمة تستطيع ان تعطى رأيها فى الزواج . وان كانت من اللاتى حرمن من التعليم تستطيع ان تعطى رأيها بطريقة غير مباشرة ومع شىء من التحفظ .

والاختلاط قبل الزواج ممنوع منعا باتا ولايتم هذا الا بعد الزواج وذلك كمبدأ عام مطبق فى المملكة الليبية - والمرأة الليبية لاترى فى هذا التصرف غضاضة ولاتتصور انه يحط من كرامتها بل على العكس فانها ترى فى هذا التصرف منتهى الحكمة وتتمسك به وتتم مراسم الزواج بين ولى أمر الزوج وولى أمر الزوجة فهما يتفقان على الشروط المعجلة والشروط المؤجلة ، وفى المرحلة الأولى يدعو ولى أمر الزوج وولى أمر الزوجة عددا من أقارب الطرفين من الرجال فى محل عام يحضره المأذون الشرعى الذى يتولى سؤال ولى أمر الزوج وولى أمر الزوجة عن العرض والقبول .. ثم يتلو الشروط كما تتضمن هذه الشروط بطريقة مفصلة ويشهد على ذلك شاهدان من الطرفين . وبعد اتمام مراسم التوقيع على العقد من الطرفين والشاهدين توزع الحلوى والشربات - وفى المرحلة الثانية - وهى مرحلة تحضير ما اتفق عليه من قبل أهل الزوج الذى يتكفل باعداد المسكن واعداد المفروشات وجميع الملبوسات والحلى وهذه حالة تختلف عن المتعارف عليه فى مصر . فالعروس وأهلها ليس عليهم اى التزام مادى أو أية التزامات أخرى وعند الانتهاء من مرحلة تحضير ما اتفق عليه وفى خلالها تقام الافراح وحفلات الاغانى والرقص بمنزل العروس والعريس وتزف العروس فى مهرجان رائع الى بيتها الجديد - وفى بعض المناطق لايقابل العريس والده من ليلة الزفاف الى مدة اسبوع . غير أن هذا التقليد فى طريقه الى الزوال .

وبعد هذه نبذة عن المرأة الليبية مختصرة تبين مكانتها فى المجتمع والدور الذى تقوم به والمجهود الذى تبذله الدولة لتوعيتها وقد أمكن عن طريق هذا الوعى ان ينص فى الدستور الليبى لأول مرة بعد فترة أحد عشر عاما عن استقلال ليبيا أن تنال المرأة حقها فى الانتخاب وهى خطوة كبيرة خطتها الأخت الليبية فى فترة وجيزة جدا .

كارين سندرز
التي أصبحت
فاطمة نصار

*** أحببت في الاسلام حبه للسلام وكراهيته للحروب ..**

*** القرآن يمدنا بمبدأ اجتماعي على جانب كبير من الخطورة والأهمية ..**

*** الاسلام هو الدين الكامل ..**

لقاؤنا دائما فى هذا الباب مع الذين شرح الله صدورهم للاسلام فشهدوا بان ((لااله الا الله وأن محمدا رسول الله))

لقاؤنا هذا الشهر مع سيدة فاضلة رأت ان الاسلام هو الدين الكامل . دين الحق . دين المحبة .

لقاؤنا هنا على هذه الصفحات مع سيدة أحبت فى الاسلام حبه للسلام وكراهيته للحروب .. فالاسلام كما تقول دين يحب السلام .. يحب الاخاء .

لقاؤنا فى هذا العدد مع سيدة وجدت ان القرآن يمد المسلمين بمبدأ اجتماعى على جانب كبير من الخطورة والأهمية . وهو أن كل البشر من ذكور واناث أمام الله سواء . على اختلاف ألوانهم وأجناسهم . الكل سواسية .. لا فضل لعربى على عجمى ولا ابيض على أسود الا بالتقوى .

لقاؤنا فى هذا العدد بالسيدة حرم الدكتور جمال نصار المدرس بكلية الهندسة جامعة عين شمس . جاءت من ألمانيا لكى تشهر اسلامها بعد أن اقتنعت بمبادىء الاسلام .

وذهبت الى منزل فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، لأعيش لحظات الايمان التى ترتسم على وجهها وهى تقول : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

انها لحظة العمر كما قالت .. لحظة ميلاد جديد لها . وبعد ان مرت الاجراءات، تقدمت اليها مصافحا .. ومهنئا ، ثم تجاذبنا اطراف الحديث عن قصة اسلامها فقالت :

تأكد أننى لم أشهر اسلامى الا بعد ان عرفت حقا انه الدين الذى يجب ان يعتنقه كل فرد ،

قارنت قبل اسلامى بين المسيحية والاسلام ووجدت فرقا شاسعا بين الدينين . فبينما المسيحية تتركك فى متاهات من الشك والخيال ، تجد الاسلام قويا واضحا مستساغا

فمثلا تجد فى المسيحية أقوالا عن المسيح ، تارة يقولون انه هو الله ، وتارة يقولون انه ابن الله ، وتارة يقولون ان المسيح قتل وصلب ، لا ثبات على رأى عندهم .

ولكنى عندما قرأت القرآن وجدت القول الفصل فى هذا . « **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد** » .. فنفى القرآن كل قول يثبت وجود ولد لله سبحانه . ثم جاء فى سورة أخرى فقال : **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** . ثم جاء فى سورة أخرى فقال : **ماالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل . ثم قوله أيضا : وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم .**

عبارة واضحة ، يقبلها العقل دون تفكير، المسيح رسول كسائر الرسل . لم يقتل ولم يصلب . الله سبحانه وتعالى فرد صمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

فمع قوة اقناع القرآن ودلالته الصريحة الواضحة التى لا تقبل الشك مطلقا وجدت نفسى أفكر جديا فى أن ألتجىء الى هذا الدين. وتعرفت بزوجى الدكتور جمال ، فأخذ يشرح لى مبادىء الاسلام ويقدم لى كل عون. وقرات كتبا كثيرة عن الاسلام وانتهيت عن يقين الى أن الدين الاسلامى هو دين العقل والمنطق .. هو دين الدنيا والآخرة وهو أيضا دين المادة والروح .

وجدت أخيرا أن الاسلام هو أقرب الأديان الى السماء والى النفس .. هو الدين الكريم الذى يجب أن أومن به .. فعرفت الله حق معرفته .. وقررت اعتناق دينه الحنيف ، وحضرت الى القاهرة ، وعلى يدى فضيلة الامام الأكبر شهدت بأن « لا اله الا الله وان محمدا رسول الله »

هذه هى قصة اسلامى ، أو تحولى الى الاسلام . ان هذا اليوم عيد بالنسبة لى فهو مولد جديد لحياة كريمة فاضلة نقية .

اننى سآخذ على عاتقى أن أتعلم اللغة العربية لكى استطيع ان اقرأ القرآن لأباشر مبادىء دينى الجديد .. من صلاة وزكاة وقراءة لكتاب الله العزيز . سأحاول ان يكون امامى بكل شىء فى فترة وجيزة ولقد وعدت فضيلة الاستاذ الأكبر عندما يرانى فى المرة الأخرى أن أسمعه جزءا من القرآن الكريم باللغة العربية .

وتركت منزل فضيلة الأستاذ الأكبر بعد أن حضرت اشهار اسلام السيدة فاطمة راجعا الى مكتبى ولسان حالى يقول:الحمد لله على أن الاسلام يغزو كل قلب .. الحمد لله على ان الاسلام هو دين الفطرة لأن مبادئه تصل الى الناس باشعاعات روحية تجعلهم يخرون سجدا مؤمنين بان الله واحد لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله .

ان المسيحى حينما يبحث فى الاسلام .. ويقرأ عنه يجد نفسه أنه يعيش فى خطأ .. يعيش فى ظلام .. يعيش فى ضلال .. فيسارع الى تصحيح هذا الخطأ ، ويبادر الى السير فى طريق النور طريق الاسلام . فكل من تعمق فى دراسة الاسلام وعلم ما ترمى اليه مبادئه .. تراه يؤمن بالله سبحانه وتعالى وذلك لأن الاسلام هو الدين السماوى الصحيح ، ولا أدل على ذلك من اننا نرى اختنا فاطمة تجىءالى القاهرة من المانيا قاصدة الدين الاسلامى .

وحينما تسألها ماذا أعجبك فى الاسلام فتقول : حبه للسلام .. وصدقه .. كماله .. قوته .. صراحته .. جمعه بين الناس فى كلمة واحدة هى لا اله الا الله محمدرسول الله .. تسويته للناس جميعا أمام الله .. فالكل سواسية كأسنان المشط .

وهكذا نجد أن شريعة الاسلام هى شريعة الفطرة . فكل من يوجه نظره اليها ويقرأعنها يعتنق مبادئها ويؤمن بها .

وأخيرا حمدا لله على أنه سبحانه وتعالى يبصر الناس بالحق ويوجههم الى الطريق المستقيم .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

س - من السيد بليدى طه احمد من الجيزة ، الاندلس ش العدل رقم ١١ .

تضمن السؤال ان ابن أخ السائل تقدم لزواج ابنته . وظهر أن ابنته هذه رضعت من زوجة عمها « والدة العريس » وان الطفلة بنت السائل هذه ترضع مع من هو أصغر من العريس الذى يريد أن يتزوج بنته بعشرسنوات تقريبا وان زوجته«والدة العروس»لم ترضع العريس قط .

والجواب :

انه برضاع بنت السائل من زوجة عمها « والدة العريس » تكون أختا للعريس رضاعا يحرم عليه زواجها لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهذا الحكم على اطلاقه سواء كان الرضاع مرة أو اكثر من مرة وهذا مذهب الامام ابى حنيفة ونحن نفتى فى هذه المسألة بمذهب الامام الشافعى واحدى الروايتين بمذهب الامام أحمد دفعا للحرج عن الناس ويتلخص هذا المذهب فى أن الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات مشبعات فان كان أقل من ذلك لم يثبت به تحريم ولا يمنع من التحريم بالرضاع فى هذه الحالة أن يكون رضاع البنت من أم العريس مع أخ أصغر منه لأنها تعتبر أختا له رضاعا واختا لباقى اخوته كما لا يمنع من التحريم أن تكون والدة العروس لم ترضع العريس .

من السيد عبد الرازق احمد فرج من الفيوم - مدرس .

يقول الله تعالى فى كتابه : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض الخ .. وفى هذه الآية تصريح وتصميم على اقامة الرجل على زوجته فى كل أمر من أمور الدنيا أى جعل الكلمة والعناية والتوجيه للرجل ولكن هذا يتنافى وجعل العصمة للزوجة حسب رأيى واجتهادى وأريد معرفة رأى الدين الاسلامى فى ذلك ، ارجو توضيح ذلك مع ضرب الأمثلة العربية اذا وجدت ، أو اى دليل « قاطع » مشفوعا بحديث نبوى اذا كان هناك أو أى أثر عربى ، عن الصحابة أو أصحاب المذاهب حتى يطمئن القلب وتقر العين .

والجواب :

انه لا نزاع بين الفقهاء فى أن الطلاق بيد الرجل وفى أن الزوجة لا تملك تطليق نفسها الا اذا فوضها الزوج فى أن تطلق نفسها ، والتفويض تمليك الرجل زوجته ايقاع طلاقها وقد يكون ذلك فى وقت العقد أو بعده مثال الأول أن تقول امرأة لرجل يحل له تزوجها زوجت نفسى منك على أن يكون أمرى بيدى أطلق نفسى متى شئت أو كلما شئت . ويقول لها الزوج قبلت على ذلك ، وفى هذه الحالة يصح العقد ويكون أمر الزوجة بيدها على الصورة التى قالتها وقبلها الزوج . جاء فى الدر المختار من كتب الحنفية « نكحها على أن أمرها بيدها صح » والحنفية يرون أن تفويض الطلاق من الزوج للزوجة تمليك ولكنه ليس كسائر التمليكات فللزوج ان يطلق زوجته بعد ان يفوض اليها طلاق نفسها لانتقال ملك الطلاق اليها ولا يعتبرونه توكيلا فلا يملك المفوض حق الرجوع فيه كما يملك الرجوع فى الوكالة وعللوا عدم جواز رجوع المفوض لان التفويض فيه معنى اليمين . فمعنى قوله طلقى نفسك مثلا ، ان طلقت نفسك فانت طالق واليمين تصرف لا يجوز فيه الرجوع .

ومما تقدم يتضح ان جعل الزوج العصمة فى العقد بيد الزوجة لا يتنافى مع القوامة التى جعلها الله سبحانه وتعالى للزوج على زوجته وتصحيح هذا الشرط فى العقد يستند الى مارواه عقبة بن عامر من ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أحق المشروط ان يوفى به ما استحللتم به الفروج » وفى رواية البخارى : « أحق ما أوفيتم من الشروط ما استحللتم به الفروج » - وما دامت

الزوجة تقوم مقام الزوج فى الطلاق الذى اشترطته لنفسها وقت العقد وقبله الزوج أو ملكه لها بعد العقد فانها لا تنقص حقا من حقوقه ولا يعتبر انتقاصا لحقه فى القوامة التى جعلها الله له والتى يملك بمقتضاهـا تطليق زوجته بنفسه أو بوكيل عنه كما يملك تفويض زوجته فى تطليق نفسها .

من السيد عبد الغنى توفيق محمد رجب:

تضمن السؤال ان السائل تزوج بابنة عمه منذ أربع سنوات وانجب منها ولدا وأنه تبين له فى هذه المدة أنه رضع من جدتها لأمها أكثر من خمس رضعات فيطلب افادته عن حكم ذلك ؟

والجواب :

ان اقرار الزوج بعد العقد بالرضاع الذى يحرم زوجته عليه اقرار صحيح يعمل به ويثبت به التحريم سواء صدقته الزوجة او لم تصدقه ويأخذ حكم ما اذا ثبت الرضاع المحرم بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ويفرق القاضى بين الزوجين بموجب الاقرار المذكور أو بالبينة ان لم يفترقا من تلقاء أنفسهما - ونظرا لأن الظاهر من السؤال ان السائل أقدم على الزواج قبل علمه بالرضاع المحرم فان الولد يثبت نسبه منه ولا ينتفى النسب بعلمه بعد العقد بموجب التحريم بالرضاع .

ورد الينا سؤال- ولم يذكرالسائل اسمه- ان رجلا توفى عن زوجته وأربعة أولاد بنين وثلاث بنات وكانت له بنت رابعة توفيت قبل وفاة والدها ولها أولاد بنون وبنات فهل يرث أولاد البنت المتوفاة فى جدهم أم لا ؟

والجواب :

انه اذا كانت وفاة المتوفى قبل العمل بقانون الوصية رقم ٧١ سنة ١٩٤٦ م « أول اغسطس سنة ١٩٤٦ » فان ميراثه يكون لزوجته منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى بعد الثمن لأبنائه الأربعة وبناته الثلاث للذكر منهم مثل حظ الانثيين تعصيبا ولا شىء لأولاد البنت المتوفاة لانهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات

واذا كانت وفاة المتوفى فى أول اغسطس سنة ١٩٤٦ أو بعده فان أولاد البنت المتوفاة فى حياة والدها يستحقون وصية واجبة طبقا لنص المادة ٧٦ من قانون الوصية المذكور وهى « اذا لم يوص الميت لفرع ولده الذى مات فى حياته أو مات معه ولو حكما بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثا فى تركته لو كان حيا عند موته وجبت للفرع فى التركة وصية بقدر هذا النصيب فى حدود الثلث بشرط أن يكون غير وارث وأن لا يكون الميت قد أعطاه بغير عوض عن طريق تصرف آخر قدر ما يجب له ، وان كان ما أعطاه أقل منه وجبت وصية بقدر ما يكمله . وتكون هذه الوصية لأهل الطبقة الأولى من أولاد البنات ولاولاد الأبناء من اولاد الظهور وان نزلوا على ان يحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره وأن يقسم نصيب كل أصل على فرعه وأن نزل قسمة الميراث كما لو كان اصله او أصوله الذين يدلى بهم الى الميت ماتوا بعده وكان موتهم مرتبا كترتيب الطبقات .

وبناء على ذلك فانه يفرض لمعرفة قدر الوصية أن الميت ترك زوجه وأربعة ابناء ذكور واربع بنات احداهن المتوفاة حال حياة والدها فتقسم التركة الى ٢٨٨ سهما يعطى منها لأولاد البنت المتوفاة ٢١ سهما وصية واجبة يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين وما بقى بعد الوصية وهو٢٦٧ سهما يوزع على الورثة للزوجة منه الثمن والباقى بعد الثمن للأبناء الاربعة الذكور وللبنات الثلاث الموجودين وقت وفاة المتوفى للذكر مثل حظ الانثيين .

من السيد محمد على فودة ابو بدوى مركز بيلا محافظة كفر الشيخ :

جاء فى السؤال أن جده لأمه توفى سنة ١٩٦٢ بعد وفاة والدته سنة ١٩٣٤ م وجده هذا ترك ارثا قطعة أرض ومنزلا وترك من الأولاد خمسة ذكور وابنتين اناثا على قيد الحياة غير والدته المتوفاة فهل لها الحق فى تركة والدها أسوة باخوتها وهل له السائل الحق فى ميراث نصيب والدته .

الجواب :

تستحق والدة السائل المتوفاة قبل وفاة والدها بموجب المادة ٧٦ من قانون الوصية رقم ٧١ الصادر فى سنة ١٩٤٦ م وصية واجبة ، ينفرد بها السائل اذا لم يكن لهاورثة سواه أو تقسم عليه وعلى باقى الورثة .

وبناء على ذلك تقسم تركة جد السائل لامه الى ١٣ سهما سهم منها للوصية الواجبة والباقى لاولاد المتوفى الاحياء وقت وفاته لكل بنت سهم ولكل ولد سهمان .

من السيد / محمد عبد العزيز محمد بشارع السارى الاحمدى بطنطا :

يقول السائل ان طفلا رضع عقب ولادته من ثدى والدة فتاة فاصبح اخا لهــا من الرضاع يحرم عليه نكاحها ـ فهل أخواتها الأصغر منها يحرمن عليه أيضا بمعنى انه لا يحل له أن يتزوج أختها الأصغر منها . أرجو أن تدلونى على حل لهذه المشكلة .

الجواب

ليس للابن الراضع من أم غير والدته ان يتزوج من بنتها التى رضع معها او من اية بنت أخرى لها أصغر او أكبر لأنه يعتبر اخا لجميع بناتها وبناء على ذلك لا يحل للفتى الذى رضع عقب ولادته من ثدى والدة فتاة أن يتزوج منها أو من احدى اخواتها الاصغر منها سواء رضع مرة واحدة أو أكثر وهذا على اطلاقه مذهب الامام ابى حنيفة وأما التحريم فى مذهب الشافعى واحدى روايتين فى مذهب الامام أحمد فلا يثبت الا بخمس رضعات مشبعات لحديث رواه مسلم : « لا تحرم المصة أو المصتان » وقد جرينا فى الافتاء بهذا المذهب فى هذه المسألة دفعا للحرج عن الناس .

الرئيس عبد الناصر يستقبل الابطال فى محطة القاهرة

* قام السيد الرئيس جمال عبد الناصر وضيفه الرئيس أحمد بن بيلا رئيس وزراء الجزائر باستقبال أول فوج من الجنود الأبطال العائدين وذلك يوم الاثنين ٢٠ مايو ١٩٦٣ فى محطة القاهرة .

***

عشر منح دراسية لطلبة الباكستان

* تقرر تخصيص عشر منح دراسية لطلبة باكستان فى الأزهر وجامعات ومعاهد الجمهورية العربية المتحدة فى العام القادم .

اتخذ هذا القرار بعد المقابلة التى تمت يوم الاثنين ١٠ يونية ١٩٦٣ بين السيد الطيب حسين سفير الباكستان فى القاهرة والسيد الأستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

***

زعيم مسلمى الفيلبين

* وصل الى القاهرة السيد أحمد دوموكاو النتو زعيم مسلمى الفيلبين يوم ٢٧ مايو ١٩٦٣ بدعوة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

وقد أعد المجلس الأعلى لسيادته برنامجا لزيارة معالم نهضتنا الحديثة ، فزار المصانع والمنشآت الحديثة بالجمهورية العربية المتحدة .

وقد سافر سيادته الى اسوان وقضى خمسة أيام هناك قام خلالها بزيارة السد العالى كما زار الاقصر وقضى سيادته يومين شاهد خلالها آثارنا الخالدة .

***

وقد تقرر اعتماد خمس عشرة منحة دراسية فى العام الدراسى القادم للطلاب المسلمين من الفيلبين للدراسة فى جامعة الأزهر وبقية جامعات الجمهورية ، كما تقرر اهداء جامعة « تكامل الاسلام » بالفيلبين مكتبة اسلامية ضخمة تضم خمسة آلاف كتاب دينى ومجموعه من المصاحف الشريفة ، واسطوانات الصلاة والمصحف المرتل .

عشر منح دراسية لمسلمى جزر كومورو

* وصل الى القاهرة السيد على الشامى زعيم مسلمى جزر كومورو بشرق أفريقيا بدعوة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى زيارة ودية للجمهورية العربية المتحدة وقد تقرر تخصيص عشر منح دراسية لأبناء الجزيرة من المسلمين .

كما تسلم السيد على الشامى مكتبة اسلامية باللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية و ٧٠٠ اسطوانة صلاة و ٣ مصاحف مرتلة هدية من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

***

٣٠٠٠ كتاب من المجلس هدية لجامعات وطلبة الجزائر

* شارك المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى مشروع تعريب مكتبة جامعة الجزائر الذى تنظمه « مجلة الجامعات » فأرسل ٣٠٠٠ كتاب واسطوانات المصحف المرتل والصلاة الى الجزائر .

شركة النيل العامة
لأتوبيس القنال وجنوب الدلتا

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلى

١٨ شارع نفق السبتية - بالقاهرة

الإدارة العامة : ٤٧٢٤٨ - ٤٧٥٤٨ - ٧٤٦٨٢

- يتكون أسطول الشركة حاليا من "٣٥٧" سيارة
- تخدم ٦٠ مليون مواطن سنويا
- تقطع سيارات الشركة ٣٦ مليون كيلومتر سنويا
- تخدم ستة محافظات تتمثل فى ٨١٤ مدينة وقرية
- تخدم شعب محافظات بورسعيد والسويس.
والاسماعيلية والجيزة وبنى سويف والقليوبية
- وتربط هذه المحافظات بمحافظة القاهرة
- تخدم شعب مدينتى السويس والاسماعيلية وبنى سويف داخليا
- تخدم شعب منطقة شبه جزيرة سيناء والعريش
- توفر سيارات فاخرة للرحلات العلمية والسياحية
- يبلغ عدد العاملين بالشركة ٢٥٨٠
- يبلغ إجمالى الأجور النقدية للعاملين
بالشركة ٥٤٧٠٠٠ جنيه سنويا.

مع القراء

يحرره : حسين السكري

عزيزى القارىء . من أجل المبادىء السامية والأهداف النبيلة والمثل العليا نلتقى بك هنا على صفحات «منبر الاسلام» .. من أجل رفاهية المجتمع وكمال الانسانية نتبادل سويا الأفكار والمقترحات .. من أجل الخلق والبناء واقامة حياة اشتراكية عادلة .

الطريقة البرهامية :

السيد/طه احمد مبروك – الدوية مركز بني سويف :

لقد اطلع السيد / الدكتور احمد غلوش على رسالتكم وتفضل مشكورا بهذه الاجابة .. فأفاد بأنه لم يذكر جميع الطرق الصوفية وانما اكتفى بذكر البعض منها المعروف عالميا فى البلدان الاسلامية النائية، اما طريقة سيدى ابراهيم الدسوقى – رضى الله عنه – فهى مع جلال قدرها من الطرق المحلية .. وفى مصر مئات من الطرق المحلية الأخرى ، وقد نقل الامام عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته الكبرى عن هذا الولى الجليل انه كان من أجلاء مشايخ الطريق ومن صدور المقربين وكان صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة وبصائر باهرة وهمم عالية ومحاضرات قدسية وان نسبه ينتهى الى الحسن بن على – رضى الله عنهما – .

لقد ثرنا :

السيد / النبوى حافظ أمان – ميت أبى الحارث – أجا – دقهلية :

أجل ثرنا على الطغيان والظلم وأبدنا دولة البهتان والباطل لنقيم مكانها دولة الحق والعدل .. ترفرف عليها راية الحرية والسلام فى ظل رائد النهضة العربية السيد/ الرئيس جمال عبد الناصر وسأشير هنا الى بعض ابيات من شعرك :

لقد ثرنا .. لقد ثرنا
على الطغيان والظلم
أبدنا دولة البهتا
ن بالتصميم .. والعزم
وشيدنا عروبتنا
على الايمان .. والعلم

مدنية أم رجعية :

السيد / أحمد على حميد – المحرق – البحرين :

شكرا لك على هذا الثناء .. واحب أن أقول لك ان الدين الاسلامى أصل التطور لأنه لا يعرف الركود ولا الجمود بل يساير جميع العصور ويتمشى مع كل الأزمان .. فهو دين النهضة والاصلاح والعدل والسماحة، والذين ينكرون عليه هذا هم المنحرفون الذين لا خلاق لهم فلا تكترث بهذه الترهات ولا تلق اليها بالا فستختفى هذه النغمة من تلقاء نفسها ويحل محلها الهدى والايمان .

خطبة منبرية :

السيد / محمد عبد الغنى الشيخ – عامل انتاج بسوهاج :

المجلة مليئة بالكثير من المقالات الحافلة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والحكمة .. ويمكن لأى انسان أن يستخلص من كل هذا أكثر من خطبة منبرية اذا دعت الحاجة ولزم الأمر ، وهذا شىء ميسور لا يحتاج الى جهد كبير .

وحدة شاملة :

آنسة فاطمة محمد عبد الشافى – طالبة بالاعدادى :

المجلة تحيى فيك هذه الروح الطيبة وترجو لك التقدم والنجاح ويمكنك أن تشبعى رغبتك فى الزجل بالاكثار من القراءة مع مداومة الكتابة وبهذا يتحقق لك أكثر من فائدة ولا تتعجلى النشر فالطريق طويل أمامك وانت فى البداية وليكن سلاحك الصبر والمثابرة .

بريد التعارف

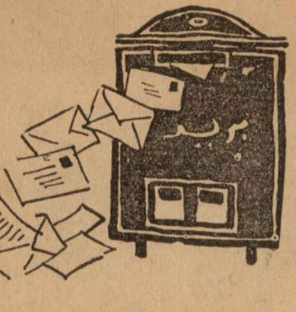

الاسم : محمد سرحان
البلد : دبى - الخليج العربى
السن : ٣٠ سنة
المهنة : موظف تجارى
الهواية : تبادل الطوابع الصور والتاريخ والصحافة
العنوان : صندوق ب رقم (٦٤٩) دبى - الخليج العربى

الاسم : رجب على فخرى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بمعهد طنطا الدينى
الهواية : الاطلاع وجمع الطوابع والصور والرحلات والمراسلة
العنوان : السنطة غربية - شبرا بلولة

الاسم : عبد الملك سعيد مرشد
البلد : اليمن - مصيفة المعمرى
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بالازهر الشريف
الهواية : جمع الطوابع والاطلاع على الكتب الاسلامية
العنوان : مدينة البعوث الاسلامية

الاسم : ابراهيم احمد محمد الليثى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بمعهد سمنود الدينى الثانوى
الهواية : قراءةالكتب الدينية ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : سمنود - حارة سيدى العجمى

الاسم : محمد عبد العزيز الموافى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بكلية دار العلوم
الهواية : قراءةالكتب والمجلات الدينية والمراسلة
العنوان : المنصورة - تلبانة

الاسم : أحمد العياشى
البلد : المغرب
السن : ١٩ سنة
المهنة : موظف
الهواية : مطالعة الكتب الاجتماعية والتربوية وتبادل الافكار الثقافية
العنوان : ١٢ ش لامرتين ، دو الجامع - الرباط - المغرب

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى		١٢
دور الائمة فى الاشتراكية	السيد حسين الشافعى ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة	١٩
كلمة حضرة صاحب السمو الملكى الاميرالحسن الرضا		
حديث مع سفير السنغال		٢٥
معنى كلمة الامين	الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد	٢٧
دين الله واحد وهو الاسلام	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٣٠
الانسان فى القرآن	الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى	٣٤
هل هو تحضير الروح أو تحضير القرين من الجن	فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى	٤٠
ضريبة العشور فى الاسلام عدالةوسماحة	الدكتور أحمد محمد الحوفى	٤٣
ضروراتنا بين زاد الحس والروح	الاستاذ البهى الخولى	٤٦
الجوانية الاسلامية	الدكتور عثمان امين	٥١
من وحى القرآن	الاستاذ محمد سلام مدكور	٥٥
الاسلام والمسلمون	الدكتور محمود يوسف الشوابى	٥٨
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٦٢
وجعلنا من الماء كل شىء حى	الدكتور أنور عبد العليم	٦٥
الطب فى الاسلام	الدكتور يوسف محمد عيد	٧٠
الصوفية وأحوال النفس الانسانية	الدكتور محمد مصطفى حلمى	٧٢
صحابى فى مصر	الدكتور حسين نصار	٧٥
فلسفة أبى ذر الغفارى	الدكتور أحمد مكى الانصارى	٧٨
المعجزة الكبرى فى سورة الروم	الدكتور محمد محمود السلامونى	٨٥
المجتمع الاسلامى بين الرجعية والتقدمية	الدكتور محمد بيصار	٨٧
الاسلام والولاية العامة للمرأة	الاستاذ محمد زكريا البرديسى	٨٩
دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام	الاستاذ حسنى عبد المجيد	٩٤
من اعجاز القرآن	الدكتور حفنى محمد شرف	٩٦
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	٩٩
العالم الاسلامى فى معركته الكبرى	الاستاذ انور الجندى	١٠٢
الاتحاد قوة دونها كل قوة	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١٠٦
الايام والشهور	الاستاذ حسن الشيخة	١٠٨
ممالك اسلامية قديمة	الاستاذ عبده بدوى	١١٠
الشهيد الغريب	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١١٣

صفحة

قوافل التوعية الدينية ... ... الاستاذ عبد الله امام ١١٦
أسس المدنية فى الرسالة المحمدية ... ... الدكتور محمد محمد أبو شهبة ... ١١٩
عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ١٢١
من تراثنا فى حرية النقد البناء ... ... الاستاذ حسن فتح الباب ١٢٥
الصوفى المصرى ... ... الاستاذ عامر العقاد ١٢٩
المنافقون ... ... الاستاذ أحمد محمد بريرى ١٣١
طارق بن زياد ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ١٣٣
رجال ومواقف ... ... فضيلة الشيخ منصور رجب ... ١٣٧
صفحات من التاريخ ... ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ١٤١
نظرية الاسلام فى التسعير والاحتكار ... ... الاستاذ سليمان حسن عبدالوهاب ١٤٦
ندوة الشهر ... ... الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ١٤٩
من أعلام الاسلام ... ... الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ... ١٥٢
من أسرار الفن الاسلامى ... ... الاستاذ أحمد ممدوح حمدى ١٥٦
الاسلام وعلم الاقتصاد ... ... الاستاذ أحمد بديع مصطفى ... ١٥٩
دقت الاجراس « قصة العدد » ... ... القصاص الاستاذ محمد عبدالحليم عبد الله ١٦٣
عاد الرجال « قصيدة » ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٦٧
مواقيت الصلاة ١٧٠
فى رحاب القرآن ... ... الاستاذ عبد العزيز العلى ١٧١
دروس من شهر صفر ... ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم ١٧٣
المرأة المسلمة ... ... اعداد الآنسة نجاة أحمد الزنيرى ١٧٦
لماذا أسلمت ؟ ١٧٨
أنت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الشيخ حسن مأمون ١٨٠
أخبار سريعة ١٨٣
مع القراء ... ... الاستاذ حسين السكرى ١٨٥
بريد التعارف ١٨٦

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يقدم إلى العالم الإسلامي مكتبة إسلامية باللغة الإنجليزية

THE SUPREME COUNCIL FOR ISLAMIC AFFAIRS OFFERS THE MUSLIM WORLD A GREAT ISLAMIC LIBERARY;

		P.T.
1 - AL SIYAM	Al Bahai Al Kholi	3
2 - AL HAJJ	Al Bahai Al Kholi	3
3 - AL SALAT	Dr Mohammad Ghali	3
4 - CONCEPT OF WAR IN ISLAM	Mohammad Abu Zahra	5
5 - MODERATION OF ISLAM	Mohammad El Madani	5
6 - COSMIC VERSES IN QURAN	Dr Mohammad El Fandy	5
7 - ISLAM AND CONTEMPORARY ECONOMIC THEORIES	Ibrahim Mohammad Ismail	5
8 - IBN KHALDOUN	Mohammad Khalifa El Tawansy	5
9 - EDUCATION IN ISLAM	Mohammad Attia El Ibrashi	5
10 - ARAB IMPACT ON EUROPEAN CIVILIZATION	Abbas El Akkad	20
11 - ISLAM AND HUMANITY'S NEED OF IT	Dr. Mohammad Youssef Moussa	40

SUPREME COUNCIL FOR ISLAMIC AFFAIRS
CAIRO, U.A.R.

These books are ready for Sale at 76 Gamhoria St. Cairo. U.A.R.

مطابع شركة الاعلانات الشرقية